وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد خيض بسكرة

كليّة الآداب واللّغات

قسم الآداب واللّغة العربيّة

محاضرات في علم الدّلالة

محاضرات مقدّمة لطلبة السّنة الثانية ليسانس

تخصّص: دراسات لغويّة

إعداد الدكتورة: غنية تومي

السّنة الجامعيّة: 1443ه-1444ه/2022م-2023م

بسم الله الرحمن الرحيم

اسم الوحدة: استكشافيّة/السّداسي الثالث

اسم المادّة: علم الدّلالة

الرّصيد:01/ المعامل:01

<u>مفردات المادّة:</u>

المحاضرة 01: مدخل إلى علم الدّلالة.

المحاضرة 02: الدّلالة في تراث العربيّة(1):النّحاة واللّغويّون والأصوليّون.

المحاضرة 03: الدّلالة في تراث العربيّة(2):الفلاسفة والمتكلّمون والبلاغيّون.

المحاضرة 04: أنواع الدّلالة.

المحاضرة 05: التّغيّر الدّلالي ومظاهره.

المحاضرة 06: العلاقات الدّلاليّة(1): التّرادف.

المحاضرة 07: العلاقات الدّلاليّة(2): المشترك اللّفظي.

المحاضرة 08: العلاقات الدّلاليّة(3): الأضداد.

المحاضرة 09: نظريات التّحليل الدّلالي(1): النّظريّة الإشاريّة.

المحاضرة 10: نظريات التّحليل الدّلالي(2): النّظريّة التّصوريّة.

المحاضرة 11: نظريات التحّليل الدّلالي(3): نظريّة السّياق.

المحاضرة 12: نظريات التّحليل الدّلالي(4): نظريّة الحقول الدّلاليّة.

المحاضرة 13: نظريات التّحليل الدّلالي(5): النّظريّة التّحليليّة.

مقدّمة

تحتوي هذه المطبوعة على محاضرات مادة علم الدّلالة المقرّرة على طلبة السّنة الثانية ليسانس نظام (ل م د)، تخصّص دراسات لغويّة، لقسم الآداب واللّغة العربيّة، الخاصّة بالسّداسي الثالث، وفق برنامج التّعليم العالي والبحث العلميّ، وهي عبارة عن مجموعة من الدّروس بدأتها **بمحاضرة استهلالية** بعنوان **"مدخل إلى علم الدّلالة"** وفيها تمّ التّعريف بالدّلالة ونشأة هذا العلم، وأهمّ محاوره وأعلامه، ثمّ كانت **المحاضرة الثانية** عن تجليّات قضايا الدّلالة في المتن التّراثي العربيّ وتحديدا عند النّحاة واللّغويّين والأصوليّين، تلتها **المحاضرة الثالثة** وجاءت تتمّة لسابقتها؛ إذ تمّ استكمال تتبّع تلك المباحث الدلاليّة في بيئات الفلاسفة والمتكلّمين والبلاغيّين العرب القدامى.

المحاضرة الرّابعة كانت عن أنواع الدّلالة وأصنافها؛ فقد تباينت تقسيمات الباحثين والدّارسين لها حسب اختلاف زوايا النّظر، وتضمّنت **المحاضرة الخامسة** موضوعا مهمّا عرفته أكثر اللّغات في العالَم وهو التّغيّر الدّلالي أو التّطوّر الدلالي؛ وفيه تحدّثت بدءًا عن ماهيته، ثمّ مظاهره في اللّغة، وعوامل حدوثه، **والمحاضرة السادسة** كانت فاتحة محور جديد هو محور العلاقات الدّلاليّة وأوّل تلك العلاقات التّرادف الذي تمّ تعريفه، ثمّ تحديد موقف العلماء والدّارسين إزاءه بين مثبت له ومقرّ بوجوده، وفريق آخر منكر أو مضيّق من حدود حدوثه في العربيّة بوضع شروط معيّنة للإقرار به ظاهرة موجودة، ثمّ رصدت مختلف أنواعه كما جاءت في كتب علم الدّلالة، لتكون **المحاضرة السّابعة** عن علاقة دلاليّة أخرى لا تقلّ أهميّة عن سابقتها وهي ظاهرة المشترك اللّفظي التي تمّ تعريفها، وتبيين موقف العلماء منها إنكارا وإقرارا، قديما وحديثا، ثمّ حدّدت المقصود بالوجوه والنّظائر، والفرق بين الهومونيمي والبوليزيمي بوصفها قضايا وطيدة الصّلة بالموضوع المبحوث، ثمّ الوقوف على عوامل نشأة ألفاظ المشترك اللّفظي، وأهميّة السّياق ودوره في تجلية الدّلالة القصد مع سرد طائفة من النّماذج الشّعريّة والنّثريّة لها، في حين كانت **المحاضرة الثامنة** عن الأضداد بوصفها ثالث العلاقات الدّلاليّة المعروفة، فقمت أيضا بالتّعريف بها، بعدها حدّدت الفرق بين الأضداد والتّضاد، ثمّ

رصدت موقف العلماء والدّارسين من الأضداد بين النّفي والإثبات، يليها ذكر أهمّ عوامل نشأتها في العربيّة، وأخيرا تفعيل السّياق أداة طيّعة لتوضيح ما قد يغمض من مقصود الكلام من خلال أمثلة من كلام العرب.

انتقلت إلى محور جديد هو محور نظريات التّحليل الدّلالي، عبر أهمّ النّظريات وأكثرها تداولا عند الدّلاليّين واللّغويّين عموما، وكان أوّلها النّظريّة الإشاريّة في **المحاضرة التّاسعة**؛ حيث تحدّثت عن مفهومها ونشأتها ومبادئها وأهمّ الانتقادات التي وجّهت إليها والأمر عينه في **المحاضرة العاشرة** التي تناولت النّظريّة التّصوّريّة بالتّعريف بها وبأهمّ مبادئها، والانتقادات التي وجّهها لها الدّارسون، في حين تناولت في **المحاضرة الحادية عشرة** نظريّة مهمّة وطالما أشاد بها كثير من اللّغويّون وهي نظريّة السّياق، فقمت بتعريف السّياق، ثمّ قدّمت نظرة أصحاب هذه النّظريّة للمعنى، ثمّ عرّجت على نشأتها الحديثة وأهمّ أعلامها، ثمّ تجلّياتها عند القدامى، لأقف مليّا على أنواع السّياق مع التّمثيل، ثمّ رصدت أهمّ مآخذ وميزات النّظريّة كما أظهرها اللّغويّون والدّلاليّون، أمّا **المحاضرة الثّانية عشرة** فكانت عن نظريّة الحقول الدّلاليّة التي تناولت ملامحها في التّراث العربيّ (الرّسائل ومعاجم الموضوعات)، انتقلت بعدها إلى النّظريّة في تصوّر المحدَثين، والمقصود بالحقل الدّلالي، والهدف من التّحليل وفق الحقول الدّلاليّة، يليه الحديث عن تصنيف المفاهيم فيها، وأخيرا أهمّيتها، والانتقادات التي وجّهت إليها.

و **المحاضرة الثّالثة عشرة** عن النّظريّة التّحليليّة التي حدّدت مفهومها وعرّفت بها، يليه تحدّثت عن الاتّجاه التّحليلي للمعنى، وتحليل كلمات المشترك اللّفظي، إثرها ذكرت سلبيات نظريّة كاتز وفودور، ثمّ إيجابيّات النّظريّة، لأقف على تحليل المعنى الواحد إلى عناصره التّكوينيّة المميّزة، يليه مراحل تحديد العناصر التكوينيّة، لأختم حديثي عن النّظريّة برصد مجالات تفعيل النّظريّة والاستفادة منها إجرائيّا.

كان منهجي في الدّروس هو تخريج الشّواهد على أنواعها سواء كانت من القرآن الكريم أم من الحديث النّبويّ الشّريف، أم من كلام العرب شعرا ونثرا، مع الاجتهاد في

ضبط تلك الشّواهد بالشّكل الدّقيق، وتحديد متن المقتبسات والأقوال بين شولتيْن، والاعتداد بعلامات التّرقيم ووضعها في مواضعها الصّحيحة، وحاولت التّنويع في المصادر والمراجع قدر المستطاع والتّركيز على الدّلاليّة منها، سواء كانت كتبا أم مقالات مستلّة من المجلات العلميّة ذات الصّلة، أم من الرّسائل والأطاريح الأكاديميّة، وفضّلت استعمال اللّغة البسيطة المباشِرة والواضحة، بحكم مخاطبتي لطلبة السّنة الثّانية الذين سيتعرّفون لأوّل مرّة على علم الدّلالة في صورته البسيطة والعامّة، قبل أن تتطوّر مواضيعه وتتشعّب أكثر في السّنوات القادمة.

أَمَلِي أنْ تلقى هذه المحاضرات الصّدر الرّحب من لدن طلبتنا، وأن تفي بالغرض العلمي المنوط بها، فتكون لهم زادا معرفيّا يجيب عن تساؤلاتهم، وفائدة علميّة ينتفعون بها.

و الله من وراء القصد

المحاضرة الأولى: مدخل إلى علم الدّلالة: المفهوم والنشأة

1- علم الدّلالة: نشأته وتسمياته

1-1/ نشأته: إنّ نظرةً واحدةً فاحصةً في الرّكام العلميّ المعرفيّ الحاصل في حقل البحث اللّسانيّ لتعضدّ أهميّة الدّراسة الدّلاليّة ومدى فعاليتها في الدّرس اللّغويّ برمّته، وهي إذ ذاك أضحت قطب الرّحى لدى عدد كبير من الباحثين والدّارسين؛ فقد كانت اللّغة ولازالت محط الاهتمام والبحث من مختلف البيئات الفكريّة والعلميّة وغيرها، وذلك لأهمّيتها القصوى في كلّ مناحي الحياة، وكانت دراسة المعنى منذ أن حدث الوعي اللّغويّ، في حضارات كثيرة كالحضارة الهنديّة واليونانيّة والرّومانيّة والفرعونيّة والبابليّة والعربيّة، إلى يومنا هذا، فلم يدّخر الدّارسون أدنى جهد في سبيل تحصيل تفسيرات وإجابات مقنعة للمسائل اللّغويّة عامّة، والدّلاليّة على وجه الخصوص؛ سواء جهود علمائنا العرب القدامى أم جهود اللّغويّين والدارسين قديما من الحضارات الأخرى، كلّها فتحت منصّات الدّرس اللّغويّ الحديث على مصراعيْها، وأرست قواعد مهمّة في البحث الدّلالي الذي تبلورت معالمه في جهود العالِم الفرنسي **ميشال بريالM.Breal** في الرّبع الأخير من القرن التّاسع عشر عندما وضع مصطلح علم الدّلالة La Semantique / Semantics

1-2/ تسمياته: عُرِفَ هذا العلم في الصّرح اللّغويّ بعدّة تسميات؛ فهو علم الدّلالة، وعلم المعنى(وليس علم المعاني أحد فروع البلاغة)، والسيمانتيك، والسيمانتيكا، وفي اللّغات الأخرى يعرف أيضا بـ:

Semantics,Semantique ,Semasiology,Semology,Sematology[1] ورغم هذا الخلط والتّداخل في التّسمية، إلا أنّه استطاع أن يشقّ طريقه في التّطوّر من أفكاره الأولى التي حدّدها **بريال** لمّا دعا إلى اعتماده مصطلحا علميّا في المجال الدّلاليّ بقوله: " إنّ الدّراسة التي ندعو إليها القارئ هي نوع حديث للغاية بحيث لم تسمّ بعد، نعم، لقد

[1] -ينظر: تمّام حسّان، مناهج البحث في اللّغة، مكتبة الأنجلو المصريّة، القاهرة، 1990م ص240.

اهتمّ معظم اللّسانيّين بجسم وشكل الكلمات، وما انتهوا قطّ إلى القوانين التي تنتظم تغيّر المعاني، وانتقاء العبارات الجديدة والوقوف على تاريخ ميلادها ووفاتها، وبما أنّ هذه الدّراسة تستحقّ اسما خاصّا بها، فإنّنا نطلق عليها اسم (سيمانتيك) للدّلالة على علم المعاني"[1]، وكان له الفضل في تخصيصه كتابا مستقلا بدراسة المعنى وعنونه بـ"محاولة في علم المعاني"، تناول فيه ماهية علم الدّلالة، و أَوْجد منهجا جديدا في دراسة المعنى ينطلق فيه من الكلمات نفسها لمعاينة الدّلالات دون ربط ذلك بباقي الظّواهر اللّغويّة، وإنْ كان تركيزه على الاشتقاق التّاريخي للكلمات. إذن، **فمعالم** هذا التّوجّه البحثي الجديد وفقا لقول بريال السّابق هي[2]:

-إذا كانت اللّسانيات تهتمّ بشكل الكلمات، فإنّ علم الدّلالة يهتمّ بجوهر تلك الكلمات ومضامينها.

-هدف علم الدّلالة هو الوقوف على القوانين التي تغيّر المعاني وتطوّرها، والقواعد التي تسير في ضوئها اللّغة، من خلال الاطّلاع على النّصوص اللّغويّة لضبط المعاني المتنوّعة بأدوات محدّدة، وفي هذا تنويع في أشكال التراكيب اللّغويّة لأداء وظائف دلالية مختلفة، تغني اللّغة وتجدّدها وتحفظ أصولها.

-اتّباع المنهج التّطوّريّ التّأصيليّ الذي يدرس نشوء الكلمات، ويتتبّع سيرورتها التاريخيّة، أو يردّها إلى أصولها الأولى؛ فاللّغة نظام متجدّد خاضع لنواميس تفرضها المتطلّبات التّعبيريّة المتغيّرة بتغيّر الأزمنة والأمكنة وظروف الحياة.

---

[1] -منقور عبد الجليل، علم الدلالة – أصوله ومباحثه في التّراث العربي، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، (د.ط)، 2010م، ص20. تنويه: كان الصّواب استعمال الباحث منقور عبد الجليل لمصطلح (علم المعنى) بدل(علم المعاني) عند التّرجمة؛ لأنه يخاطب القارئ العربيّ الذي يشير عنده مصطلح(علم المعاني)-بالجمع -إلى أحد فروع علم البلاغة. وعليه فالتّرجمة الحرفيّة لما هو في النّص الفرنسيّ تشوّش الفهم، ووجب مراعاة الخلفيّة الفكريّة والمعرفيّة للمتلقّي العربيّ.

[2] -ينظر: نفسه، ص21.

انتقل هذا المصطلح إلى اللّغات الأوروبيّة الأخرى، وظهرت محاولات بعض الدّارسين والمشتغلين بالمعنى وقضاياه، منها أعمال اللّسانيّ الألمانيّ **إبسن Ipsen** سنة 1942م الذي قام بتصنيف مجموعة من الكلمات التي تنتمي إلى اللّغات الهندو أوروبيّة ويجمعها معنًى واحد أو إطار دلالي يتعلّق بموضوع الغنم(مولدها وأشكالها وتربيتها)، كما سار على نهجه اللّسانيّ الألمانيّ **هروكوت Heraucourt** الذي قام بدراسة مجموعة من الكلمات المتّصلة بالقيم الأخلاقيّة في شعر أب الشّعر الإنجليزيّ **تشوسر Chaucer**، أكبر الشّعراء الهزليّين في تاريخ الأدب الإنجليزيّ في القرن الرابع عشر، وفي محاولة مشابهة أنشأ اللّسانيّ الألماني **تريير Trier** دراسة لمجموعة الألفاظ المتّصلة بالذّكاء بناءً على نصوص ألمانيّة تعود للعصور الوسطى.

ومن الدّراسات التي تتبّعت المعنى واهتمّت به دراسة للأمريكيّ **استيوارت تشيز Stuart Chase** سنة 1938م بعنوان **"طغيان الكلمات" "The Tyranny of Word"** عرض فيها لمشكلة المعنى، وحاول الإجابة عن جملة تساؤلات منها: هل يعرف (س) من الناس عمّ يتحدّث (ع) بدقّة؟ وهل (س) نفسه يعرف بوضوح عن أيّ شيء يتحدّث؟ وكيف تتفاهم العقول؟ ومتى تسيء الفهم؟ (يرى أنّ كثيرا من الأزمات الدوليّة تحدث نتيجة سوء الفهم)، وله دراسة قيّمة أخرى بعنوان **"سلطة الكلمات" Power of Words** تبحث مسألة الكلمات وتأثيرها على الجماعة، وحالات إساءة استعمالها(1955م). والملاحظ أنّ المنهج الجديد الذي أقرّه **دي سوسير De Saussure** ونقصد المنهج الوصفي كان هو المعتمَد في جلّ تلك الدّراسات؛ إذ كانت لآرائه الوقع الأكبر والتّأثير الأظهر في إرساء دعائم علم الدّلالة الحديث.

تناول سوسير المعنى من خلال تقديم تصوّره الثلاثي لمفهوم اللّغة:

La Parole-La Langue-Le Langage، والتّصوّر الثّنائي للعلامة اللّغويّة: الدال/المدلول Signifier/Signified؛ إذ إنّ العلاقة الحقيقيّة تقوم بين الكلمة وتصوّرها، ومنه، فالقيمة أو معنى الكلمة يظهر في العلاقة المتبادلة بين الكلمة بوصفها

أصوات(صورة سمعية) ومفهوم أو فكرة، وأنّ كليهما يستدعي الآخر، أضف إلى ذلك أنّ معنى الكلمة شيء غير ثابت، وهو متغيّر دائما باختلاف الزمان والمكان، وقيمتها تتوقف على وجودها في علاقات مع الكلمات الأخرى[1].

لقد شكّل تصوّر سوسير للمعنى الأساس الذي بنى عليه كلّ من الناقديْن الإنجليزييْن **أوجدن**Ogden **وريتشاردز**Richards كتابهما ذائع الصّيت: "**معنى المعنى**" "**The Meaning of Meaning** "؛ فقد مثّلت الأطروحات اللّغويّة فيه مسارا اتّبعته أغلب دراسات المعنى في أوربا وأمريكا.

إنّ علمَ الدّلالة جزءٌ من النّظريّة اللّسانيّة العامّة، يفترض استيفاء ثلاثة شروط في كلّ عنصر مكوّن له، وهي حسب الباحثة **راث كيمبسون Rath Kimbson**[2]:

-يجب أن تصف النّظريّة طبيعيّة معنى اللّفظ ودلالة الجملة لأيّة لغة، وأن يفسّر ماهية العلاقة بينهما.

-يجب أن تعلّل مسألة الغموض وتعدّد المعنى والاستلزام والتّناقض والاندراج المنطقي وغيرها، وأن تعطى لكلّ لغة مصيبا من إمكان التّنبّؤ.

-يجب أن تتمّ صياغة الأوصاف في صورة مجموعة محدودة من القواعد تضبط الانتظام الواقع.

1-3/ "دلالة" أم "معنى": تراوح استعمال الباحثين العرب المحدَثين لهذا العلم بين مصطلَحَيْ: (علم الدّلالة) و(علم المعنى) على اعتبار أنّ المعنى هو الدّلالة، إلّا أنّ أكثرهم راح يستعمل (علم الدّلالة) مقابلا لنظيره الأجنبي؛ "لأنّه يعين على اشتقاقات فرعيّة مرنة نجدها في مادّة (الدّلالة: الدال-المدلول-المدلولات– الدّلالات– الدّلالي)"[3]، إضافة إلى أنّه

---

[1] -ينظر: كريم زكي حسام الدين، أصول تراثيّة في اللسانيات الحديثة، دار الرشاد للطباعة، القاهرة، ط3، 2001م، 245-240.

[2] -ينظر: راث كيمبسون، نظرية علم الدلالة (السيمانطيقا)، تر.عبد القادر قنيني، دار الأمان– الرباط، منشورات الاختلاف-الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون-بيروت، ط1، 1430هـ /2009م، ص14.

[3] -فايز الدّاية، علم الدلالة العربيّ، ص9.

لفظ عامّ يرتبط بالرّموز اللّغويّة وغير اللّغويّة، أمّا مصطلح "معنى" فلا يعني إلا اللّفظ اللّغويّ بحيث لا يمكن إطلاقه على الرمز غير اللّغويّ، كما أنّه مستعمل كتسميّة لأحد فروع علم البلاغة ألا وهو علم المعاني(بالجمع).

2-تعريف الدّلالة: (الدّلالة) **لغة** من الجذر اللّغويّ**[د ل ل]**. جاء في لسان العرب: دَلَّهُ عَلَى الشَّيء يَدُلُّهُ دَلّا وَدَلالَةً فَانْدَلَّ: سَدَّدَهُ إليه. والدَّلِيلُ مَا يُسْتَدَلُّ به، والدَّلِيلُ: الدَّالُّ، وَقَدْ دَلَّهُ عَلَى الطَّرِيقِ يَدُلُّهُ دَلَالَةً وَدِلَالَةً وَدُلُولَةً، وَالفَتْحُ أَعْلَى. وَالاسْم: الدّلالة والدّلالة بالكَسْرِ وَالفَتْحِ، وَ الدُّلُولَة والدِّلّيلِي. وقَالَ سِيْبَوَيْه: وَالدِّلِيلِّيُ عِلْمُهُ بِالدّلالة وَرُسُوخُهُ فِيهَا[1]. و بذلك فالإطار العامّ لهذه المادّة اللّغويّة هو الإرشاد و الهداية والتّوجيه إلى الطريق أو الشّيء، والإلمام بجوانبه.

أمّا **اصطلاحا** فالدّلالة كما يعرّفها **أبو البقاء الكفويّ**(ت1094ه) في **كلّياته** قائلا: " وَالدّلالة كَوْنُ الشَّيْءِ بِحَيْثُ يُفِيدُ الغَيْرَ عِلْمًا إذَا لَمْ يَكُنْ فِي الغَيْرِ مَانِعٌ(...) والدّلالة أعَمُّ مِنْ الإرْشَادِ وَالهِدَايَةِ"[2].

أمّا **علم الدّلالة Semantics** مصطلحا مستقلّا فقد جمع له اللّغويّ أحمد مختار عمر تعريفات بعض الدّارسين بقوله إنّه:" دراسة المعنى، أو العلم الذي يدرس المعنى، أو ذلك الفرع من علم اللّغة الذي يتناول نظريّة المعنى، أو ذلك الفرع الذي يدرس الشّروط الواجب توافرها في الرّمز حتّى يكون قادرا على حمل المعنى"[3].

3-محاوره:

لقد أجمعَ أغلبُ اللّسانيّين والدّلاليّين المحدَثين على تحديد محاور الدَّرس الدّلاليّ وفق النطاق اللّسانيّ الآتي:

---

[1]-ابن منظور، لسان العرب، مادة[د ل ل].

[2] -أبو البقاء الكفويّ، الكليّات معجم في المصطلحات والفروق اللّغويّة، تح. عدنان درويش ومحمد المصريّ، مؤسّسة الرّسالة، بيروت-لبنان، ط2، 1419ه/1998م، ص139.

[3]-أحمد مختار عمر، علم الدّلالة، عالم الكتب، القاهرة-مصر، ط6، 1427ه/2006م، ص11.

* محور الدّلالة: ويشمل دراسة المعنى وأنواعه، والحقول الدّلاليّة، والسّياق والتحليل الدّلالي.

* محور العلاقات الدّلاليّة: ويشمل التَّرادف والاشتراك والتَّضاد والفروق الدّلاليّة وتدرُّجاتها وكذا تتبُّع حركية الثروة اللّفظية وامتداداتها.

* محور التغيُّر الدّلاليّ: ويتناول أسبابَ هذا التغيُّر وعوامله وأشكاله ومجالاته في ذلك، ومباحث المجاز والاستعارة مما له علاقة بالمعنى وتغيراته[1].

وجدير بالذِّكر هنا، أنَّ أغلب هذه المباحث إنْ لم نقل كلّها تضمَّنَتها ثنايَا كتبنا اللّغويّة التراثيّة وزخرت بها، على وجهٍ يجعلنا – وبدون مبالغة-ننسب علم الدّلالة إلى اللّغويّين العرب القدامى؛ إذ تناولوا هذه المباحث بإفاضة وتوسُّع كبيرين، تنقصهم في ذلك-فقط-المنهجية العلمية الدقيقة وطريقة التناوُّل والعرض المنظَّمين، وهذا طبعًا قبل مئات السِّنين من ظهوره عند اللّسانين الغربيّين المحدَثين، وهذا ما ستكشف عنه فصول المحاضرات الآتية.

[1]-ينظر: أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، دار الفكر، دمشق-سوريا، ط1، 1996م، ص 284.

المحاضرةالثانية: الدّلالة في تراث العربيّة(1)
النّحاة واللّغويّون والأصوليّون

مهاد:

شكّل تراثنا العربيّ على مختلف الأصعدة والتّوجّهات العلميّة والثّقافيّة، وفي عديد البيئات والمشارب التّصوّريّة والفكريّة، زخما تأليفيّا واسع النّظير، سعى في منتهاه إلى خدمة الدِّين ولغة كتابه المقدّس"القرآن الكريم"، وعُدَّ البحث في اللّغة العربيّة وفروعها مدخلا للعلوم الدّينيّة والشّرعيّة من فقه وأصول وتفسير للقرآن الكريم والحديث النّبويّ الشّريف وغيرها من العلوم، كُلٌّ بحث وحلّل واستقصى حسب تصوّره ومبتغاه، لنجد أنفسنا أمام فيْض من المصنّفات الدّسمة بشتى المباحث والأبواب اللّغويّة والأدبيّة والنّقديّة وغيرها، تجمع بين النّظر والإجراء؛ ومرامنا– ههنا-استنباط القضايا الدّلاليّة منها، وتبيّين ملامح النّظريّات والمحاور الدّلاليّة الحديثة الكامنة بين ثناياها، ولأنّ تلك القضايا كثيرة ومختلفة سنقتصر على أشهر المسائل الدّلاليّة التي اشتركت في بحثها نماذج منقاة من علمائنا الأجلّاء في بيئات علمّية وفكريّة متنوّعة، ولعلّ أظهر تلك المسائل: علاقة اللّفظ بالمعنى، والدّلالة الإفراديّة والتّركيبيّة، وأنواع الدّلالة، والسّياق وأهميّته في تحديد الدّلالة المقصودة وتداولية الحدث الكلاميّ، ومختلف الظواهر الدّلاليّة كالتّرادف، والمشترك اللّفظي، والأضداد، ولن تكون الدّراسة استقصائيّة تتبّعيّة بل انتقائيّة لمقتطفات ندلّل بها على عمق التّناول وعراقة الفكر الدّلاليّ وامتداده تاريخيّا إلى ذلك الزّمن.

لا شكّ أنّ إسهامات علمائنا القدامى في مجال البحث اللّغويّ عموما والدّلاليّ على وجه خاص كانت ولازالت مجالا خصبا للبحث والتّدارس والفخر؛ إذ تؤكّد جلّ الدّراسات الحديثة على علوّ باعهم وفسيح عطائهم ودقّة نتاجهم في القضايا المعرفيّة لاسيما

اللّغويّة منه، و سنخصّ منها ذكرا جانبها الدّلاليّ الذي يعكس خصوصيات الفكر التّراثيّ اللّساني في بيئات عدّة.

1-الدّلالة في بيئة النّحاة واللّغويّين:

لقد تنبّه قدّماء العرب من الباحثين والدّارسين للّغة على اختلاف مشاربهم، إلى جملة قضايا هي من صميم البحث الدّلاليّ، منها العلاقات الدّلاليّة، من مشترك لفظي وأضداد، وترادف، وغيرها، كما تبدّى لديهم مفهوم الحقول الدّلاليّة إجراءً لا نظرا، من خلال الرسائل اللّغويّة ومعاجم الموضوعات، وعلاقة اللّفظ بمعناه، وأنواع دلالات اللّفظ، والتّنبّه الواضح لأهميةّ السّياق بنوعيْه، فمن قبيل هذه المسائل على سبيل المثال لا الحصر، الإشارة إلى الفرق الواضح بين دلالة اللّفظة مفردة، ودلالتها في السّياق؛ فقد لاحظوا البَوْن الشّاسع بين الدّلالتيْن في معظم الأحيان وإن لم يرد هذا بعبارة صريحة، غالبا؛ فنجد ملاحظاتهم عن الفرق بين الدّلالتين مبثوثة بين ثنايا مؤلّفاتهم وبالإمكان تلمّسها بالنّظر في القضايا التي درسوها والأمثلة والشّواهد التي ساقوها للتدليل والشّرح والتّأكيد على صحة ما ذهبوا إليه، وللملاحظة ذلك، سأنتقي أمثلة لبعض العلماء واللّغويّين من أعلام التّراث تمثيلاً لا حصرًا واستقصاءً، من باب توضيح وتأكيد رسوخ هذه الفكرة عندهم لا غير؛ فهذا **الخليل بن أحمد**(ت175 ه) في معجمه(**العين**)، أوّل معاجم العربيّة فيما وصلنا، يفسّر مواد معجمه بطرق عدة ووسائل جمّة، من أهمّها "التفسير بالسّياق"، من ذلك قوله في مادة[ب د ع]: "والِبدعُ: الشّيء الذي يكون أوّلاً في كلّ أمر، كما قال عزّ و جلّ: ﴿ **قُلْ مَا كُنتُ بِدعًا مِنَ الرُّسُلِ** ﴾[1] أي: لست بأوّل مرسَل، وقال الشاعر[2]:

[1] -[الأحقاف: 9].

[2] -من المتقارب، ولم أجد قائله.

فَلَسْتُ بِبِدعٍ مِنَ النَّائِبَاتِ # وَنَقْضِ الخُطُوبِ وَ إمرَارِهَا..." [1]

فهو هنا كما في كثيرٍ من المواد التي شرحها في معجمه يؤكّد معنى ما ذهب إليه، وذلك بأن يدخل اللّفظة في تركيب ينسجم والمعنى الذي يراه، كأنْ يكون هذا السّياق آية قرآنية كريمة أو حديثا نبويًا شريفًا أو بيتًا شعريًّا أو مثلا معروفًا وغيرها من أساليب الاستشهاد والبرهنة؛ ففي المثال السّابق قام بتسييق لفظة (البِدع) في الآية الكريمة مؤكّدا المعنى الذي أورده قبلاً، ثم دعّم ذلك بشاهدٍ شعريٍّ، وهذا يصوّر لنا أهميّة الاستعمال وتسييق المفردة محلّ الدراسة عند الخليل.

أمَّا **سيبويه** (ت180 ه) فيبيّن أثر السّياق في توجيه المعنى بقوله:" يقول الرجل: أتاني رجل، يريد واحدًا في العدد لا اثنين، فيقال: ما أتاك رجل، أي أتاك أكثر من ذلك أو يقول: أتاني رجل لا امرأة، فيقال: ما أتاك رجل، أي امرأة أتتك، ويقول: أتاني اليوم رجل، أي في قوته ونفاذه، فتقول: ما أتاك رجل، أي أتاك الضعفاء، فإذا قال: ما أتاك أحد، صار نفيا [عامًّا] لهذا كلّه" [2].

فمن خلال تعدّد السّياقات تتعدّد المعاني لأداة واحدة من أدوات النفي في العربيّة هي(ما)؛ إذ " لا غرابة في أنّ التحليل النحويّ في العربيّة يعتمد في بعض جوانبه على فهم المعنى الذي يحدّده السّياق، فقد وجد في العربيّة كثير من الأدوات التي تتّحد صيغتها وتتعدّد معانيها واستعمالها، ووُجد التّضمين في الأفعال حيث يستخدم فعل في معنى فعل آخر، وغير هذا وذاك مما يعتمد في تحليله على فهم سياقه، وليس كلّ هذا لبس أو

[1] -الخليل، معجم العين، تح. مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي، وزارة الثقافة والإعلام دار الرشيد للنشر، الجمهورية العراقية، (د.ط)، 1882م، مادة [ب د ع].

[2] -سيبويه، الكتاب، تح. عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط1، (د. ت)، 55/1.

غموض؛ لأنّ الاستخدام اللّغويّ في السّياق يكشف عن كلّ هذه الجوانب كشفًا واضحًا بتقديم وسائل الترابط الخاصّة بأجزاء التراكيب في بناء الجملة "[1].

وفي الباب الذي عنونه بـ(هذا باب ما يضمر فيه الفعل المستعمل إظهاره بعد حرف) نجد سيبويه يقدّر المحذوف من الجملة وفق السّياق اللّغويّ بقوله:"وذلك قولك: الناس مجزيون بأعمالهم إن خيرًا فخير وإن شرًّا فشرّ، و المرء مقتول بما قتل به، إن خنجرًا فخنجر وإن سيفًا فسيف، وإن شئت أظهرت الفعل فقلت: إن كان خنجرًا فخنجرٌ، وإن كان شرًّا فشرٌّ، ومن العرب من يقول: إن خنجرًا فخنجرًا، وإن خيرًا فخيرًا، وإن شرًّا فشرًّا، كأنّه قال: إن كان الذي عمل خيرًا جزي خيرًا وإن كان شرًّا جزي شرًّا، وإن كان الذي قتل به خنجرًا كان الذي يقتل به خنجرًا"[2]. فظاهر أنّ سيبويه قد راعى في تقديره المحذوف أو المضمر في الجملة معطيات السّياق وموجبات التركيب.

واستكمالاً في تقصّي مظانّ مباحث الدّلالة في الرُّكام اللّغويّ العربيّ، من السَّهل أن نجد اللّغويّ والنّحويّ **ابن جني**(ت392هـ) وقد تَبدَّت عنده على سبيل المثال أهميّة السّياق أثناء بحثه مسوّغات حذف الصّفة مشيرًا إلى ما يعرَف حديثاً بـ: **التنغيم** ودوره في رصد الدّلالة؛ فقد كان " مِن أوائل مَن استشعر أهميّة التنغيم في أدائه دور القرينة النحويّة، وإن جاء كلامه عنه عَرَضًا عند حديثه عن حذف الصّفة ودلالة الحال عليها"[3]. يقول:" وقد حُذِفَت الصّفة ودَلَّت الحالُ عليها، وذلك فيما حكاه صاحب الكتاب، من قولهم: سِيرَ عليه ليل، وهم يريدون: ليلٌ طويلٌ، وكان هذا إنَّما حُذفَت فيه الصّفة لَمَّا دلَّ من الحال على موضعها، وذلك أنَّك تحسُّ في كلام القائل لذلك من

[1] -محمد حماسة عبد اللطيف، بناء الجملة العربية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (د.ط)، 2003م، ص 11.

[2] -سيبويه، الكتاب، 1/ 258.

[3] -محمد محمد يونس علي، وصف اللّغة العربية دلاليًا في ضوء مفهوم الدلالة المركزية-دراسة حول المعنى وظلال المعنى، مطابع اديتار، منشورات جامعة الفتح، الجماهيرية العظمى، (د.ط)، 1993م، ص313.

التطويح والتطريح والتفخيم والتعظيم ما يقوم مقام قوله (طويل) أو نحو ذلك، وأنتَ تحسّ هذا من نفسك إذا تأمَّلته، وذلك أن تكون في مدح إنسان والثَّناء عليه، فتقول " كان والله رجلاً " فتزيد في قوة اللّفظ بـ (الله) وتتمكَّن من تمطيط اللام وإطالة الصوت بها وعليه، أي: رجلاً فاضلاً أو شجاعًا أو كريمًا أو نحو ذلك، وكذلك تقول: سألناه فوجدناه إنسانا! وتمكِّن الصوت بـ (إنسان) وتفخِّمه، فتستغني بذلك عن وصفه بقولك: إنسانًا سمحًا أو جوادًا أو نحو ذلك(...)، فَعَلَى هذا وما يجري مجراه تحذف الصّفة، فأمَّا إن عُرِّيَت من الدّلالة عليها من اللّفظ أو من الحال فإنَّ حذفها لا يجوز... "[1].

ونستشف من كلامه تنبّه لأهمية التّلوين الصوتيّ المصاحِب للملفوظ اللّسانيّ، وإدراكه لدوره الدّلاليّ في فهم كثيرٍ من القضايا النحويّة والأسلوبيّة كالفصل بين كَوْنِ الجملة تقريرية أو استفهامية أو غير ذلك.

وفي (باب زيادة الحروف وحذفها) أشار ابن جنيّ وأشاد بالسّياق ودوره في ترجيح أحد المعنييْن، فتكلّم في البدء عن القياس بقوله:" و هذا هو القياس: ألَّا يجوز حذف الحروف ولا زيادتها، ومع ذلك فقد حُذفت تارةً وزِيدَت أخرى "[2] وفي هذه الزيادة أو الحذف (إجحاف وانتهاك) حسب تعبيره، ومن جملة الأمثلة التي ساقها عن الحذف، حذف همزة الاستفهام في بيت ابن أبي ربيعة[من الخفيف][3]:

ثُمَّ قَالُوا: تُحِبُّهَا، قُلتُ: بَهرًا # عَدَدَ القَطرِ وَالحَصَى وَالتُّرَابِ

---

[1] -ابن جنيّ أبو الفتح عثمان، الخصائص، تح. محمد علي النجار، عالم الكتب، بيروت، (د.ط)، (د. ت)، 370/2-371.

[2] -نفسه، 280/2.

[3] -الشّطر الثاني في الدّيوان: **عَدَدَ النَّجمِ وَالحَصَا وَالتُّرَابِ**. عمر بن أبي ربيعة، ديوانه، الهيئة المصرية العامّة للكتاب، (د.ط)، 1978م، ص30.

وعليه علّق قائلاً:" أَظهَر الأمريْن فيه أن يكون أراد (أتحبّها) لأن البيت الذي قبله يدلّ عليه، وهو قوله[1]:

أَبرَزُوهَا مِثلَ المَهَاةِ تَهَادى # بَينَ خَمسٍ كَوَاعِبٍ أَترَابِ

ولهذا ونحوه نظائر، وقد كثُرت"[2]. إذن، فقد توسّل ابن جنيّ السّياق اللّغويّ وتجسَّد ذلك في أمريْن؛ الأوّل: حذف همزة الاستفهام لدلالة التنغيم عليها، أو طريقة إلقاء هذا الاستفهام التي أَغنَت الشاعرَ عن ذِكر الأداة، والآخر: دلالة البيت الذي قبله على هذا المعنى، و تجدُر الإشارة إلى أنّه في كثير من الأحيان كان النّحاة يُقدِّرون الأدوات في مثل هذه الحالات بهدف رَدّ المعاني إلى عناصر لغويّة، تدرك في المدوَّن من العبارات و الجُمل.

يعتمد فهم الخطاب في الاستعمال الشفويّ بشكل كبيٍر على التنغيم أو سياق الكلام، و من ثمّة يُبسَط المعنى و تُتَرجَم الرِّسالةُ بطريقةٍ شبه تلقائية، أمَّا في النّصوص المكتوبة فإنَّ اللّغة تحملُ عبءَ الرِّسالة كلّها، وبخاصة تراثنا العربيّ الذي يحتاج منَّا إلى جهد كبير لفهمه، لأنه جاءنا مكتوبًا غير منطوق حتى تتَّضح فيه العلاقات بالتنغيم؛ إذ إنّ القول الشفويّ يفقد الكثير من حركته و حيويته و دفئه حين يقيّد بالكتابة أو الطباعة، أي يفقد الوسائل التي تُعين على فهم النّص وتحديد المعنى، ومنها الصِّفات النطقية التي لا يمكن تقييدها كتابةً، بل يُستعاض عنها بعلامَات الترقيم التي تُعَيِّن إلى حدٍّ ما الدّلالة في النّص المكتوب، و تكون الأدوات الواردة في التركيب إحدى أنجع

[1] -ابن جني، الخصائص، 280/2.

[2] -نفسه، 281/2.

الوسائل لتبيين العلاقات، و إظهار الوشائج، وبالتّالي توصيل المعنى، " لأنَّ التّراث مكتوب تتَّضح فيه العلاقات بالأدوات و ليس منطوقًا تتَّضح فيه العلاقات بالنّغمات "[1].

كما نلقى ابن جنّي في نصّ آخر يتناول بعبارة صريحة أهميّة **القرينة** في اللّغة، وكيف أنها تمثّل طريقة من طرق الاستدلال قائلاً: " مَن قال إنَّ اللّغة لا تعرف إلَّا نقلًا فقد أخطأ، فإنَّها قد تعلم بالقرائن أيضًا، فإنَّ الرجلَ إذا سَمِعَ قول الشاعر[من البسيط][2]:

قَومٌ إِذَا الشَّر أَبدَى نَاجِذَيهِ لَهُم طَارُوا إِلَيهِ زَرَافَاتٍ و أحدَانَا

يعلم أنَّ الزرافات بمعنى الجماعات"[3]، والقرينة في هذا البيت هي لفظة (أُحدانا)، فمصاحبتها للفظة (زرافات) و وُرودها معها في السّياق ذاته نحا بها إلى معنى الجماعات، أي أنَّ الشّر إذا لاح بقومٍ طاروا إليه جماعات و فُرادى.

2-الدّلالة في بيئة الأصوليّين:

قدّم علماء أصول الفقه نماذج متقدّمة جدّا في تعاملهم مع اللّغة بوصفها منظومة من العلامات اللّسانية الدّالّة الخاضعة في حركيتها الخطابيّة إلى قوانين ضابطة لأداء الوظائف الدّلاليّة، وكانت ميزة أعمالهم تلك الدّقة والموضوعيّة والسبب هو اتّخاذهم القرآن الكريم منطلقا لاستنباط أحكامهم الفقهيّة العامّة، بالاستناد إلى الأحكام اللّغويّة: "فلمّا كانت علوم الدين تهدف إلى استنباط الأحكام الفقهيّة ووضع

[1] -تمّام حسّان، اللّغة العربية معناها و مبناها، ص 228.

[2] -الشاعر هو: قريط بن أنيف، شرح ديوان الحماسة، التبريزيّ، تح. محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة حجازي بالقاهرة، (د.ط)، (دت)، 15/1.

[3] -ابن جني، الخصائص، 270/2.

القواعد الأصوليّة للفقه، اهتمّ العلماء بدلالة الألفاظ والتّراكيب، وتوسّعوا في فهم معاني نصوص القرآن والحديث"[1].

ولعلّ أُوْلَى الدّراسات الأصوليّة وأشهرها، ممّا يهمّ الدّراسة، تلك التي قام بها **الشّافعيّ**(ت204هـ) الذي يعدّ أوّل مَن وضع مباحث علم أصول الفقه، خاصّة في كتابَيْه:(**الرسالة**) و(**أحكام القرآن**)؛ فنظرا لسعة اطّلاعه على العربيّة وعلومها، فقد تناول العامّ والخاصّ، وطرق تخصيص الدّلالة وتعميمها بتوظيف القرائن اللّفظية والعقليّة، وكيفيّة استنباط الأحكام الشرعيّة بناءً على التحليل المستند إلى النقل، غالبا، ومقارنة النّصوص ببعضها، وإسناد بعضها ببعض في إثبات الدّلالة، ومن إشاراته الباهرة إلى قضايا الدّلالة تأكيده على العلم بمعاني اللّغة واتّساع لسانها، في إشارة إلى المجاز ودوره، وتنبيهه إلى أنّ الكلام قد يخرج عن ظاهره كما يخرج عن عمومه، وطريقة معرفة ذلك هي القرينة اللّفظيّة، يقول:"فإنّما خاطب الله بكتابه العرب بلسانها على ما تعرف من معانيها، وكان ممّا تعرف من معانيها اتّساع لسانها، وأنّ فطرته أن يخاطب بالشّيء منه عامّا ظاهرا يراد به العامّ الظّاهر، ويستغني بأوّل هذا منه عن آخره، وعامّا ظاهرا يراد به العامّ ويدخله الخاصّ، فيستدلّ على هذا ببعض ما خوطب به، وعامّا ظاهرا يراد به الخاصّ، وظاهرا يعرف في سياقه أنّه يراد به غير ظاهره(...) وتسمّي الشيء الواحد بالأسماء الكثيرة، وتسمّي بالاسم الواحد المعاني الكثيرة "[2]، وهو هنا يضع بين أيدينا تقسيما واضحا لأصناف اللّفظ والدّلالة، وهي اللّفظ العامّ، واللّفظ الخاصّ، واللّفظ المشترك، واللّفظ المترادف، كما كانت له إشارات دقيقة إلى مفهوم السّياق ودوره في رصد الدّلالة القصد في كلام العرب بقوله:"وتبتدئ الشّيء من كلامها يبيّن أوّل لفظها فيه عن آخره، وتبتدئ الشيء يبيّن آخر لفظها منه عن أوّله[3]، وهو ما نادت به

[1] - منقور عبد الجليل، علم الدلالة، ص 19.

[2] - الشافعيّ(محمد بن إدريس)، الرسالة، تح. أحمد محمد شاكر، دار النشر أنجاد، (د.ط)، (د.ت)، ص52.

[3] - ينظر: الشافعي، الرّسالة، ص52.

أشهر النّظريات الدّلاليّة الحديثة "نظرية السّياق" التي سآتي على تفصيلها في موضعها من الدّروس.

وتباعًا للشافعيّ نجد **السرخسيّ**(ت490هـ) يستدلّ بالسّياق اللّغويّ لتأكيد معنى ما يذهب إليه كأن تكون أداة الاستدلال آية سابقة أو لاحقة للآية التي يبحثها، كما في قوله تعالى: ﴿ **فَأَيُّ الفَرِيقَينِ أَحَقُّ بِالأَمنِ**﴾ [الأنعام:81]؛ إذ علّق عنها في أصوله مستندًا على آية لاحقة لها بقوله:" والمراد أحدهما بدليل قوله ﴿**الذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إيمَانَهُم بِظُلمٍ**﴾"[1]، وفي سياق حديثه عن **المشترك** يجعل طلب المراد منه في شيئين اثنين ليس إلَّا، الأوّل؛ هو النظر إلى الصّيغة، أمّا الآخر فهو الوقوف على دليل آخر به يتبيَّن المراد، فالمشترك بحسب نظره " ما يحتمل معاني على وجه التّساوي في الاحتمال مع علمنا أنَّ المراد واحد منهما لا جميعها (...) و لطلبه طريقان؛ إمَّا التأمّل للصّيغة ليتبيّن به المراد أو طلب دليل آخر يُعرَف به المراد، وبالوقوف على المراد يزول معنى الاحتمال على التّساوي"[2]، وهو يقصد بالتّأمل في صيغة الكلام السّياق اللّغويّ، وللتوضيح ساق المثال الآتي:(غصبت من فلان شيئاً)، وهو عبارة عن إقرار من المتكلّم موجب به حقًّا للمقولة، إلاَّ أنّه في كلمة (شيئاً) احتمال في كلّ موجود على التساوي-حسب قوله -وما يزيل هذا الاحتمال و يرجّح دلالة بعينها هو التأمُّل في صيغة الكلام؛ إذ بها " يُعلَم أن مراده (المال) لأنه قال (غَصِبتُ) وحكم الغصب لا يثبت شرعًا إلاَّ فيما هو مال"[3]، وبالتالي فلفظة (غصبت) محدِّد دلاليّ به تمَّ تعيين دلالة (الشيء) في العبارة.

زيادة إلى تعرّضه لظاهرة **الأضداد** واعتماده على السّياق لتعيين إحدى الدّلالتين كما في لفظ (القرء) في قوله تعالى: ﴿**ثَلاَثَةَ قُرُوء**﴾[البقرة:228]التي حدّدها بمعنى الحِيَض

[1] -السرخسيّ، أصول السرخسيّ، تح. أبو الوفا الأفغاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1414هـ /1993م، 162/1.

[2] -نفسه، 163/1.

[3] -السّرخسي، أصول السّرخسي، 163/1.

دون الأطهار، لأنّ للّفظة دلالتين مأخوذتين من استعمالين لها، إحداهما من القرء الذي هو الاَجتماع ودَلّل عليه بقوله تعالى﴿ **فَإِذَا قَرَأنَاهُ فَاتَّبِع قُرآنَهُ**﴾ [القيامة:18]، وقول الشاعر[من الوافر][1]:

هِجَانِ اللَّونِ لَم يَقرَأ جَنبِيًا

يقول معلّقًا:" وهذا المعنى في الحيض أحقّ، لأنّ معنى الاجتماع في قطرات الدّم على وجه لابدَّ منه ليكون حيضًا، فإنه ما لم تمتدّ رؤية الدّم لا يكون حيضًا (...) وقال آخر:(لَهُ قُرءٌ كَقُرءِ الحَائِضِ) فذلك بزمان الحيض أَليَقُ، لأنّه هو الوقت المعلوم الذي يحتاج إلى علامة لمعرفة ما تعلّق به من الأحكام..."[2]، وأمَّا القرء الذي هو من معنى الانتقال، فهو كقولك: قرأ النجمُ إذا انتقل، " فحقيقة الانتقال تكون بالحيض لا بالطُّهر، إذ الطُّهر أصل، فباعتبار صيغة اللّفظ يتبيّن أنَّ حمله على الحيض أَحَقُّ"[3]، ويقصد بـ(صيغة اللّفظ) هنا وفي أغلب كتابه صيغة الكلام أو سياق الجملة و الكلام.

لقد شمَّر الأصوليّون عن سواعدهم وشحذوا هِمَمَهُم من أجل بلوغ غاية كبرى هي استنباط الأحكام والتمكّن منها بأقصى وجوه الدّقة، لأنّهم بصدد كتاب إلهيّ مقدّس ومنزَّه، فكانت اللّغة وسيلتهم والتبحُّر فيها وسبر أغوارها وأسرارها مطلبًا، وكان من أشهرهم في ذلك **أبي حامد الغزاليّ** (ت505 ه) الذي انطوت مصنَّفاته على كثيرٍ من المباحث اللّغويّة؛ فمِن أبرز ما ألمح إليه موضوع **القرينة**، أهميتها وأنواعها؛ لأنها في نظره أداةٌ طيّعة لتقرير المعاني، فقسَّمها على أقسام ثلاثة، وحدَّد لكلِّ قسمٍ منها دوره ومجاله يقول: " ويكون طريق فهم المراد تقدّم المعرفة بوضع اللّغة التي بها المخاطَبَة، ثمَّ إن نصًا

---

[1] -ورد في الديوان: **ذِرَاعَي عَيطَلٍ أَدمَاءَ بِكرٍ# هِجَانِ اللَّونِ لَم تَقرَأ جَنبنًا**، ديوان عمرو بن كلثوم، دار صادر للطباعة و النشر، بيروت، ط1، 1996م، ص54.

[2] -السرخسيّ، أصول السرخسيّ، 199/1.

[3] -نفسه، و ينظر: السرخسيّ، المبسوط، دار المعرفة، بيروت، (د.ط)، 1406ه، 153/3، و 14.13/6.

لا يحتمل، كفى معرفة اللّغة، وإن تطرّق إليه الاحتمال فلا يعرف المراد منه حقيقة إلّا بانضمام قرينة إلى اللّفظ، والقرينة إمَّا لفظ مكشوف كقوله تعالى: ﴿ **وَآتُوا حَقَّهُ يَومَ حَصَادِهِ**﴾ [1]، والحقُّ هو العُشُر، وإمَّا إحالة على دليل العقل، كقوله تعالى: ﴿ **وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدرِهِ وَالأَرض جَمِيعًا قَبضَتُهُ يَومَ القِيَامَةِ وَالسَّمَاوَات مَطوِيَاتٌ بِيَمينِهِ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشرِكُون**﴾ [2](...) وإمَّا قرائن أحوال... "[3].

وفي مسألة تعارض اللّفظ بين معناه الحقيقيّ والمجازيّ، أو هل المقصود باللّفظ في موضع ما وتركيب ما معناه الحقيقيّ أم المجازيّ، اتّخذ الغزاليّ الفيصل في ذلك وجود قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي والانتحاء إلى المعنى المجازيّ؛ " فاللّفظ للحقيقة إلى أن يدّل الدليل أنّه أراد المجاز ولا يكون مجملاً[•] كقولك: رأيت اليوم حمارًا، واستقبلني في الطريق أسد، فلا يُحمَل على البليد والشجاع إلا بقرينة زائدة، فإن لَم تظهر فاللّفظ للبهيمة و السَّبع... "[4].

ومن قبيل مسائل الدّلالة عند الأصوليّين كذلك دلالة الألفاظ على المعاني كتقسيم **الغزاليّ** المستنبط من قوله:" فإن تناولت كلّ المعنى فالعلاقة بين اللّفظة ومعناها علاقة مطابقة، وإن تناولت جزء المعنى فهي علاقة تضمّن، أمّا إذا تناولت شيئا

---

[1] -[الأنعام:141].

[2] -[الزمر:67].

[3] -الغزاليّ، المستصفى من علم الأصول، تح.محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1413ه/ 1993م، ص 185.

(•)-يقول الغزاليّ عن **المجمل**: "إذا أمكن حمل لفظ الشارع على ما يفيد معنيين، وحمله على ما يفيد معنى واحدا وهو مردّد بينهما فهو مجمل" المستصفى، ص189، وينظر أيضًا: المنخول من تعليقات الأصول، تح.محمد حسن هيتو، دار الفكر، دمشق، ط2، 1400ه/ 1980م، ص164، 168.

[4] -الغزالي، المستصفى من علم الأصول، ص190.

خارجا عنها ملاصقا لها، فهي علاقة التزام"[1]؛ فاللّفظة المفردة في علاقة دائمة مع معناها، سواء أكان ذلك التّعالق تامّا فيتحقّق **التّطابق**(لفظ البيت = معنى البيت)، أو أن يكون التّعالق جزئيّا فيتحقّق **التّضمّن**(لفظ البيت يساوي جزء من معنى البيت- السقف)، أو أن يكون التّعالق وجوبيّا فيتحقّق **الالتزام**(لفظ البيت= جزء من جزء المعنى– الجدار)، وفي تقسيم آخر يقسّم الألفاظ إلى أربعة أصناف هي المترادفة، والمتباينة، والمتواطئة، والمشتركة[2]، وهي تقسيمات عرفها الدّرس الدّلاليّ الحديث.

ومن إشاراته الباهرة ممّا تدعو إليه بعض النظريّات الدّلاليّة لاسيما التداوليّة منها المساق أو سياق الموقف الذي اتّسع نطاقه في تصوّره ليشمل أغلب عناصره في صورته الحديثة؛ يقول:" إنَّ قصد الاستغراق يعلم بعلم ضروريٍّ يحصل عن قرائن أحوال ورموز وإشارات وحركات مِنَ المتكّلم وتغيّرات في وجهه، ولأمورٍ معلومةٍ من عادته ومقاصده، وقرائن مختلفة لا يمكن حصرها في جنسٍ و لا ضبطها بوصفٍ، بل هي كالقرائن التي يعلم بها خَجَلُ الخَجِلِ ووَجَلُ الوَجِلِ وجُبْنُ الجَبَانِ، وكما يعلم(قصد المتكلّم) إذا قال: السّلام عليكم، إنَّه يريد التّحية أو الاستهزاء واللّهو، ومن جملة القرائن(فعل المتكلّم) فإنَّه إذا قال على المائدة: هات الماء، فُهِمَ أنَّه يريد الماء العذب البارد دون الحارّ الملح (...) أمَّا قولهم ما ليس بلفظ فهو تابع للّفظ فهو فاسد، فمن سلم أنَّ حركة المتكلّم وأخلاقه وعادته وأفعاله وتغيّر لونه وتقطيب وجهه وجبينه وحركة رأسه وتقليب عينيه، تابع للفظه، بل هذه أدلّة مستقّلة يفيد اقتران جملةٍ منها علومًا ضروريّة، فإن قيل فَبِمَ عرفت الأمّة عموم ألفاظ الكتاب والسنّة إنْ لم يفهموه من اللّفظ، وبِمَ عرف الرّسول من جبريل، وجبريل من الله تعالى حتّى عممّوا الأحكام؟!، قلنا: أمَّا الصّحابة رضوان الله عليهم، فقد عرفوه بقرائن أحوال النّبي عليه السّلام وتكريراته،

[1] -السّيد أحمد عبد الغفار، التّصوّر اللّغويّ عند علماء أصول الفقه، دار المعرفة الجامعيّة، الإسكندريّة، (د.ط)، 2007م، ص94.

[2] - ينظر: الغزاليّ، المستصفى من علم الأصول، ص31-32.

وعاداته المتكرّرة، وعَلِمَ التّابعون بقرائن أحوال الصّحابة وإشاراتهم ورموزهم وتكريراتهم المختلفة(...)"[1]، ومن هذا المقتبس نستخلص الآتي:

-وعي الغزاليّ بقرائن الحال بمختلف أشكالها لدرجة عدم إمكانية حصرها أو ضبطها.

-تنبّهه لمصاحبات المتكلّم الفيزيولوجيّة من رموزٍ وإشارات وحركات وتغيّرات وجهه وغيرها، ودورها في بلوغ القصْد، وهي إشارة منه إلى ما يسمّى بمساعدات الكلام.

-إشارته إلى " ملابسات الموقف " من خلال ذكره " قصد المتكلم " ومثل له بقول المتكلّم: السّلام عليكم"، أي أنّه أشار إلى شخصيّة المتكلّم وإلى قصده إنْ تحيّة أو استهزاء أو أيّ غرض آخر.

-من جزئيات ملابسات الموقف أيضًا " فعل المتكلّم" وعنَى به ظروف الكلام.

-إعلاؤه شأن ملابسات الموقف أو ظروف الخطاب وحالة المتكلّم الفيزيولوجية أو مساعدات الكلام و سمّاها بـ (ما ليس بلفظ)، وأقرّ بدورها المهمّ والضّروريّ والمستقل، في الآن ذاته، في بلوغ الدّلالة المرجوّة، فهي ليست تبعًا لّلفظ بل" أدلّة مستقلّة يفيد اقتران جملة منها علومًا ضروريَّة"[2].

-إدراكه لدور قرائن أحوال النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم وعاداته، ثمّ قرائن أحوال الصّحابة رضوان الله عليهم وعاداتهم المتكرّرة ورموزهم وإشاراتهم(...) في معرفة عموم ألفاظ الكتاب والسّنة ممّا لَمْ يُفهَم من اللّفظ.

[1] -الغزاليّ، المستصفى من علم الأصول، 1/ 228، وينظر: نفسه، 1/ 185.

[2] -ينظر : نفسه، 1/ 108.

ومن القواعد الأصوليّة، ممّا يهمّنا ههنا، قاعدة أنّه" إذا اجتمعت الإشارة والعبارة واختلف موجبهما غلبت الإشارة"[1]، وعليه نرى الغزاليّ يقدّم في بعض الحالات القرائن الحاليّة على المقال ذاته " ومثاله أنّا نعرف عشق العاشق لا بقوله بل بأفعال هي أفعال المحبّين من القيام بخدمته، وبذل ماله وحضور مجالسه لمشاهدته وملازمته في تردّداته، وأمور من هذا الجنس، فإنَّ كلّ واحدٍ يدلّ دلالة لو انفرد لاحتمل أنْ يكون ذلك لغرض آخر يضمره، لا لحبّه إيَّاه لكن تنتهي كثرة هذه الدّلالات إلى حدٍّ يحصل لنا علم قطعيٌّ بحبّه وكذلك ببغضه إذا رُؤِيَت منه أفعال يُنتِجُها البُغْضُ"[2]، أي إنَّه لا يُعْتمَدُ على قرينةٍ حاليّةٍ واحدة منفردة، بل وجب أخذ كلّ الأفعال التي هي قرائن حاليّة بعين النّظر، واتّخاذها بمجموعها دليلاً واحدًا، وهو ما يمكن أنْ نسمّيه، تجوّزًا، بـ:((تضافر القرائن الحاليّة)).

وفي المضمار ذاته يطالعنا **مجد الدين بن تيمية** (ت 728 ه) حاملاً لواء الباحث عن المعنى المترصّد للوسائل المؤدّية إليه، فقد أَجمَلَ ثلاثة عناصر تجسّد الطريق إلى المعنى، بقوله:" سبب الخطاب إمَّا سؤالُ سائل أو غيره، وغير السُّؤال إمَّا أمرٌ حادِث أَو أَمرٌ باقٍ (...) فجهات معرفة مراد المتكلِّم ثلاثة في كلام الشَّارع، وكلام العباد من حالف وغيره، أحدها: العلم بقصده من دليل منفصلٍ كتفسير السُّنة والكتاب، وتخصيص العموم، وقول الحالف: أردتُ كذا، والثاني: سبب الكلام وحال المتكلّم، والثالث: وضع اللّفظ مفردة ومركّبة، ويدخل فيها القرائن اللّفظية..."[3]، وتفاعل هذه الأمور الثلاثة فيما بينها ينتج معنا قصد المتكلّم، ويدعِّم وجهة نظره الفائتة في كتابه (الاستقامة) الذي يرى فيه أنه باختلاف القرائن تختلف الدّلالات، فيكون القصد -حينئذٍ -تابعًا للقرائن؛ حيث "

[1] -السّيوطيّ، الأشباه والنّظائر، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 1403 ه، ص 314

[2] -الغزاليّ، المنخول من تعليقات الأصول، ص 47.

[3] -ابن تيمية، المسودة في أصول الفقه، تح. محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربيّ، بيروت، (د.ط)، (د.ت)، ص131.

تختلف الدّلالة بالقرائن الحالية والمقالية..."[1]، ومن الأمثلة التي فَعَّلَ فيها ابن تيمية القرينة وكانت أداته في دحض تفسيرات وإقامة أخرى، بعض الأحاديث النبويّة الشريفة التي وقع فيها إشكال بين جموع المفسِّرين والفقهاء والخوارج والمعتزلة والسُّنة وغيرها، فأَوضَحَ وجهةَ نظره فيها مُستَدِلاً بالقرائن، ومن تلك الأحاديث قوله صلى الله عليه وسلم:((**سُبَابُ المُسلِمِ فُسُوقٌ وقِتالُهُ كُفرٌ**))[2]، وقوله كذلك:((**لاَ تَرجِعُوا بَعدِي كُفَّارًا يَضْرِب بَعضُكُم رِقَابَ بَعْضٍ**))[3]؛ فقد فُسِّرَ الكفر فيهما تارةً بكفر النّعمة، وتارةً أخرى على سبيل المبالغة والتغليظ وغيرها من الدّلالات التي أسقطها ابن تيمية، وأكَّد أنَّ معنى الكفر في الحديثين هو: الكفر المطلق والأعظم والمُخرِجُ عن المِلَّةِ بخلاف الإيمان، أي إنَّه ذهب إلى معناه الشرعيّ الظاهر والذي جانَبَه غيره من المفسِّرين والفقهاء " ذلك لقرائن انضمَّت إلى الكلام، ومَن تأمَّلَ سياق كلِّ حديثٍ وجَدَهُ معه، وليس هنا شيءٌ يُوجِبُ صرفه عن ظاهره، بل هنا ما تقرِّره على الظاهر"[4].

كانت هذه نماذج منتخبَة تؤكّد أنَّ الأصوليّين وَهُم بصدَدِ استقراء النّصوص الشّرعية من الكتاب والسُّنة، رأوا أنّه مِنَ الضَّروري معرفة طُرُق دلالة النّص على معانيه وأحكامه، فَسَعَوا إلى التَّفريق بين وجوه الدّلالات لاختلاف السّياقات، وعَدُّوا النّص القرآنيّ خطابًا متكاملاً متماسكَ الأجزاء يفسِّر بعضه بعضًا، وينسجم بعضه مع بعضٍ دلاليًا، واتَّخذوا من القاعدة المنهجية (أحسن تفسير للقرآن هو القرآن ذاته) أساس ضبط الدّلالات من أجل غايةٍ قُصوَى هي تقدير الأحكام و التكاليف الشرعية.

---

[1] -ابن تيمية، الاستقامة، تح. محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود، المدينة المنوّرة، ط1، 1403هـ، 10/1.

[2] -ينظر: صحيح البخاري، 27/1 و 2247/5، وصحيح مسلم، 81/1.

[3] -ينظر الحديث بتمامه في صحيح البخاري، 619/2، وصحيح مسلم، 81/1 -82.

[4] -ابن تيمية، شرح العمدة، تح. سعود صالح العطيشان، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1413هـ، 82/4، وينظر: نفسه، 78/4 – 83.

وأشار كثيٌر منهم إلى ضرورة التنبُّه إلى أنَّ أوّل الآية ينبئ عن آخرها، وآخرها عن أوّلها، وأنَّ الاحتكام إلى القرائن المقالية طريق مضمون، في مُجمَلِهِ، في ترشيح معنى الألفاظ العادية، وفي انتقاء دلالة بين دلالات لفظة من المشترك اللّفظيّ أو إحدى دلالتَي لفظة متضادَّة، وكانوا، في غالبهم، يحتفون بالدّلالة التركيبية وإن تصوَّروا الدّلالة المفَرَدَة خطوة لازمة، لكن على أهميتها لا يمكن بحالٍ من الأحوال الوقوف عند حدودها فقط، فهي آلية أولى لخدمة خطوة ثانية.

المحاضرة الثالثة: الدّلالة في تراث العربيّة(2)
الفلاسفة والمتكلّمون والبلاغيّون

1-الدّلالة في بيئة الفلاسفة والمتكلّمين:

في مقاربة التّراث العربيّ الفلسفيّ، وبنظرة فاحصة لبعض متونه، تطالعنا أسماء نوّعت تناولاتها لمباحث اللّغة عامّة، والدّلالة تحديدا، ومن هؤلاء مثلا الفيلسوف **ابن سينا**(ت427هـ) الذي يتميّز التحليل الدّلالي عنده بوقوفه على البعديْن النّفسيّ والذّهنيّ المصاحبيْن للعملية الدّلاليّة؛ فهو يكثر من ذكر الوجود الذّهنيّ للعلامات اللّغويّة، وارتسامها في النّفس والخيال؛ إذ يتمّ نقل المفاهيم المكنونة في الذّهن للمدلولات في العالم الخارجي إلى أدوات دالّة كالألفاظ والكتابة، كما يقسّم اللّفظ اللّغويّ بحسب الإفراد والتّركيب والتّأليف، وبحسب الكليّ والجزئيّ، ثمّ تراه يبين عن اللّفظ الخاص واللّفظ المشترك والجامع بين الصّفتيْن، إضافة إلى أنّه يقسّم الدّلالة إلى ثلاثة أقسام: دلالة مطابقة هي التّطابق الحاصل بين اللّفظ وما يدلّ عليه كالإنسان الذي يدلّ على الحيوان الناطق، ودلالة تضمّن فهي ما يتضمّنه اللّفظ من معان جزئيّة تدخل في ماهيته كقولك: الإنسان فإنّه يتضمّن الحيوان، ودلالة التزام تحتاج إلى أمر خارجي لعقد الصّلة بين الدّال ولازمه، مثل دلالة الأب على الابن والسّقف على الحائط[1].

أمّا في بيئة **المتكلّمين**(نسبةً إلى علم الكلام) فنجد **الباقلانيّ**(ت403هـ) وقد أشار إلى ما يُعرَف في علم الدّلالة **بالرَّصف** أو **التَّضام** في معرض دراسته للجانب الإعجازي في سورة النّمل؛ إذ أشاد بالحسن في اللّفظ القرآني مفردًا كان أو في التركيب؛ فاللّفظة المفردة فيها من الجمال والرونق ما يزداد بتسييقها أو ضمّها إلى أخواتها في تجاورٍ تركيبيٍّ أفقيٍّ. يقول في هذا: "وانظر إلى الكلمات المفردة القائمة بأنفسها في الحسن، وفيما

[1] -للتّوسّع أكثر في المسائل الدلاليّة في فكر ابن سينا، ينظر: منقور عبد الجليل، علم الدّلالة، ص168 -176.

تتضمَّنه من المعاني الشريفة (...) ثمّ انظر في آية آية وكلمة كلمة، هل تجدها كما وصفنا من عجيب النظم وبديع الرَّصف؟!، فكلّ كلمة لو أُفردَت كانت في الجمال غاية، وفي الدّلالة آية، فكيف إذا قارنتها أخواتها، وضامَّتها ذواتها، ممَّا تجري في الحسن مجراها وتأخذ في معناها"[1]؛ فالمفردات القرآنية مزية بأنفسها بما لها مِن شرف المعاني فما بالك في حال ضمّها بعضها إلى بعض، في تعاقب وتسلسل قواعديّ ودلاليّ في جُمَلٍ هي آيات فَسُوَر.

ونجد **فخر الدين الرازيّ** (ت606هـ) يؤكّد وفي أكثر من موضع على أهميّة الدّلالة التركيبيّة أو دلالة اللّفظة في حواليتها اللّسانية مقارنةً بمقابلتها المفردة المنعزلة؛ فـ"...ليس الغرض من وضع اللّغات أن تُفاد بالألفاظ المفردة معانيها "[2] إدراكًا منه لاختلاف دلالة اللّفظة من سياق لآخر ومن استعمال لغيره، فتتبدَّى الفائدة من الكلام في التركيب؛ إذ " ذِكرُ الكلمات وحده بمثابةِ نعيق الغراب في الخُلوّ من الفائدة "[3] ممَّا يعني أنْ لا طائل من الكلمة خارج سياقها، وهو شعار أصحاب "المعنى في الاستعمال"، غير أنّه في موضع آخر يمنح الكلمات المفردة أهمّيةً كبيرةً باعتبارها اللَّبِنَات الأولى لكلّ تركيبٍ، وأساسًا لكلّ بناءٍ جُمَليّ، ذلك أنَّ "مدلول الألفاظ المركَّبة ليس إلَّا المُرَكَّب الحاصل من المفردات التي هي مدلولات الألفاظ المفردة"[4]. كما أشار باستفاضة إلى العلاقات الدّلاليّة؛ منها مثلا الترادف، فذكر أن ألفاظ التّرادف هي:" الألفاظ الدّالة على مسمًّى واحد باعتبار واحد"[5]، وعلّل سبب وجودها في اللّغة، وضرب أمثلة لها، كما ذكر في مصنّف آخر له أنّه

---

[1] -الباقلانيّ، إعجاز القرآن، تح. السيّد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، ط5، (د.ت)، ص 190.

[2] -فخر الدين الرازيّ، المحصول في علم أصول الفقه تح. طه جابر فياض العلواني، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط1، 1400 هـ، 267/1.

[3] -فخر الدين الرازيّ، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، تح. بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، ط1، 1985م، ص149.

[4] -فخر الدين الرازيّ، المحصول في علم أصول الفقه، 336/1.

[5] -نفسه، 253/1.

قد تكون الألفاظ تقترب من أن تكون مترادفة، ولكنّ التّأمّل التّام يداّ على الفرق اللطيف ومثاله (الرّؤوف) و(الرّحيم)؛ فالأولى أميل إلى جانب إيصال النّفع، والثانية أميل إلى جانب دفع الضّرر[1]، كما بحث ظاهرة المشترك اللّفظي، وحدّه بأنّه "اللّفظ الموضوع لحقيقتيْن مختلفتيْن أو أكثر وضعا أوّلا من حيث هما كذلك"[2]، وبيّن دور السّياق في تجلية ما يمكن أن يقع من غموض المشترك:"اللّفظ المشترك إمّا لأن توجد معه قرينة مخصّصة أو لا توجد، فإن لم توجد بقي اللّفظ مجملا لما ثبت من امتناع حمله على الكلّ، وإن وجدت القرينة فتلك القرينة إمّا أن تدلّ على حال كلّ واحد من مسمّيات اللّفظ"[3].

2-الدّلالة في بيئة البلاغيّين:

إنَّ المتصفِّح لكتب البلاغةِ العربيّة القديمةِ – لامناص – يلاحظ ذلك الاهتمام الواضح بقضايا الدّلالة؛ فعند تصفّح كتاب**(البيان والتّبيين) للجاحظ**(ت255ه)، نجده قد ذكر غير مرّة أنه من الواجب مراعاة الظرف ومناسبته، والأخذ في الحسبان المشاركين في الحدث الكلاميّ؛ إذ يقول: "وكما لا ينبغي أن يكون اللّفظ عاميًّا، وساقطًا سوقيًّا، فكذلك لا ينبغي أن يكون غريبًا وحشيًا؛ إلَّا أن يكون المتكلّم بدويًا أعرابيًا، فإنّ الوحشي من الكلام يفهمه الوحشي من الناس كما يفهم السوقي رطانة السوقي، وكلام الناس في طبقات كما أنّ الناس أنفسهم في طبقات" [4]، ويقول في موضع آخر:" ومدار الأمر على إفهام كل قوم بمقدار طاقتهم، والعمل عليهم على أقدار منازلهم، وأن تواتيه آلته، وتتصرف معه أداته"[5]، كما يقابلنا نصّ **لابن المقفّع** (ت145ه) في مصنّف الجاحظ،

[1] -فخر الدين الرّازيّ، مفاتح الغيب(التفسير الكبير)، دار الفكر، بيروت-لبنان، ط1، 1981م، 143/1.

[2] -فخر الدين الرازيّ، المحصول في علم أصول الفقه، 261/1.

[3] -نفسه، 279/1.

[4] -الجاحظ، البيان والّتبيين، تح. فوزي عطوي، دار صعب، بيروت، ط1، 1968، 144/1.

[5] -نفسه، 93/1

وهو يشير فيه إلى المقام في سياق تفسيره لمعنى البلاغة؛ حيث قال:" البلاغة اسم جامع لمعان تجري في وجوه كثيرة، فمنها ما يكون في السّكوت، ومنها ما يكون في الاستماع، ومنها ما يكون في الإشارة، ومنها ما يكون في الحديث، ومنها ما يكون في الاحتجاج (...) فأمّا الخُطَب بين السّماطين، وفي إصلاح ذات البين فالإكثار في غير خطل والإطالة في غير إملال، وليكن في صدر كلامك دليل على حاجتك، كما أنَّ خير أبيات الشّعر البيت الذي إذا سمعت صدره عرفت قافيته (...) فقيل له: فإنْ مَلَّ المستمع الإطالة التي ذكرت أنّها حقُّ ذلك الموقف، قال: إذا أعطيت كلّ مقامٍ حقّه وقمت بالذي يجب من سياسة ذلك المقام، وأرضيت من يعرف حقوق الكلام، فلا تهتمّ لِمَا فاتك من رضا الحاسد والعدو، فإنّه لا يُرضيهما شيء، وأمّا الجاهل فلست منه وليس منك، ورضا جميع الناس شيء لن تناله، وقد كان يُقال:(رضا النّاس شيء لا ينال)، قال: والسنّة في خطبة النّكاح أنْ يطيل الخاطب ويقصر المجيب"[1].

ومن كلامه نستشفّ أنّ:

1-الإشارة أحد وجوه البلاغة.

2-التقيّد بموضوع الكلام وعدم الخروج عنه، وفي ذلك مراعاة الحدث الكلاميّ نفسه ومتلقّيه.

3-مراعاة المقام بإعطائه حقّه وإرضاء المتلقي، مطلبان أساسيّان لابن المقفّع ودليلان على إدراكه أهميّة العناصر غير اللّغويّة.

4-اختلاف أثر الحدث الكلاميّ في نفوس المتلقّين باختلاف نوع علاقتهم بالمتكلّم، فردّة فعل الحاسد أو العدوّ غيرها عند آخرين مع أنَّ الكلام نفسه.

[1]-نفسه، 1 / 76.

5-تفطّنه للعناصر المكوّنة للمُرسَلة من: متكلّم ومتلقّ وخطاب، و ردّ فعل حسب العلاقة بين طرفَيْ الرّسالة، أو أثر الكلام في المتلقّين أو المشاركين، كما أشار ابن المقفّع إلى حالة المتكلّم و وضعيته أثناء الكلام، وقربه أو بعده من المخاطَبين وأثر ذلك في نفسيّة المتكلّم؛ أي التّفاصيل الحافّة بالكلام والمتكلّم[1]، وهي كلّها عناصر غير لغويّة نادى بمراعاتها السّياقيّون والتّداوليّون.

كما نرصد مباحث الدّلالة ممّا يستفاد من تعريف **الرمَّانيّ**(ت384ه) للبيان في قوله:" والبيان هو الإحضار لما يظهر به تمييز الشيء من غيره في الإدراك والبيان على أربعة أقسام: كلام، وحال، وإشارة، وعلام"[2]؛ فقصد بالكلام السّياق اللّغويّ، في مقابل الحال والإشارة والعلامة التي تدخل ثلاثتها ضمن السّياق غير اللّغويّ.

لقد تمظهر الجهد الدّلاليّ بشكلٍ أوسع عند **عبد القاهر الجرجانيّ** (ت473ه) الذي مَثَّلَ **النَّظْمُ** عنده أجلى مظاهر الدرس اللّغويّ، من خلال كتابه (**دلائل الإعجاز**)؛ فقد كان يرنو من خلاله إلى الكشف عن إعجاز القرآن الكريم من زاويةٍ لسانيةٍ أسلوبيةٍ، بلغة الحاضر، وأثناء ذلك تعرَّض إلى مواضيع تحوم في جُلِّها حول قيمة اللّفظ في حالَتَيهِ الإفراديّة والتركيبيّة، وكذا صلته بالمعنى، وكان النظم أساسًا لنظريته " **نظرية النَّظْم** " التي تنبني بشكلٍ محوريٍّ على(معاني النحو) أمَّا باقي لَبِنَاتِها فقد عبَّرت عنها المصطلحات الآتية: التعليق، و الترتيب، والبناء، و الوجوه والفروق.

---

[1]-وذلك عندما سئل عن معنى قول عمر بن الخطّاب رضي الله عنه:" ما يتصعّدني كلام كما تتصعّدني خطبة النكاح" فقال:" ما أعرفه إلا أن يكون أراد قرب الوجوه من الوجوه، ونظر الحداق من قرب في أجواف الحداق؛ ولأنه إذا كان جالسا معهم كانوا كأنهم نظراء وأكفّاء، وإذا علا المنبر صاروا سوقة ورعيّ" نفسه، 86/1.

[2]-الرّمانيّ، النّكت في إعجاز القرآن ضمن (ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) للرّمانيّ والخطابيّ وعبد القاهر الجرجانيّ، تح. محمد خلف الله أحمد و محمد زغلول سلام، سلسلة ذخائر العرب(16)، دار المعارف، مصر، ط4، (د. ت)، ص 106.

إنَّ نظريةَ النَّظمِ تهتم بالنّص الأدبيّ ككيانٍ له بنيانه داخل النظام اللّغويّ، المؤلَّف من وحدات متضامَّة بعضها إلى بعض، في المواقع اللائق بها في التركيب لِمَا يقتضيه السّياق بأبعاده النحويّة والدّلالة، ومفهوم ضمِّ الكلم بعضه إلى بعض وفقَ تجاوٍر تركيبيّ هو مبدأ في الفصل بين قيمة اللّفظ في حالتَيه الإفرادية والتركيبية؛ إذ يعدم الجرجانيّ أيّ معنىً للكلمة ما دامت منفردة إلَّا إذا ضُمَّت إلى مجموع الكَلِمِ مع تناسق دلالاتها بعضها ببعض، ذلك أنَّ الألفاظ "... لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجرّدة، و لا من حيث هي كَلِم مفردة، وأنَّ الألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها في ملاءمة معنى اللّفظة لمعنى التي تليها، أو ما أشبه ذلك ممَّا لا تعلُّق له بصريح اللّفظ "[1]، وهذه نظرة مهمّة من نظرات الوجهة السّياقية التّداوليّة؛ لأنَّ إشارته لأهمية الفرق ما بين المعنيَيْن: الإفرادي والتركيبي، دليل على أنّه لا يُعنَى بالأوّل وإنّما يهمُّه الثاني، لأنه يريد أن ينفذ من الدّلالة المباشرة إلى الدّلالة غير المباشرة، ولا يعود النظم بأيَّة حال في معنىً من معانيه إلى الدّلالة المباشرة، كما أنَّ إعطاءه الأوّلوية كلّها للدلالة في الحوالية اللّسانية ينمُّ عن فكرٍ حداثيٍّ مُتَّقِدٍ، يلتقي في جوانب كثيرة بما وصلت إليه الأبحاث والدّراسات اللّغويّة والدّلاليّة الحديثة والمعاصرة.

إنّ السّياق عند الجرجانيّ هو نقطة البدء، وليس الكلمة، وكما يقول محمد عزَّام عنه إنه يعدُّ " الجملة أو التركيب لا الكلمة المفردة، هي الوحدة اللّغويّة الأساسية، وعليها يمكن تطبيق القواعد النحويّة والبلاغية، أمَّا الكلم المفرد فليس لها معنى حتَّى بحدِّ ذاتها، وإنَّما معناها في سياقها الذي ترد فيه، أو في تضامِّها مع جارته "[2] عندها فقط يمكن التعبير، وعليه فإنّه من الواجب رصد السّياق أوّلاً ثمّ البحث عن الألفاظ

[1] -عبد القاهر الجرجانيّ، دلائل الإعجاز، تح. محمد التنجي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1420ه/1999 م، ص 54، و ينظر: نفسه، ص55-56، 59.

[2] -محمد عزام، (نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجانيّ)، مجلة الموقف الأدبي، س:29، ع: 347، آذار 2000م، ص 25.

وعلاقاتها ثانيًا، فلا مزية للمفردة خارج التركيب إلَّا أن تنضمّ فتؤثر وتتأثّر بمحيطها لتكتسب معنًى مناسبًا.

ولا يمكن تتالي الألفاظ وتجاورها في نظر الجرجانيّ إلَّا إذا حصل تتالي المعاني وترتيبها في الذِّهن أوّلًا، وهو ما يمكن تسميته بـ(تسييق المعاني قبل الألفاظ)، فيقول محاورًا:" أتتصوَّر أن تكون معتبرًا مفكّرًا في حال اللّفظ مع اللّفظ حتى تضعه بجنبه أو قبله، وأن تقول: هذه اللّفظة إنمّا صلُحَت هاهنا لكونها على صفة كذا، أم لا يُعقل إلاَّ أن تقول: هذه اللّفظة صلُحَت ها هنا لأنّ معناها كذا، ولدلالتها على كذا، و لأنَّ معنى الكلام والغرض فيه يوجب كذا، و لأنَّ معنى ما قبلها يقتضي معناها؟(...). إنَّ الألفاظ إذا كانت أوعيةً للمعاني فإنّها لا محالة تتبع المعاني في مواقعها"[1]، وقد قادته هذه الفكرة إلى فكرة "التّعليق النحويّ" أو ارتباط ألفاظ التركيب بعلاقات نحوية بها يتمّ الفهم والإفهام؛ فاللّغة عنده "... ليست مجموعة متجاورة من الكلمات، بل هي شبكة مترابطة من العلاقات، لكلّ علاقة منها دلالتها وخصوصيتها، وينبغي بذل جهد للوصول إليها "[2]

و راح يقسّم الكلام على ضربين؛ ضرب "أنتَ تصل منه إلى الغرض بدلالة اللّفظ وحده (...)، وضرب آخر أنتَ لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللّفظ وحده ولكن يدلّك اللّفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللّغة، ثمّ تجد لذلك المعنى دلالةً ثانيةً تصل بها إلى الغرض، ومدار هذا الأمر على: الكناية والاستعارة والتّمثيل"[3]، والمعنى الثاني هو ما يسمّيه:(معنى المعنى) أو(المعاني الثواني) والتي تشكِّل المعاني الأُوَل الجسور إليها، ولا يمكن للمتلقي ولا للمتكلّم الوصول إليها دون المرور عبر المعاني الأُوَل، فَهُمَا " لن يستطيعا العبور إلى المعنى الثاني ما لَم تكن بينهما أرضية حضارية مشتركة، يعتمد عليها

[1] -عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 58.

[2] -محمود أحمد نحلة، في البلاغة العربية علم المعاني، دار العلوم العربية، بيروت-لبنان، ط1، 1410هـ/ 1990 م، ص 29.

[3] -عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص203.

المتكلم في تنضيد هذا المعنى من جهة، ويثرب إليها المخاطَب في تأويله من جهة أخرى، ويتضافر مع هذا -أخيرًا -أن يكون السّياق الكلاميّ وسياق الموقف مرشحين للعبور من المعنى المباشر إلى معنى المعنى"[1].

لا يقرّ الجرجاني بأدبيّة الدّال بحكم أنَّ الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي كَلِم مفردة، بل من خلال عقد العلاقات الإبداعية في السّياق، ويتمّ التحقّق من أدبية الدّال المفرد فعليًا وعمليًا " برصد الدّال في السّياق ثم رصده في سياق آخر، فبرغم التّوافق في المرتين، يكون الناتج الدّلالي متغيرًا تبعًا للعلاقات التركيبية "[2]، ولولا التّعليق النحويّ بين مكوّنات الملفوظ أو الحوالية اللّسانية والذي يؤول إلى ناتجٍ دلاليٍّ لأصبحت الدوال أشتاتًا معجميةً لا أهميّة لها في العملية الإبداعية التّواصلية.

لقد رام من تأليف كتابه(دلائل الإعجاز) إثبات إعجاز القرآن الكريم من زاوية لسانيّة نحويّة دلاليّة، وهو إذّاك، تناول ضمنًا مباحث دلاليّة متنوّعة منها قيمة اللّفظ في حالتَيْه الإفراديّة والتّركيبيّة، وعلاقة اللّفظ بالمعنى. يقول:"إنّ الألفاظ إذا كانت أوعية للمعاني فإنّها لا محالة تتبع المعاني في مواقعها، فإذا وجب لمعنًى أن يكون أوّلا في النّفس وجب اللّفظ الدّال عليه أن يكون مثله أوّلا في النّطق"[3]. كلّ فعل كلاميّ تتمّ معه عمليتان؛ إحداهما سابقة تتمثّل في انتظام المعاني في الذّهن ويصحبها حسن انتقاء الدّلالات المناسبة للموقف الكلامي، أمّا الأخرى فتتمثّل في انتظام المعاني في ألفاظ وتراكيب بأنساق مختلفة، ويقول في موضع آخر معبّرا عن قضية دلاليّة ذات صلة أقرّها الدّرس الحديث، وتتمثّل في اكتساب اللّفظة دلالة عند تسييقها أي وضعها في تجاور

[1] -عز الدّين إسماعيل، (قراءة في "معنى المعنى " عند عبد القاهر الجرجانيّ)، مجلة الفصول، مج:7، ع: 3 -4، أبريل -سبتمبر 1987 م، ص 41.

[2] -محمد عبد المطلب، البلاغة العربية قراءة أخرى، طبع في دار نوبار للطباعة، القاهرة، ط1، 1997م، ص113 – 114.

[3] -عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص58.

سياقي ألفاظ أخرى، ويشترط في ذلك التّناسق بين المعاني وحسن تموقع الألفاظ؛ فيقول:"فقد اتّضح إذًا اتّضاحا لا يدع للشك مجالا أنّ الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجرّدة، ولا من حيث هي كلم مفردة، وأنّ الألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها في ملاءمة معنى اللّفظة لمعنى التي تليها، أو ما أشبه ذلك ممّا لا تعلّق له بصريح اللّفظ. وممّا يشهد لذلك أنّك ترى الكلمة تروقك وتؤنسك في موضع، ثمّ تراها بعينها تثقل عليك، وتوحشك في موضع آخر"[1]، ويضرب لنا مثلا بكلمة (شيء) التي راقته حسنا في سياق بيت عمر بن أبي ربيعة[من الطويل][2]:

وَمِنْ مَالِئٍ عَيْنَيْهِ مِنْ شَيْءِ غَيْرِهِ إِذَا رَاحَ نَحْوَ الْجَمْرَةِ الْبِيضُ كَالدُّمَى

وَقَلَّ ذلك الحُسْنُ والقَبُولُ في قول المتنبي[من الطويل][3]:

لَوِ الْفَلْك الدَّوَّارَ أَبْغَضْتَ سَعْيَهُ لَعَوَّقَهُ شَيءٌ عَن الدَّوَرَانِ

والكلمة لا تحسن من حيث هي لفظ مفرد وإلّا استحقت المزيّة والشّرف أبدا، بل تأتيها مزية الجمال والقبول بحسن حالها مع أخواتها المجاورة لها في النّظم، وهذه الفكرة هي نفس ما تشير إليه نظريّة السّياق التي ترى معنى اللّفظة في سياقها، سواء كان ذلك المعنى المترشّح جميل أم قبيح فالسّياق هو الذي يفرض تلك الدّلالة.

إنّ ما رصدناه عند عبد القاهر الجرجانيّ الذي يمثّل باكورةَ العملِ البلاغيِّ الحقّ، وخلاصة الجهود البلاغية واللّغويّة في صورتها الناضجة، ليدلّل على أنّ اتجاهه اللّغويّ الدّلاليّ من خلال نظريته (نظريّة النّظم) اتّجاه علميّ يرفض أن تكون الكلمةُ أبسطَ عنصرٍ لغويّ ذي دلالة، وقوام دلالة اللّفظ إدخاله في تركيبٍ ذي علاقات نحوية، تحكم

[1] -عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص54.

[2] -عمر بن أبي ربيعة، ديوانه، شرح فايز محمد، بيروت، 1992م، ص38.

[3] -المتنبي، ديوانه بشرح أبي البقاء العكبريّ، دار صادر، بيروت، (د.ط)، 1355هـ، 247/4.

مكوّناته معاني النحو، وكما يقول أحمد عبد السّيد الصّاوي في سياق حديثه عن فلسفة عبد القاهر اللّغويّة إنّه في وُسعِ الألفاظ " بوضعها في السّياق أن تستمدَّ دلالاتها من علاقاتها بالكلمات السّابقة لها واللّاحقة بها (...) وبما يمكن أن تكتسبه في مكانها الذي وضعت فيه من إشعاعات وإضافات جديدة، ومن ثَمَّ كانت الكلمةُ المفردةُ مجرّدَ إشارةٍ إلى الصّورة الباردة للشّيء، أمَّا الكلمة المستخدَمة في سياقٍ فهي شحنة من العواطف الإنسانية والصّور الذّهنية والمشاعر الحيّة إلى جانب ما فيها من معنَى عقليّ مجّرد"[1].

[1] -أحمد عبد السّيد الصاوي، النّقد التحليلي عند عبد القاهر الجرجانيّ (دراسة مقارنة)، مطبعة الانتصار، ط3، 2002م، ص 150-151.

المحاضرة الرابعة: أنواع الدّلالة

مهاد:

إنّ اللّغة هي الجانبُ الجوهريُّ للإنسانِ، فَبِهَا نشأ وعليها دَرَجَ، وحاول منذ القديم الكشف عن سرِّ نطقه بها وكنه استعماله لها، وتوصَّل إلى أنَّها النِّظامُ الصّوتيّ للاتّصال أو التعبير الإنساني، وأنّها نسقٌ معيّن من العلاقات اللّغويّة التي تتكوّن من كِّل مركّب من الدالّ الصوتيّ والمدلول الذي هو تَمَثُّلٌ ذهنيّ لمعنًى ما، أو تصوّر لفكرةٍ ما خدمة للدلالة؛ فالأصوات تنضمّ بعضها إلى بعض، وفق نمطٍ معيّن لتُشَكِّلَ كلمات لها بنيات صرفية بعينها، وتدخل في أنساق تركيبيّة وسياقات لسانيّة لتكوّن جملاً ونصوصًا ذات محتوى دلاليّ، وهذا يعني" أنّنا ننتقل من العالم الصّوتي المجرّد إلى عالم الصّيغة حيث يمكن للأصوات أن تتجَسَّد كلمات، وتدخل إلى عالم البنية، فالنظام، فالعلاقات، وتنخلع عن كونها أصواتًا متميّزة، لتصبح دوال المعنى في انسرابه إلى التّحقيق والتعيّن"[1]، وهي في كّل هذا كُلٌّ متماسك وفي هيأةٍ واحدةٍ لا تنفصل ولا تتجزّأ في الحدث الكلاميّ والاستخدام الفعليّ للّغة؛ فالمتكلم في أيّ لغةٍ كان لا يَعِي أثناء كلامه الأنظمة الصّوتيّة والقواعد الصّرفيّة والنّحويَّة التي تتجسّد فعليًّا في جُمَلِهِ، وإنّما تظهر لا إراديًا متناسقةً متشابكةَ العُرَى فيما بينها، وحسب مخزونٍ ذهنيّ تحكمه أعرافٌ لغويّةٌ واجتماعيةٌ ثابتةٌ في واقع اللّغة، ومن أجل ذلك راح الباحثون والدارسون على اختلاف مشاربهم واتجاهاتهم يقلّبون دلالة اللّفظ ويفحصون أنواعها، وتوصّلوا إلى الأنواع التي سنذكرها تباعا.

[1] -منذر عياشي، اللّسانيات والدلالة(الكلمة)، مركز الإنماء الحضاري، حلب-سوريا، ط1، 1996م، ص53.

أنواع الدّلالة: بما أنَّ الدّلالة هي علاقةُ تضايفٍ معيّنةٍ بين الدال والمدلول، فأنواع الدّلالة تتعدّد بحسب إيجاد اختلافات في العلاقة المذكورة، وحسب وجهات النّظر معيّنة، واعتمادا على معايير المتباينة، لذلك تبدّى اختلاف بيّن بيْن العلماء بخصوص تلك الأنواع، سنعمل على إيراد أشهرها؛ إذ منها ما ينظر إلى الدّلالة حسب مستويات التّحليل اللّغويّ؛ وهي بذلك:

1-الدّلالة الصوتية: وهي دلالة تستمدُّ من طبيعة الأصوات نفسها، فتوحي بوقعٍ موسيقي معيَّن ناتج عن ضمِّ الحروف بعضها ببعض وفق نمط خاص، نحو الفعل (وَقْوَقَ) الدال على صوت الدجاج؛ إذ استمدت التَّسمية من الصوت [1]، وقد تفطّن علماؤنا القدامى لهذا النوع وسمَّوه بـ محاكاة الأصوات، والحقُّ أنَّه لا يمكن إنكار وجود مثل هكذا أمر في اللّغة، لكن في حدود ضِّيقة جدّا، إذ لو كان الأمر على هذا النحو لاتحدت ألفاظ كلِّ اللّغات ولصار لغة البشر موحَّدة.

إنّ الدّلالة الصّوتيّة لا تقتصر على طائفة ذات طبيعة خاصّة من الألفاظ في اللّغة وإنّما هي دلالة لصيقة ملازمة لأي لفظة مستعملة تتكوّن من فونيمات صامتة وصائتة، مرتّبة بشكل مخصوص يحدّد معناها ويعيّنه، وكلّ تغيير في ترتيب فونيمات الكلمة أو تبديل أحدها، سيحدث غالبا معنى مختلفا كأن تقول: (تبن) أو (بات) بدل (بنت).

2-الدّلالة الصَّرفيّة: وهي دلالة " تستفاد من بنية الكلمة وصيغتها كدلالة وزن (فِعالة) على المهنة، نحو: تجارة وحياكة، ووزن (فَعَّال) على المبالغة، نحو: قَوَّال"[2] ويؤدِّي كلُّ تغيُّر في الصِّيغة إلى تغيُّر في الدّلالة، فلو قلنا: جاء ويجيء لفهمنا من الفعل الأول أنَّ المجيء قد وقع في الزمن الماضي، ومن الفعل الثاني أنَّ المجيء يحصل في الزمن الحاضر،

[1] -ينظر: محمد التّونجي وراجي الأسمر، المعجم المفصَّل في علوم اللّغة (الألسنيات)، دار الكتب العلميّة، بيروت-لبنان، ط1، 1414هـ/1993م، 311/1.

[2] -ينظر: نفسه.

والملاحظ على هذه الدّلالة أنه لا يمكن دائما الاعتماد عليها لوحدها للوصول إلى الدّلالة الكليَّة، إذ لابُدَّ من الاتكاء على السّياق أو الحوالية اللّفظية حتى تكتسي الدّلالة الصرفية قيمتها وأهميتها، ويحدث هذا خاصة مع الأفعال، فقد يحدِّد السّياق اللّفظي الوارد فيه الفعل زمنه ولا يعتمد على صيغته أو وزنه الصَّرفي كما في جملة الشرط التي يدلُّ فيها (فَعَلَ) على الحال أو الاستقبال بحسب التركيب نحو:(إنْ قامَ زيد غدًا قمت)[1]. مثلا كلمة "ولد" لها معنًى صرفي (مورفولوجي) يعيّن بتعدّد سياقاته الصرفيّة المستعملة؛ فقد ترد هذه الكلمة اسماً مفرداً أو مثنًى أو جمع تكسير، وقد ترد فعلاً وهكذا ... ويعدّ المعنى الصرفي جزءا من معنى الكلمة الكّلي.

3-الدّلالة النّحويّة: وتتعدّد بتعدّد موقع الكلمة في التركيب؛ فقد تأتي فاعلا أو مفعولا أو مبتدأ أو خبرا... ويعدّ معناها النحوي جزءا من معناها الكلّي.

4-الدّلالة السّياقية: وتستفاد من الحواليّة اللّفظيّة للكلمة، أو جارات الكلمة من سابقاتها أو لاحقاتها، أو كليهما معًا، ويضاف لها المقام بكافّة حيثيّاته لنصل إلى المعنى الدّلالي أو المعنى المقصود[2].

ومن أشهر تقسيمات المعنى أيضا تلك التي تبنّاها أحمد مختار عمر، راصدا للمعنى خمسة أنواع هي[3]:

1-المعنى المركزيّ أو المعنى الأساسي أو التَّصوري أو المفهومي أو الإدراكي أو القاعدي، وتعدُّ هذه الدّلالة جوهرَ المَّادة اللّغويّة، والعامل الرئيسي للاتّصال اللّغويّ.

---

[1]-ينظر: تمّام حسّان، اللّغة العربية، معناها ومبناها، ص 251.

[2]-ينظر: حلمي خليل، العربية وعلم اللّغة البنيويّ-دراسة في الفكر اللّغويّ العربيّ الحديث، دار المعرفة الجامعيّة، الإسكندريّة، (د.ط)، 1988م، ص134-135.

[3]-ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص36-40. وينظر: منقور عبد الجليل، علم الدلالة، ص64.

يعرّفها نيدا(Nida) بأنّها " المعنى المتّصل بالوحدة المعجمية حينما ترد في أقلِّ سياق، أي حينما ترد منفردة ".

ولا يمكن أنْ تخضع هذه الدّلالة إلى التقعيد؛ إذ إنّ العلاقة بين الرمز والمعنى علاقة عرفية اعتباطية اصطلح عليها المجتمع دونما سندٍ منطقي.

2-المعنى الهامشيّ أو العرضيّ أو الثانويّ أو التّضمنيّ، ونعني به "المعنى الذي يملكه اللّفظ عن طريق ما يشير إليه إلى جانب معناه التّصوري الخالص، وهذا النوع من المعنى زائد على المعنى الأساسي وليس له صفةُ الثُّبوت والشمول، وإنّما يتغير بتغير الثقافة أو الزمن أو الخبرة..."[1]، فيصاحب اللّفظ عند إطلاقه ليمنح دلالةً خاصةً وحسب تجارب المتكلم أو مواقف حصلت له، وتأخذ مساحة أوسع لكونها تابعة لنوع ثقافة المتلقي ودقّة نظره، فتحوف هذه الدّلالة المختزنة في ذهن كلِّ واحدٍ بظلال تختلف باختلاف الأفراد وتجاربهم وأمزجتهم وتركيب أجسامهم وما ورثوه عن سابقيهم، فمثلا كلمة (يهودي) تحمل معنى أساسيًا هو: ذلك الشخص الذي يدين باليهودية، ومعاني ثانوية تتبادر إلى الذِّهن كالمكر والطمع والبخل والجشع...، وكلمة (امرأة) التي تحمل إضافة إلى معناها المعروف معاني أخرى كالثرثرة، وغلبة العاطفة، ورخامة الصوت، والطبع الرقيق، واستخدام البكاء، وتقلُّب المزاج ... [2].

3-المعنى النفسي: وهو معنًى فردي ذاتي شخصي مقيَّد بمتكلِّمٍ واحدٍ، فلا يأخذ طابع العمومية، ويتجلّى أكثر في نتاج الأدباء والشُّعراء[3].

[1]-أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص 37.

[2] -للتَّوسع أكثر في الدلالة المركزية والهامشية، ينظر: رنا طه رؤوف، (الدلالة المركزية والدلالة الهامشية بين اللّغويين والبلاغيين)، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، 1423هـ /2002م، ص1-11.

[3]-ينظر: منقور عبد الجليل، علم الدلالة، ص 64.

4-المعنى الأسلوبي: وهو المعنى المرتبط بالظروف الاجتماعية والثقافية والجغرافية لمستعملي اللّغة، فيكشف عن بعض المستويات كالتَّخصص ودرجة العلاقة الرابطة بين الباثِّ والمتلقِّي ورتبة اللّغة (أدبية، رسميَّة، عاميَّة، مبتذلة...)، ونوع هذه اللّغة (شعر، نثر، قانون، علم، إعلان..)، وكذا نمط الواسطة (حديث، خطبة، كتابة...). فكلمات مثل:(عقيلتك، حرمك، زوجتك، امرأتك...) تتَّفق في المعنى الأساسي العامّ لكنها تختلف بحسب الدرجة الاجتماعية للمخاطب أو مستواه الثقافي والفكري[1].

5-المعنى الإيحائي: وهو ذلك النّوع من المعنى الذي يتعلّق بكلمات ذات مقدرة خاصّة على الإيحاء نظرا لشفافيتها، وقد حصر ستيفن أولمان تأثيرات هذا النوع من المعنى في ثلاثة تأثيرات هي:

* التّأثير الصّوتي: وهو بدوره صنفان؛ تأثير مباشر كأن تدل الكلمة على بعض الأصوات أو الضّجيج الذي يحاكيه التّركيب الصّوتي للاسم، مثل: صليل السيوف، ومواء القطة، و خرير الملء، أمّا الصنف الثاني تأثير غير مباشر كالقيمة الرّمزيّة للكسرة التي ترتبط في الأذهان بالصّغر أو الأشياء الصغيرة.

* التّأثير الصّرفيّ؛ ويتّصل بالكلمات المركّبة و المنحوتة (صهصلق: من صهل وصقل).

* التّأثير الدّلالي: ويتعلّق بالكلمات المجازيّة أو المؤسّسة على المجاز أو أي صورة كلاميّة معبّرة.

وفي تقسيم آخر للدلالة وبتفريع مختلف يطالعنا مصطلح لتمّام حسّان هو "**المعنى الدّلاليّ**" أو "**المعنى الاجتماعي**" ويقصد به دلالة اللّفظة في حواليتها الخطابيّة، ويشمل هذا المعنى بدوره نوعيْن من المعنى؛ هما: المعنى المقالي والمعنى المقامي؛ أمَّا **المعنى المقالي** فيتكون بدوره من المعنى المعجمي والمعنى الوظيفي والقرائن المقالية.

[1]-ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص 38.

المعنى المعجمي: وهو معنى اللّفظة منفردة، و يتبادر إلى الذِّهن بمجرد لفظها، ويتَّفق عليه أغلب المتكلّمين، و**المعنى الوظيفي** هو معنى يستمَّد من نظام الجملة وترتيبها وحركات ألفاظها الإعرابية، أو ما يعرف بالمعاني النّحويّة كالفاعليّة والمفعوليّة والإضافة، يرى تمّام حسّان أنّ المعنى الوظيفيّ هو مجموعة من العلاقات التي تربط بين المعاني الخاصّة حتّى تكون صالحة عند تركيبها لبيان المراد منها، وذلك كعلاقة الإسناد والتّخصيص، والنّسبة والتّبعيّة، وهذه العلاقات في الحقيقة قرائن معنويّة على معاني الأبواب الخاصّة كالفاعليّة والمفعوليّة، أمَّا **القرائن المقالية** فهي كلُّ ما يرد في الجملة فيساعد على التَّمكن من المعنى.

و**المعنى المقامي** يتعلّق بظروف أداء المقال أو ما يعرف بالمحدِّدات الدّلاليّة الحالية المصاحِبَة و المطيفة بأحوال الملفوظ اللّساني[1].

[1]-ينظر: تمّام حسّان، اللّغة العربية معناها ومبناها، ص39، 41، 339.

المحاضرة الخامسة: التّغيّر الدّلالي ومظاهره

1-التّغيّر الدّلالي:

إنَّ اللّغة كائنٌ حيٌّ، يخضع لِما يخضع له أيُّ كائن حيٍّ من مراحل نشأة ونموّ وتطوُّر، وظاهرةٌ من الظَّواهر الاجتماعية، تحيا في خِضمِّ المجتمع الذي توجد فيه، وتستمدُّ وجودها منه ومن أنماطه المعيشية وتقاليده وسلوكات أفراده، فظروف الحياة المتغيّرة تفرض على اللّغة أن توافيها بحاجاتها دائمًا؛ فالأشياء المستحدثة لا بُدّ لها من وسائل لغوية جديدة للتعبير عنها، وكذلك الأفكار القديمة هي أيضا بحاجة إلى مثل هذه الوسائل حين يتناولها الفهم تناولًا حديثًا، وكلّ هذا يعني أنَّ صورة الثروة اللّفظية التي تبدو في ظاهرها ساكنة لا بُدَّ أنْ تكمِّلها صورة أخرى لثروة لفظية ديناميكية متحرِّكة، وهذا تأكيدٌ على أنَّها كائنٌ تداوليٌّ يتفاعل بتأثير من الطبيعة التَّراسلية بين المتعلّمين من ناحية، وأنّ "جدولَ اللّغة يجري من دون انقطاع..."[1] من ناحية أخرى.

ولئن كانت البنيتان النّحويّة والصّرفيّة أكثر البنى اللّغويّة استقرارا وأكثرها انصياعا لسلطة المعيار، وكانت البنية الصوتيّة في منزلة وسطٍ بين الثّبات والتّحوّل، فإنّ البنية الدّلاليّة تشكّل بين بنيات اللّغة البنية الأكثر سيولة مع الزّمن، والأشد زئبقيّة، كما يصفها عبد السلام المسدي، فهي بناءً على ذلك أقلّ البنى انصياعا لسلطة المعيار[2].

لقد اهتمَّ علماء اللّغة منذ أوائل القرن التاسع عشر بما يُعرف بـ: علم الدّلالة التاريخي[3](Semasiology) لا سيما منه تغيُّر المعنى وصور وقواعد هذا التغيّر وأسبابه

---

[1]-دي سوسير، علم اللّغة العامّ، تر. يوئيل يوسف عزيز، دار الكتب للطّباعة والنّشر، جامعة الموصل، العراق، (د.ط)، 1988م، ص163.

[2]-ينظر: عبد السلام المسدّي، العربيّة والإعراب، دار الكتاب الجديد المتّحدة، بيروت، ط1، 2010م، ص33.

[3]-علم الدلالة التاريخيSemasiology: أحد أنواع علم الدلالة، يُعنى بدراسة تغيّر المعنى وما يتّصل به من عصر إلى آخر.

وأهميَّته، وسيكون محور الدِّراسة، باعتباره أحد جوانب التطوُّر اللّغويّ، ومبحثًا هامًّا من مباحث الدّلالة، مع ملاحظة أنَّ استعمالات اللّغويّين المحدَثين لكلمة: (التطوُّر) لا يعني تقييم هذا التطوُّر والحكم عليه بالحُسن أو القبح، بالإيجاب أو السَّلب، وهذا لأنَّهم استعملوا (التَّطور) – في دراساتهم – مرادفًا لكلمة (التغيّر)[1].

يعتورُ الدّلالة التغيّرُ والتَّبدل، في أغلب اللّغات، أكثر منه على مستوى الأصوات، وهذا لأنَّ الشَّكلَ أرسخ من المضمون وأبقى في الاستعمال، ومن أجل ذلك نجد مشكلات لغتنا العربيّة المتعلِّقة بالدّلالة أكبر وأعقد بكثير من مشكلاتها اللّفظية الصوتية، وقد أشار اللّغويّون القدماء إلى التغير الدّلالي الذي لحق بجملة من الألفاظ ونصُّوا عليها، خاصةً منهم الأصوليون الذين تطرّقوا إليها في بحثهم الدّلالي، لأجل أن يتمكّن الأصوليّ " من تحديد المعنى المقصود من وراء الأساليب التي يتعرّض لها؛ فتحديد المعنى يتوقف عليه معرفة الحكم وتحديده..."[2]، إضافة إلى ما يمكننا أنْ نسمّيهم برواد التأليف في تاريخ تطور الدّلالات اللّغويّة، وعلى رأسهم: **الزَّمخشريّ**(ت538هـ) صاحب(**أساس البلاغة**) الذي وقف فيه على عنصريْن أساسيْن في الدرس الدّلالي؛ أوّلهما: أثر الاستعمال في حياة الكلمة وتعيين دلالتها، وتحديد معناها، وثانيهما: الوقوف على شيء من إيحاء الكلمة في النَّفس، وظل فحواها في الذهن، ووقعها في المخيّلة، وهذا ما لا تقدِّمه لنا المعاجم اللّغويّة[3].

لقد كان لانتقال العرب من همجية الجاهلية وعُنْجُهِيَّتِهَا إلى حضارة الإسلام ومدنيَته، ومن المحليَّة إلى العالمية – لا سِيما في العصر العباسي – الأثر الأجلّ في النهوض

---

[1]-ينظر: أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ص323 – 324.

[2]-السيّد أحمد عبد الغفّار، التّصوّر اللّغوي عند الأصوليّين، دار المعرفة الجامعيّة، الإسكندريّة، ط1، 1401هـ/1981م، ص5.

[3]-هادي نهر، علم اللّغة الاجتماعي عند العرب، ساعدت الجامعة المستنصريّة على طبعه، العراق، ط1، 1408هـ/1988م، ص85.

بلغة العرب والارتقاء بها، وما الألفاظ الإسلامية إلّا لون من ألوان هذه النهضة اللّغويّة، وذلك التَّطوُّر الذي اعتور بعض اللّفظ العربيّ القديم، فأكسبه معاني تتناسب ومتطلَّبات الدِّين والبيئة الجدِيدَين[1].

يقول **ابن فارس** في (باب الأسباب الإسلاميَّة):" فكان ممّا جاء في الإسلام ذِكْرُ المؤمن والمسلم والكافر والمنافق، وأنّ العرب إنما عرفت المؤمن من الأمان والإيمان وهو التَّصديق، ثم زادت الشريعة شرائط وأوصافًا بها سُمّي المؤمن بالإطلاق مؤمنًا، وكذلك الإسلام والمسلم، وإنما عَرَفْتَ منه إسلام الشيء، ثم جاء في الشَّرع من أوصافه ما جاء، وكذلك كانت لا تَعْرِفُ مِنَ الكُفْرِ إلاّ الغطاء والسِّتر"[2].

وإضافة إلى هذا النَّمط من الألفاظ، هناك مصطلحات أخرى إدارية وسياسية واجتماعية وفكرية وعلمية كثيرة جدًا من أمثلتها: الوالي، والقاضي، والكاتب، والشرطة، وأمير المؤمنين، وديوان الصنعة، وديوان الجند، وديوان الرسائل، والقضية، والشبهة، والقياس، والتعريف، والسِّكة، والسرير، والطراز، والمقصورة، والمثلَّث، والمربَّع، والوجود، والعرض، والجوهر، والبلاغة، والبيان ... وغيرها كثير.

أمّا العصر العباسي فيمثّل قمّة مراحل التغير في مناحي الحياة، وأكثر العصور تأثرًا بمظاهر الحضارة الجديدة، وانعكس ذلك خاصّة على الاستخدام الشِّعري، فقد نزعَ الشُّعراء العباسيون إلى تمثيل روح ذلك العصر في أشعارهم، ولا سيما الأعلام الذين سَعوا إلى إيجادِ لغةٍ شعريةٍ نموذجيةٍ راقيةٍ، أوجبت في بعض الأحايين صعود المتلقّي إلى مستوى الشاعر.

---

[1]-ينظر: إبراهيم السّامرائيّ، التطور اللّغوي التاريخيّ، دار الرّائد للطّباعة، القاهرة-مصر، (د.ط)، 1966م، ص44.

[2]-أحمد بن فارس، الصّاحبي في فقه اللّغة العربيّة وسنن العرب في كلامها، تح. مصطفى الشويمي، مؤسسة أ بدران للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، (د.ط)، 1963م، ص79.

2-مظاهر التَّغيُّر الدّلالي:

منذ أرسطو ومحاولات التقعيد لتغيّر المعنى وتحوّلاته قائمة، لترسو في آخر المطاف على تحديدِ اللّغويّينَ المحدثينَ لاتّجاهات التغيّر ومظاهرهِ والتي يمكن حصرُها في أمورٍ ثلاثةٍ هي[1]:

2-1/ المقارنة بين المعنى القديم والجديد: و يتمظهر ذلك في صور ثلاث:

2-1-1/تعميم المعنى الخاص أو توسيع المعنى Expansion of meaning : الذي يراه فندريس ينحصر " في إطلاقِ اسمِ نوعٍ خاصٍ من أنواع الجنس على الجنس كلّه"[2]، فيصبح عدد ما تشير إليه الكلمة أكثر من السابق، أو يصبح مجال الاستعمال أوسع[3]، كلفظ الوِرْد والوُرود، وأصله من قولنا " وردَ القومُ الماءَ، والوِرْدُ الماء الذي يُورَد " [4] ليصبح الوِرْد إتيان كلِّ شيء ولفظة (البأس) التي كانت في الأصل تعني "الشِدَّة في الحرب (...) ثمّ كثر حتى قيل لا بأس عليك ولا بأس أي لا خوف"[5]، أي كانت في أصلّ معناها خاصة بالحرب لتشمل كلّ شدّة[6].

2-1-2/ تخصيص المعنى العام أو تضييق المعنى- Narrowing (Restrictions) of meaning: وذلك بتحوُّل الدّلالة من المعنى الكلّي إلى الجزئي أو بتضييق مجالها[7] وهو أمر كثير الشيوع في اللّغات، ومثال ذلك في عربيّتنا، لفظة (الحريم) التي تخصّصت للدلالة

---

[1]-ينظر: محمد السيد علي بلاسي، (دلالة الألفاظ وتطورها)، المجلة الثقافية، ع:26، 1412هـ/1991–1992م، ص101 – 102.

[2]-فندريس، اللّغة، ص 260.

[3]-ينظر: فندريس، اللّغة، ص256.

[4]-ابن منظور، اللسان، مادة [و ر د].

[5]-ابن منظور، اللسان، مادة [ب أ س].

[6]-ينظر:محمد المبارك، فقه اللّغة دراسة تحليليّة مقارنة للكلمة العربيّة، مطبعة جامعة دمشق-سوريا، (د.ط)، (د.ت)، ص 190.

[7]-ينظر: بيار غيرو، علم الدلالة، تر. منذر عياشي، ص77.

على النساء بعد أن كانت تعني "الذي حَرُمَ مَسُّهُ فلا يُدْنَى منه"[1]، ولفظة (الصَّحابة) من " صَحِبَهُ يَصْحَبُهُ صُحْبَةً بالضّم وصَحابة بالفتح، وصَاحَبَه عَاشَرَهُ، ... والصاحِب المعاشِر"[2]، لتُخَصَّص بأصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم [3] بعد أن كانت تُطلق لعموم الصحبة.

2-1-3/ انتقال اللّفظ من معنى إلى آخر: ومثال ذلك لفظة (النافقاء) التي تعني "...حُجْر الضَّب واليربوع، وقيل النُفَقَة والنافقاء موضع يرققه اليربوع من جحره فإذا أُتِيَ من قبل القاصعاء ضربَ النافقاء برأسه فخرج "[4]، واشتق منها بعد الإسلام لفظة (المنافق) الذي يُظهِر خلاف ما يبطن.

2-2/ ارتباط المعنى الجديد بالقديم أو (النقل المجازي)[5]: ويعني أن ينتقل اللّفظ من معناه الأصلي إلى معنى آخر تربطه به علاقة مشابهة أو مجاورة أو غير ذلك، ويكون استعمال الكلمة بالمعنى الجديد في البداية عن طريق المجاز لتصبح الدّلالة حقيقية بعد كثرة الاستعمال وذيوع المعنى الجديد بين الناس، ومثال ذلك قولنا: (نزل السَّحاب)، أي: المطر، و(الشَّنب) بمعنى الشارب بعد أن كانت تعني قبلاً "... ماء ورقَّة يجري على الثغر، وقيل رقَّة وبَرْد وعذوبة في الأسنان" [6]، وكذلك قولنا: رِجل الطاولة، وعين الإبرة ... وغيرها.

---

[1]-ابن منظور، اللسان [ح ر م].

[2]-نفسه، مادة [ص ح ب].

[3]-ينظر: إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص184.

[4]-ابن منظور، اللسان، مادة [ن ف ق].

[5]-ينظر: أحمد عبد الرحمن حمّاد، عوامل التطور اللّغويّ-دراسة في نموّ وتطوّر الثروة اللّغويّة، مطابع البيان التّجاريّة، دبي، (د.ط)، (د.ت)، ص130.

[6]-ابن منظور، اللسان، مادة [ش ن ب].

2-3/ العلاقة الاجتماعية بالمعاني واستعمالها: فالمجتمع قد يرفع بعض المعاني ويضع غيرها، فتسمو الدّلالة مرّة وتنحطّ أخرى وفقًا للسُّلَّم الاجتماعيّ:

2-3-1/ سُمُوُّ الدّلالة أو رُقِيُّ الدّلالة أو التَّغير المتَّسامي Meliorative Change: ويطلق على ما يصيب الكلمات ذات الدّلالة الهيّنة أو الوضيعة من تحوّل إلى دلالة أرفع أو أشرف، وخير ما يمثّل هذا الشكل من تغيُّر المعنى، ما يتعلّق بالمستويات الاجتماعية، والفوارق الطبقية، نحو كلمة(رسول)التي كانت تعني" الذي يتابع أخبار الذي بعثه "[1]، لترتقي دلالتها إلى صاحب الرسالة السَّماوية [2].

2-3-2/ انحطاط الدّلالة أو التَّغير الانحطاطي أو الخافض Pejorative Change: ففي أحيانٍ كثيرةٍ يصيب الدّلالة تراجعٌ أو ضعفٌ، فتفقد بعضًا من أثرها ووقعها في الأذهان أو تتراجع مكانتها بين الألفاظ التي تحْظى باحترام وتوقير جماعة المتكلمين، وهو أكثر سعة وشيوعًا من(رقيّ الدّلالة)، وأكثر ما يقع في الكلمات المتعلِّقة بالجنس وما يُتَحَرَّجُ منه من مشاعر أو ما يتَّصل بالزَّهو الطبقي وغيره، وكمثالٍ توضيحي لفظة: (الاحتيال) التي كان معناها " الحِذاق وجَوْدَةُ النَّظر والقدرة على دقَّة التصرّف"[3]،

لتنحط دلالتها وتتحوَّل إلى معنى الخداع لتحقيق أهدافٍ شخصيةٍ[4].

3-عوامل تغيُّر الدّلالة:

إنَّ تغيّرَ المعنى في أيّ لغةٍ كانت، يسير في طرقٍ كثيرةٍ وبأشكالٍ ومظاهر متنوّعة، تعزوه في ذلك دوافع وأسباب لغويَّة وتاريخيَّة واجتماعيَّة، كما ذهب إلى ذلك اللّغويّ

---

[1]-نفسه، مادة [ر س ل].

[2]-ينظر: محمود السّعران، علم اللّغة، ص 282 – 283.

[3]-ابن منظور، اللسان، مادة [ح و ل].

[4]-ينظر: أحمد عبد الرحمن حمّاد، عوامل التطور اللّغويّ، ص 132.

الفرنسي **أنطوان ميّيه**، ولكنَّها غير كافيةٍ لاستيعاب مثل هكذا واقعة لغويَّة عند أولمان، فهذه " الأنواع الثلاثة تستطيع فيما بينما أن توضِّح حالات كثيرة من تغيُّر المعنى ولكنها مع ذلك ليست جامعة، بحالّ من الأحوال، فهناك عوامل نفسيَّة صرفة كثيرة لم تُفَسَّر بعد..."[1]، ويمكن تلخيص أهمِّ عوامل تغيُّر المعنى في النقاط الآتية[2]:

3-1/ كثرة استعمال اللّفظ: فكثرة استخدام العامّ مثلاً في بعض ما يدلّ عليه يُزيل مع تقادم العهد عموم معناه، ويقصر مدلوله على الحالات التي شاع فيها استعماله، ومثال ذلك، الألفاظ الإسلامية التي تحدّدت في معاني خاصة بالشَّعائر والنُظُم الدِّينية، كالصَّلاة والصَّوم، والزكاة، والحجّ، وقد ينحو خصوص المعنى إلى عمومه عن طريق التوسّع، نحو:(الورد)؛ فالأصل إتيان الماء وحده ثم صار إتيان كلّ شيء:(وردًا).

3-2/ خفاء معنى اللّفظ أو نسيان مجال استعماله: فكلَّما كان مدلول الكلمة واضحًا في الذِّهن قَلَّ تعرّضه للتغيّر، وكلمّا كان مبهمَ الدّلالة غامضَها زادت قابليته للتَّبدل وضَعُفَت مقاومته لعوامل التَّغير، مثلاً: كلمة (منيحة) التي كان معناها: إعارةُ إنسانٍ ناقةً أو شاةً ليشرب لبنَها، فصار معناها: شراء ناقة بدل إعارتها فربّما أُبْهِمَ المعنى الأوَّل على الأجيال اللّاحق[3].

3-3/ تطوّر أصوات اللّفظ[4]: فثبات أصوات الكلمة يثبّتُ معناها، وتغيُّرها –غالبًا- يغيّر معناها، ذلك أنّ تغيّر صورتها الصَّوتية يُوهِنُ صلتها في الذِّهن بأصلها، ومثالُ ذلك لفظة Vivus اللاتينية، والتي كانت تعني الحيّ ضدّ الميّت، لكنها انحرفت إلى Vif بعد أنْ مَسَّها تغيُّر على مستوى أصواتها، لتدلَّ الآن على معنى القوَّة والنَّشاط.

---

[1]-ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللّغة، ص174.

[2]-ينظر: إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص134 وما بعدها.

[3]-ينظر: علي عبد الواحد وافي، علم اللّغة، مطبعة لجنة البيان العربيّ، القاهرة-مصر، ط5، 1962م، ص294.

[4]-ينظر: نفسه، ص294 – 295.

3-4/ أثر بعض القواعد اللّغويّة: التي تعمل في بعض الأحيان على تغيّير مدلول الكلمة، وتساعد على توجيهها وجهةً معيَّنةً؛ فمثلاً تذكير كلمة (ولد) في العربيّة عند القول: (ولد صغير) جعل معناها يتعلَّق في الأذهان بالمذكَّر.

3-5/ انتقال اللّغة عبر العصور من جيلٍ إلى جيلٍ[1]: يؤدِّي إلى تغيّر معاني المفردات، فأفراد الجيل اللَّاحق لا يفهمون في مرَّات كثيرة جميع دلالات الكلمات على النَّحو الذي يفهمها الجيل السَّابق، وتحدث هذه المفارقة عند كثرة استعمال الكلمات في غير ما وضعت له أساسًا.

3-6/ انتقال الألفاظ من لغة إلى أخرى: أو ما يسمى بالاقتراض بسبب انتقال ما تدلّ عليه، أو الحاجة إليها في العلوم والفنون وغيرها، فيتغير مدلولها، وهذا إمّا بأنْ يُخَصَّص معناها ويُقصر على بعض ما كانت تشير إليه في لغتها الأصل، وقد يُعَمَّمُ المعنى ويتَّسِع، وقد يسمو إلى منزلة راقية والعكس، إذ ينحطُّ إلى درجة وضيعة ليصبح من فحش الكلام، وقد يستعمل معنى اللّفظة في غير ما وُضع له لعلاقة بين المعنيين ومن ذلك لفظة (زركون) التي تعني في لغتها الأصلية الفارسيَّة (ذهبي اللّون) لتتحوّل كافها بالتعريب إلى جيمٍ أي: (زرجون) واتَّسع معناها ليطلق على (الخمر، والكرْم وأشجاره، والصّبغ الأحمر) مع ملاحظتنا الصِّلات المعنوية بين المعنيين القديم والجديد.

3-7/التغيّر الاجتماعي: وذلك أنَّ المجتمع في تطوُّرٍ دائمٍ وتغيّرٍ مستمرٍ على كافَّة الأصعدة، وفي مختلف مظاهر الحياة، وأكيدٌ أنّه سيصاحبه تغيير في مدلولات بعض الألفاظ ومن أمثلتها لفظة الرِّيشة (Plume) فأوَّل ما أطلقت على ريش الطيور لَمَّا كانت تُتَّخذ وسيلةَ كتابةٍ في زمن مضى، وصارت تطلق على أداة الكتابة المعدنية المعروفة اليوم، ومن الأمثلة كذلك لفظة (القطار) التي كانت تدلّ قديمًا على مجموعة من الإبل

[1]-ينظر: أحمد عبد الرحمن حمّاد، عوامل التطور اللّغويّ، ص119 – 120.

التي تُساق على نَسَقٍ واحد، وتغيّر مدلولها الآن إلى مجموعة عربات تقطرها قاطرة بخارية[1].

3-8/ اختلاف طبقات المجتمع[2]: ذلك أنَّ لكلّ طبقة أسلوبًا خاصًا في الحياة، ونمطًا معيشيًا مختلفًا، وهذا ينعكس– حتمًا– على ملفوظ كلِّ شريحة، إذْ تتعدّد دلالات الألفاظ وتختلف وتَخْرُج عن معانيها الأُوَل، فمثلاً كلمة (حقل) تعني لدى طبقة الفلاحين تلك الرقْعة الزِّراعية مكان عملهم، في حين أنَّها تعني عند العلماء والباحثين ميدان البحث والتجربة.

إنَّ تغيُّر المعنى بوصفه ظاهرة دلالية، له من الأهميَّة ما يجعله وسيلةَ إثراءٍ لغويّ بمنحِه النّصوص الأدبية زخمًا دلاليا يُبقيها خالدةً في الصَّرحِ الأدبيّ، ففي أحيان كثيرة تتعايش الدّلالتان: القديمة والجديدة في المحيط اللّغويّ الواحد مع إمكان غلبة الدّلالة المتطوِّرة على سابقتها، ويكون تفسيرُ كلمات هذا النوع الواردة في نصّ ما بالمعنى الشائع في العصر الذي قيلت أو كُتبت فيه، فالكلمة تتنفَّس روح عصرها وتتشرَّب منه دلالاتها، وبالتَّالي لا يَسَعُنا – مثلاً – أنْ نفسِّر كلمة (حكومة) في نصّ من القرن الأوَّل الهجري و تعني الحُكم الذي يصدر عن الحَكَم في قضيَّة ما، بمعناها في عصرنا هذا وهو الهيأة الحاكمة، والفرق الدّلالي واضح بين الدّلالتين في العصرين المختلفين؛ فتاريخ الكلمة وما لحقها من معانٍ تفصل أو تخصّص مضمارها، تستحضر أثناء قراءة الأثر الأدبي، ولكن الاختيار من ذاك التَّراكم يتَّخذ لنفسه أساسًا ينطلق منه، وهو السّياق الواردة فيه الكلمات وإلا وقعنا في الاضطراب.

[1]-ينظر: عاطف مدكور، علم اللّغة بين التراث والمعاصرة، دار الثّقافة للنشر والتّوزيع، القاهرة-مصر، (د.ط)، 1987م، ص287.

[2]-ينظر: علي عبد الواحد وافي، علم اللّغة، ص297.

وممّا سبق، يُستنتج أنّه إذا أُريدَ معنى لفظة ما، وردت في نصّ ما، لا بُدّ من الأخذ بعين النّظر:

-العصر الذي ينتمي إليه النّص الواردة فيه اللّفظة محلّ الدراسة، مثلاً كلمة (سيَّارة) في نصٍّ جاهليٍّ تعني (قافلة)، وفي نصّ حديث تعني المَرْكبة التي تُسيّرها المحركات الآلية، ومثلها: الهاتف، والقطار، والدَّبابة، ... الخ.

-السّياق المقامي للنّص الذي يحدِّد البيئة اللّغويّة بمختلف عناصرها من باثٍ ومتلقٍ وكذا حيثيات النّص، فمثلاً لفظة (جذر) يتحدَّد معناها بتعيين قائلها، هل هو: مزارع أم رياضيّ(من الرياضيات)، أم لغويّ ...، وكذا المخاطب ومستواه الفكري والثقافي والاجتماعي...، وهي أمور تساهم في تجلية المعنى المقصود، إذ يقوم المتلقِّي– إجمالاً- بحركةٍ ذهنيَّةٍ يُوازن بها بين مختلف المعطيات ويُناظر من خلالها بين الدَّال ومدلوله الملائم للموقف.

-السّياق اللّغويّ الذي يُعدُّ المرتكزَ الأوَّل في استجداء المعنى والوقوف على القصد، من خلال ملاحظة الكلمة بين نظيراتها في التركيب ومراعاة المحدِّد الدّلالي أو القرينة.

المحاضرة السادسة:

العلاقات الدّلاليّة/التّرادف Synonymy

مهاد:

مِنَ المؤكَّد أنَّ التطرُّقَ إلى علم الدّلالة دراسةً، لامناص يعرّج بنا على ما يعرف بـ: **العلاقات الدّلاليّة** التي تعدُّ جزءًا مهمًّا ممَّا يُعرَف بعلم الدّلالة التركيبي (Structural Semantics)[*]، ونعني بها تلك الوشائج التي تربط بين مفردات اللّغة وفقَ أُطُرٍ بعينها؛ فقد أثارت ثنائية (الدّال/المدلول) أو (الصوت/المعنى) عند قدماء اللّغويّين حركةً لغويةً ونشاطًا دلاليًا، أدركوا من خلالهما جانبا كبيرا من طبيعة العلاقات الدّلاليّة بين المفردات في بعض من الظواهر الدّلاليّة التي درسوها، نحو: الترادف والاشتراك والأضداد لكن دون منهج واضح المعالم، وتنضوي هذه القضايا تحت ما أسماه أولمان بـ "تعدُّد المعنى".

والحقيقة أنَّ الدّارسين قديمًا وحديثًا بحثوها ووضعوا فيها مؤلفات، أظهرت تعدُّد زوايا نظرهم لها وبالتَّالي اختلاف مواقفهم إزاءها، وعمومًا؛ فالتَّرادف(Synonymy) هو أنْ يقع أكثر من دال لمدلول واحد، في حين يُقصَدُ بالاشتراك اللّفظي(Homonymy) أنْ تتعدَّد المدلولات لدالٍّ واحدٍ مع وجود اختلافٍ مغايرٍ بين تلك المدلولات، أمَّا الأضداد(Antonymy) فيعني دالًّا واحدًا بمدلولين اثنين بينهما اختلاف تضادٍّ لا تغايرٍ.

وفي هذه الدِّراسة سيكون الحديث وفق عناصر، أوّلها يتعلّق بماهية كلِّ ظاهرة واختلاف العلماء واللّغويّين إزاءها، وكذا المقرّون والمنكرون، وآراء وحجج كلِّ فريق منهم،

[*] أهم أنواع علم الدلالة: علم الدلالة التركيبي(Structural Semantics)، وعلم الدلالة التاريخي (Semasiology)، وعلم الدلالة النفسي(Psycho Semantics)، وعلم الدلالة التفسيري (Interpretative Semantics)، وعلم الدلالة السلوكي(Behaviour Semantics).

مع الوقوف على عوامل النشأة ثم أهميَّة كلِّ ظاهرةٍ في اللّغة، ومنْ ثَمَّ إظهار دور السّياق في تجلية المعنى والوصول إلى المقصود في كلٍّ منها.

وسأحاول من أجل هذا أنْ أورد مواقف القدماء أوَّلا ثم المحدثين في كلِّ عنصر، حتى يتسنَّى لنا إدراك آراء كلِّ منهما، وتبيُّن نقاط الالتقاء والافتراق بينهما، وكذا ما أضافه المتأخِّرون ممَّا جاد به تطوُّر البحث اللّغويّ ومناهجه عبر الزمن.

التّرادف Synonymy:

1-**تعريفه: لغة**: جاء في لسان العرب:" الرّدْفُ مَا تَبِعَ الشَّيْء وَكُلّ شَيْءٍ تَبِعَ شَيْئًا فَهُوَ رِدْفُهُ، وإذَا تَتَابَعَ شَيْءٌ خَلْفَ شَيْءٍ فَهُوَ التَّرَادُفُ(...) وَتَرَادَفَ الشَّيْءُ تَبِعَ بَعْضُهُ بَعْضًا، والتَّرَادُفُ التَّتَابُعُ"[1].

أمّا في **الاصطلاح** فقد ذكر الشريف الجرجانيّ(ت816ه) أنّ التّرادف:"عبارة عن الاتحاد في المفهوم، وقيل: هو توالي الألفاظ المفردة الدّالّة على شيء واحد باعتبار واحد" [2]، وعند الكفويّ(ت1094ه) هو" الاتّحاد في المفهوم، لا الاتّحاد في الذات، كالإنسان والبشر، وحقّ المترادفين صحّة حلول كلّ منهما محلّ الآخر"[3]. يقول سيبويه: "اعلم أنّ من كلامهم اختلاف اللّفظين لاختلاف المعنيين، واختلاف اللّفظين والمعنى واحد..."[4] ومعناه أن يدلّ لفظان أو أكثر على شيء واحد في أبسط تصوّر له.

2-التّرادف بين الإثبات والإنكار:

2-1/التّرادف عند القدامى: لقد ظهر مصطلح التّرادف متأخّرا بعض الشّيء مقارنة بعهد بحثه ظاهرة موجودة في العربيّة؛ إذ لم يرد المصطلح صريحا في مصنّفات الأوائل لكنّهم عبّروا عنه بعبارات: اختلاف اللّفظين والمعنى واحد، وما اختلف لفظه واتّفق معناه، والأسماء المختلفة للشيء الواحد، وغيرها ممّا يعبّر عن مفهوم التّرادف[5].

---

[1]-ابن منظور، لسان العرب، مادة [ر د ف].

[2]-الشريف الجرجاني، التّعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، (د.ط)، 1403ه/1983م، مادة [ر د ف].

[3]-أبو البقاء الكفويّ، الكليّات، ص315.

[4]-سيبويه، الكتاب، 24/1.

[5]-ينظر: حاكم مالك الزيادي، التّرادف في اللّغة، دار الحريّة للطّباعة والنّشر، بغداد-العراق، (د.ط)، 1980م، ص48.

ومن أقدم المصنّفات العربيّة التي حملت اسم التّرادف حسب ما وصل إلينا كتاب أبي الحسن الرّماني(ت384ه) وعنوانه: كتاب الألفاظ المترادفة والمتقاربة المعنى، على أنّ أقدم مَن أطلق اسم التّرادف على تلك الظاهرة هو أحمد بن فارس في مصنّفه الشهير(الصّاحبي في فقه اللّغة العربيّة ومسائلها وسنن العرب في كلامها).

لقد وقع خلاف بين علمائنا القدامى من لغويّين ودارسين إزاء الظاهرة؛ وتراوحت آراؤهم بين مؤيّد لوجودها في العربيّة ومنكر لها.

2-1-1/المنكرون: ويمثّلهم ابن الأعرابي(ت231ه)، وأبو العباس ثعلب(ت291ه)، وابن درستويْه(ت347ه) وهو أشدّ المنكرين، وابن فارس(ت395ه) وأبو هلال العسكريّ(ت395ه)، فمثلا يرى ابن فارس أنّ للسيف اسما واحدا فقط هو السيف، وما عداه ممّا شاع أنها مرادفاته إنّما هي صفات (المهنّد والحسام والصّارم و...) فقال: "ومذهبنا أنّ كلّ صفة منها فمعناها غير معنى الأخرى، وقد خالَف في ذلك قوم فزعموا أنّها وإن اختلفت ألفاظهم فإنّها ترجع إلى معنى واحد، وذلك قولنا: سيف و عضْب وحسام"[1]، وفرّق بين طائفة من الألفاظ منها مثلا ما بين القعود والجلوس؛ فرأى أنّ القعود عن قيام، والجلوس عن حالة هي دون الجلوس.

كما ألّف أبو هلال العسكريّ كتابه"الفروق في اللّغة" من أجل تأكيد بطلان وجود ألفاظ التّرادف في اللّغة العربيّة، وإثبات الفروق الدّلاليّة الدّقيقة بين تلك الألفاظ، فمثلا فرّق بين المدح والثّناء بقوله إنّ الثّناء مدح مكرّر، وإنّ الإطراء مدح في الوجه، وغيرها.

2-1-2/ المثبتون: يعدّ سيبويه من أوائل المثبتين للتّرادف كما اتّضح من نصّه سابق الذّكر أين رأى بترادف ذهب وانطلق، وتبعه كثير من اللّغويّين منهم قطرب (ت206ه) في

[1]-أحمد بن فارس، الصّاحبي في فقه اللّغة العربيّة، ص59.

قوله: "إنّما أوقعت العرب اللّفظتين على معنى واحد ليدلّوا على اتّساعهم في كلامهم"[1]، وأبو زيد الأنصاريّ(ت215ه)، والأصمعيّ(ت216ه) الذي ألّف كتابا من صميم التّرادف هو(كتاب ما اختلفت ألفاظه واتّفقت معانيه)، وابن خالويه(ت370ه) الذي ألّف كتابا في أسماء الأسد وآخر في أسماء الحيّة، وابن جني(ت392ه) عندما جعل التّرادف خصيصة من خصائص العربيّة ودليل شرفها وسموّها ولاتّساع مجال القول فيها[2].

لقد تراوحت حجج المثبتين بين مَن رأى أنّ جميع أهل اللّغة يستعملون فكرة تفسير اللّفظة بما يقابلها في الدّلالة؛ ففسّروا اللّب بأنه العقل، والجرح هو الكسب، والسكب بالصّب، والشك بالرّيب، فهي سواء، كما كان من حججهم ما روي من أنّ النبي صلى الله عليه وسلّم سأل أبا هريرة رضي الله عنه أن يناوله السكين التي وقعت من يده، فالتفت أبو هريرة يمنة ويسرة، ثم كرّر له النبي الأكرم القول ثانية وثالثة فقال له: آلمدية تريد؟ فقال فأجابه رسولنا صلى الله عليه وسلّم: نعم، ومنه نفهم أنّ السكّين هو المُدْيَة وهما مترادفان[3].

2-2/التّرادف عند المحدثين:

لم يتّفق المحدثون في نظرتهم للتّرادف، فقد تباينت آراؤهم وتشعّبت لكنها امتازت بالتّعمّق أكثر في التعريف والتّقسيم عند من أثبته منهم، فهو موجود في اللّغة مستعمل سواء كان من نوع شبه الترادف أو التقارب الدّلالي، أو الاستلزام، أو التعبير المماثل، أو الترجمة، أو التفسير، إلّا أنّ الخلاف كان حول التّرادف الكامل أو التّماثل الذي ينكره السّواد الأعظم منهم؛ فمثلا يرى **بلومفيلد Bloomfield** أنّ اختلاف الكلمات صوتيّا يوجب اختلافها دلاليّا بالضّرورة، ومنه لا يوجد ترادف حقيقي، أمّا **أولمانUlmann**

[1]-السّيوطي، المزهر في علوم اللّغة، 400/1.

[2]-ينظر: ابن جني، الخصائص، 466/2.

[3]-ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص216.

فيقول:"والمترادفات هي ألفاظ متّحدة المعنى وقابلة للتّبادل فيما بينها في أيّ سياق، والتّرادف التّام، على الرغم من عدم استحالته، نادر الوقوع إلى درجة كبيرة"[1] فهو يضيّق من مساحته تضييقا شديدا في اللّغة، ومن العرب يطالعنا إبراهيم أنيس الذي وضع جملة **شروط** يتحقّق بها التّرادف هي[2]:

-اتّحاد العصر: فقد ميّز بين النّظرة التاريخيّة والنظرة الوصفيّة عند بحث التّرادف؛ فالمنكرون للظاهرة كانوا قد نظروا إليها نظرة تاريخية، فالكلمات في القديم كانت لها معان مختلفة ومنه لا ترادف حقيقي بينها، في حين أنّ المثبتين بحثوها بحثا وصفيا في فترة محدّدة، كانت قد زالت فيها تلك الفروق والدّقائق المعنويّة(وقد تبرز تلك الفروق مع مرور الزمن وتزداد، مثل لفظتيْ: الكرسي والعرش اللّتيْن استعملتا في القرآن الكريم مترادفتيْن؛ لكنّهما اليوم مختلفتان في الدّلالة)، فتهيّأ لهم أنّها مترادفة ترادفا تامّا مثل كلمات: المهنّد واليمانيّ والمشرفيّ والحسام...كانت مدرَكَة الفروق التي بينها، أمّا في استعمالنا لها اليوم فالا نكاد متحسّس ما بينها من فروق سوى أنّها بمعنى السّيف الجيّد.

-اتّحاد البيئة: بمعنى أن تنتمي اللّفظتان إلى لهجة واحدة أو مجموعة منسجمة من اللهجات، لا أن نعمّم كما فعل قدماؤنا حسب رأيه عندما تصوّروا الجزيرة العربيّة كلّها على امتدادها بيئة واحدة.

-الاتّفاق في المعنى بين الكلمتيْن اتّفاقا كليّا، على الأقل في ذهن الأغلبية العظمى من متكلّمي الجماعة اللّغويّة المعيّنة، فإن فهم العربيّ من معنى كلمة وثب نفس معنى قفز فمعنى ذلك أنهما مترادفتان، والعكس صحيح.

---

[1]-ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللّغة، ص119.

[2]-ينظر: إبراهيم أنيس، في اللهجات العربيّة، مكتبة الأنجلو المصريّة، دار فوزيّ للطّباعة، القاهرة-مصر، ط6، 1984م، ص176 وما بعدها.

-ضرورة اختلاف الصورة اللّفظيّة للكلمتيْن فلا تكون إحداهما نتيجة تغيّر صوتي عن الأخرى، مثل: آثر وفضّل، وحضر وجاء، أرسل وبعث، في حين أنّ التّغيّر الصوتي واضح الوقوع بين: أزّ وهزّ، وأصرّ وهصر، وكمح وكبح.. التي لا تعدّ من المترادفات وفق هذا الشرط[1].

3-أنواعه[2]:

3-1/ الترادف التّام: أو الكامل أو التّماثل، وفيه يتطابق اللّفظان تطابقا تامّا، بحيث لا يشعر أبناء اللّغة الواحدة بأي فرق بينهما، ويصلح تبادلهما بحريّة في كلّ السّياقات.

3-2/ شبه التّرادف: أو التّشابه، أو التّداخل، وفيه يتقارب اللّفظان تقاربا كبيرا لا يستبين معه الفرق بينهما عند غير المتخصّصين، فيستعملان دون تحفّظ، ومثاله: عام وسنة وحول.

3-3/ التّقارب الدّلالي: وفيه تلتقي دلالة اللّفظين أو الألفاظ، ويكون الاختلاف في ملمح هامّ واحد أو أكثر، مثلا: كوز= + إناء + عروة، كوب = + إناء –عروة.

عهن= + صوف + صباغة، صوف = + صوف -صباغة.

3-4/ الاستلزام: وهو قضية التّرتّب على... ويعرّف كالآتي: س1 يستلزم س2 إذا كان في كلّ المواقف الممكنة التي يصدق فيها س1 يصدق كذلك س2، مثلا: نام زيد بعد صلاة العشاء، فإنّ هذا يستلزم: كان زيد صاحيا قبل صلاة العشاء.

[1]-ينظر: إبراهيم أنيس، في اللهجات العربيّة، ص176 وما بعدها.

[2]-ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص220-223.

3-5/ استخدام التّعبير المماثل: أو الجمل المترادفة، وذلك عندما تملك الجملتان المعنى نفسه في اللّغة الواحدة، وهو أنواع، منها: التحويلي(شرب زيد الماء/ زيد شرب الماء)، والعكسي(اشتريت من التاجر الخضر/ باع لي التاجر الخضر)، والاندماج المعجمي(قام من النوم / استيقظ).

3-6/ الترجمة: وذلك حينما يتطابق التعبيران أو الجملتان بين لغتيْن، أو داخل اللّغة الواحدة عند اختلاف مستوى الخطاب، مثلا نترجم نصّا علميّا إلى لغة شائعة، أو نصّ شعري إلى نثري.

3-7/ التفسير: وفق المعادلة: يكون (س) تفسيرا لـ (ص) إذا كان (س) ترجمة لـ (ص) بشرط أن تكون التّعبيرات المكوّنة لـ (س) أقرب إلى الفهم من تلك الموجودة في (ص)، ومنه فكل تفسير ترجمة وليس العكس.

المحاضرة السابعة:

العلاقات الدلالية/ المشترك اللّفظيّ Homonymy

مهاد:

إنَّ للُّغة منطقًا خاصًا بعيدًا عن منطق العقل الذي يُلزم معنى واحدًا للَفظٍ واحدٍ والعكس، ذلك أننا نرى في أحيان عديدة أنَّ اللّغة تقبل أكثر من لفظ للدلالة على معنى واحد أو ما يسمّى " بالترادف"، و تقبل لفظًا واحدًا للدلالة على أكثر من معنى وهو ما يسمّى " بالاشتراك اللّفظي" الذي يُعدُّ ظاهرةً هامَّةً في الدراسات الدّلاليّة ضمن ما يعرف بالعلاقات الدّلاليّة، " وعلامةً واضحةً في لغتنا؛ وهو بكثرته خصيصة لها، وعامل من عوامل تنميتها" [1].

1-تعريفه:

المشتركُ **لغةً** من " (شَرَكَ) الشِّرْكَةُ والشَّرِكَةُ سواءٌ مُخَالَطة الشَّرِيكَيْن، يقال: اشْتَرَكَا بمعنى تَشَارَكَا وقد اشْتَرَكَ الرَّجُلَانِ وتَشَارَكَا شَارَكَ أَحَدُهُمَا الآخَر... قال الأزهريّ: يُقَالُ شَرِيكٌ وَأَشْرَاكٌ كَمَا يُقَالُ يَتِيمٌ وأَيْتَامٌ ونَصِيرٌ وأَنْصَارٌ، والاشْتِرَاكُ أيضًا جَمْعُ الشّرْك وهو النَّصِيبُ، كما يُقَالُ: قِسْمٌ وأَقْسَامٌ، والمَرْأَةُ شَرِيكَةٌ والنِّسَاء شَرَائِكٌ وشَارَكْتُ فُلَانًا صِرْتُ شَرِيكَهُ واشْتَرَكْنَا وتَشَارَكْنَا فِي كَذَا وشَرَكْتُهُ فِي البَيْعِ والمِيرَاثِ أشْرِكُه شِرْكَةً والاسْمُ الشِّرْكُ..."[2]، أمَّا **اصطلاحًا** فيحدُّه أهلُ اللّغة بأنْ تأتي "اللّفظةُ محتملةً لمعنيَيْن أو أكثر..."[3].

---

[1]-توفيق محمد شاهين، المشترك اللّغويّ(نظرية وتطبيقا)، مطبعة الدّعوة الإسلاميّة، القاهرة-مصر، ط1، 1980م، ص 15.

[2]-ابن منظور، اللسان، مادة [ش رك].

[3]-أحمد بن فارس، الصاحبي في فقه اللّغة، ص 279، وينظر: الكفويّ، الكليّات، ص 339.

أمَّا الأصوليّون فيعرّفونه بأنه " اللّفظ الواحدُ الدَّالُ على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللّغة"[1]، وغير بعيد عن هذا المنحى، نجد أغلب المحدثين يُجمعون على أنَّ المشترك " هو دلالة اللّفظ الواحد على معنيين مختلفين غير ضدَّين فأكثر دلالةً حقيقيةً على السَّواء ليس بينها علاقة، وبذا يخرج المجاز وأبوابه من المشترك، كما تخرج الأغراض البلاغية للأساليب الإنشائية وتخرج أيضا بعض الأدوات التي تستعمل في غير معناها الحقيقي"[2]، ويكمن اختلاف اللّفظ المشترك عن اللّفظ المجازي في أنَّ الأول وُضِعَ على سبيل الحقيقة، ويحمل كلُّ لفظٍ فيه خارج السّياق مجموعة معاني محدَّدة غالبًا فمثلاً لو قلنا: "خال" هكذا دون وضعها في تركيب، لتبادر إلى الذِّهن معنى: أخو الأم، وشامة الوجه، والسَّحاب، والبعير الضخم، والأكمة الصغيرة وغيرها من المعاني التي حوتها مؤلَّفات المشترك لهذه اللّفظة، في حين أنَّ اللّفظ الآخر تتغيَّر معانيه المجازية تَبَعًا لتعدد الاستعمال واختلاف السّياق، ويمكن اعتبار المجاز من أبواب المشترك إذا كَثُرَ استعماله وتُنُوسيت الدّلالة المجازية فيلحق عندئذ بالحقيقة.

2-المشترك اللّفظي بين الإثبات والإنكار:

لقد انقسم اللّغويّون والباحثون على اختلاف مشاربهم في حقيقة ورود المشترك اللّفظي في اللّغة العربيّة إلى فريقيْن؛ فريق ذهب إلى إنكاره البتَّة، وآخر اعترف بوجوده وأقرَّ بوروده.

2-1/المنكرون: أمَّا أنصار الفريق الأول فقد نظروا في أمثلة المشترك اللّفظي نظرةً تاريخيةً، ومِنْ ثَمَّ أدخلوها في باب الحقيقة والمجاز[3]، وعملوا على تأويل أمثلته تأويلاً

[1]-السّيوطي، المزهر في علوم اللّغة، 329/1.

[2]-عبد الواحد حسن الشّيخ، العلاقات الدلالية والتراث البلاغي العربي-دراسة تطبيقيّة، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنيّة، الإسكندريّة-مصر، ط1، 1999م، ص66.

[3]-ينظر: عاطف مدكور، علم اللّغة بين التراث والمعاصرة، ص 256.

ينفيها من باب المشترك، وذلك بجعل معنًى حقيقي واحد للَّفظ، وباقي المعاني مجازية، وعلى رأس المنكرين، بل والمسرفين في الإنكار، يطالعنا ابن درستويه (ت334هـ) في كتابه " شرح الفصيح " يذكر لفظة " وجد" واختلاف معانيها، قائلاً " هذه اللّفظة من أقوى حجج من يزعم أنَّ من كلام العرب ما يتفق لفظة ويختلف معناه؛ لأنَّ سيبويه ذكره في أوَّل كتابه، وجعله من الأصول المتقدِّمة؛ فظَنَّ مَن لم يتأمَّل المعاني، ولم يتحقَّق الحقائق أنَّ هذا لفظ واحد قد جاء لمعان مختلفة، وإنَّما هذه المعاني كلّها شيء واحد، وهو إصابة الشيء خيرًا كان أو شرًّا ..." [1]، وبلهجة أقلّ حدَّة، يضيّق أبو هلال العسكريّ(ت400هـ) من سعة هذه الظاهرة حينما أورد – مؤيّدا – قول بعض النحويين في أنَّه " لا يجوز أنْ يدل اللّفظ الواحد على معنيين مختلفين حتى تُضاف علامة لكلِّ واحد منهما فإنْ لم يكن فيه لذلك علامة أشكل وألبس على المخاطب وليس من الحكمة وضع الأدلة المشكلة إلاَّ أنْ يدفع إلى ذلك ضرورة أو علَّة ولا يجيء في الكلام غير ذلك إلَّا ما شَذَّ وقَلَّ، وكما لا يجوز أنْ يدلَّ اللّفظ الواحد على معنيين..." [2].

أمَّا من مضيّقيها من المحدَثين، نجد إبراهيم أنيس، فمن خلال كتابه (دلالة الألفاظ) يرى أنه لوثبت أنَّ أحد المعنيين أصل والآخر مجازي فلا اشتراك بينهما؛ وإنَّ أغلب ما تظن أنه من المشترك هو في واقع الأمر من المجاز، ويحدِّد المشترك الحقيقي بأنْ " يكون حين لا نلمح أيّ صلة بين المعنيين كأنْ يقال لنا مثلاً أنَّ الأرض هي الكرة الأرضية، وهي أيضا الزكام (...) ومثل هذه الألفاظ التي اختلف فيها المعنى اختلافا بيّنًا قليلة جدا، بل نادرة ولا تكاد تجاوز أصابع اليد عدًّا"[3]، لكن لو عدنا إلى كتابه " في اللهجات العربيّة " لوجدناه يقف موقفا وسطًا بين المنكِرين والمثبِتين، يقول فيه:" ويظهر أنَّ كلا الفريقين قد أسرف فيما ذهب إليه، وبَعُدَ عن جادَّة الصواب في بحثه، إذ لا معنى لإنكار المشترك

[1]-السيوطيّ، المزهر في علوم اللّغة، 384/1.

[2]-أبو هلال العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص 12.

[3]-إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص 214.

اللّفظي مع ما روي لنا في الأساليب العربيّة الصَّحيحة من أمثلة كثيرة، لا يتطرق إليها الشَّك، كذلك لا معنى للمغالاة في رواية أمثلة له مع ما في هذا من التَّعسف والتكلُّف"[1].

2-2/المقرُّون: وفي الضّفة المقابلة، يطالعنا فريق اعترف بالاشتراك ظاهرةً دلاليةً واردةً في واقع اللّغة العربيّة ولا مجال للإنكار والتَّأويل، وضرب له أمثلة كثيرة، وعلى رأس هؤلاء: الخليل(175ه) وسيبويه (ت180ه) والأصمعي(ت216ه) في كتابه: "الأجناس" وأبي عبيد القاسم بن سلّام(ت 224ه) في "الأجناس" كذلك، واليزيدي (ت225ه) في " ما اتَّفق لفظه واختلف معناه"، وبالعنوان نفسه: كتاب أبي العميثل (ت 240ه) وكراع النمل (ت310ه) في " المنجد في اللّغة "، وابن الجوزي(ت597ه) في " نزهة العيون النواظر في علم الوجوه والنظائر"، إضافة إلى ما ورد بشكل فصول وآراء متناثرة في كتب أخرى. وكان المثبتون إزاء ذلك ينظرون في أمثلة المشترك نظرةً وصفيةً تزامنيةً إلى الكلمات ومعانيها في زمان معيَّن أو عصر خاص[2].

فهذا الخليل بن أحمد يرى " أنَّ تكرار اللّفظ في القوافي ليس بضائر إذا لم يكن لمعنى واحد، وأنَّه ليس بإيطاء[*] وأنشد للخليل[3]:

يا وَيْحَ قَلْبِي مِنْ دَوَاعِي الهَوَى إذْ رَحَلَ الجِيرَانُ عِنْدَ الغُرُوبْ
أَتْبَعْتُهُمْ طَرْفِي وَقَدْ أَزْمَعُوا وَدَمْعُ عَيْنِي كَفَيْضِ الغُرُوبْ
كَانُوا وَفِيهِم طَفْلَةٌ حُرَّةٌ تَفْتَرُّ عَنْ مِثْلِ أَقَاحِي الغُرُوبْ

---

[1]-إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، ص 192–193.

[2]-ينظر: نفسه، ص 193.

[*] الإيطاء: " هو في علم العروض، تكرار القافية لفظا ومعنى قبل سبعة أبيات أو عشرة، وهو عيب من عيوبها"، المعجم المفصل في علوم اللّغة (الألسنيات)، 115/1.

[3]-توفيق محمد شاهين، المشترك اللّغوي، ص 34.

فالغروب الأوَّل: غروب الشمس، والثاني: جمع غَرْب وهو الدلو العظيمة المملوءة، والثالث: جمع غَرَب وهي الوهاد المنخفضة"[1]، وينحو تلميذه سيبويه نحوه، إذ يقول في معرِض تقسيمه للكلام:" اعلم أنَّ من كلامهم(...) اتفاق اللّفظين واختلاف المعنيين" [2]، أمَّا ابن فارس (ت 395ه) فيجعله الجنس الثالث من أجناس الكلام الستَّة في الاتفاق والافتراق، فمِن الكلام " اتفاق اللّفظ واختلاف المعنى كقولنا: عين الماء وعين المال وعين الركبة وعين الميزان"[3]، في حين يراه السّيوطي (ت911ه) من أعظم وجوه إعجاز القرآن الكريم؛ "حيث كانت الكلمة الواحدة تتصرف إلى عشرين وجهًا، وأكثر وأقل و لا يوجد ذلك في كلام البشر"[4].

ونجد أغلب الباحثين واللّغويّين المحدَثين يقفون موقفًا معتدلًا بين منكري هذه الظاهرة والمُغالين في القول بورودها، عندما ميَّزوا بين ما أُدخِل على المشترك وما هو منه حقيقة، فجعلوا " المجاز مسوغًا لإخراج كل الألفاظ التي أدخلها الدارسون في المشترك، كلفظ (الهلال) الذي يطلق على هلال السَّماء وهلال الصيد وهو آلة تشبه الهلال يُعرقَل بها حمار الوحش، وهلال النَّعل ذؤابته المشبهة للهلال، وهلال الإصبع المطيف بالظفر، والحيَّة إذا سلخت، والجمل الهزيل من كثرة الضراب وباقي الماء في الحوض..."[5]، فهذا اللّفظ وضع حقيقة للدلالة على المعنى الأوّل، أمَّا باقي المعاني فهي على سبيل المجاز لوضوح علاقة المشابهة، وكثيرة هي الألفاظ التي عُدَّت من المشترك وما هي منه في الواقع. وعليه يمكن القول بأنَّ الإيجاز طريق من طرق نشأة المشترك إنْ لم تتَّضح العلاقة بين معاني اللّفظة الواحدة، إذ المجاز مع كثرة الاستعمال يصبح حقيقة.

---

[1]-السيوطي، المزهر في علوم اللّغة، 276/1.

[2]-سيبويه، الكتاب، 24/1.

[3]-أحمد بن فارس، الصَّاحبي في فقه اللّغة، ص 201، وينظر: نفسه، ص 96.

[4]-السّيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن، تح. أحمد شمس الدّين، دار الكتب العليمّة، بيروت-لبنان، (د.ط)، (د.ت)، 387/1.

[5]-رشيد العبيدي، أبحاث ونصوص في فقه اللّغة، جامعة بغداد، العراق، (د.ط)، 1988م، ص 245.

لقد تناول القدامى هذه الظاهرة في القرآن الكريم تحت مسمَّيات عدَّة، منها: "ما اتفق لفظه واختلف معناه في القرآن الكريم" و "ما اشتبه في الألفاظ واختلف في المعنى في القرآن الكريم" و "الوجوه والنظائر في القرآن الكريم" و "الأشباه والنظائر في القرآن الكريم"، وهذا قبل الاستقرار على مصطلح المشترك اللّفظي فيما بعد.

3-المقصود بالوجوه والنّظائر: ولعلَّ ما يسترعي الانتباه، عدم تفريق القدماء، بل وحتى المحدثين من الباحثين واللّغويّين، بين المشترك اللّفظي و " الوجوه والنظائر"، حين جعلوهما شيئا واحدًا من جهة، وميَّزوا بين معنيَيْ (الأشباه) و(النظائر)، وعبَّروا بهما عن(الوجوه والنّظائر) من جهة أخرى، والصحيح أنَّ " الوجوه والنّظائر هي أنْ تكون الكلمة واحدة ذُكرت في موضع نظير للفظ الكلمة المذكورة في الموضع الآخر هو "النظائر" وتفسير كلِّ كلمة بمعنى غير معنى الأخرى هو "الوجوه" فالنظائر اسم للألفاظ والوجوه اسم للمعاني.

أمَّا الأشباه فهي النظائر يصح وضع إحداهما مكان الأخرى؛ لأنهما تلتقيان في الدّلالة على معنى واحد في كتب الوجوه والنظائر، لذا يقال: (الوجوه والأشباه) أو (الوجوه والنظائر)، ولا يصحُّ: (الأشباه والنظائر في القرآن الكريم) مرادًا به الوجوه والمعاني المتعددة للفظ الواحد [1]، وتعود المعاني المتعدِّدة للَّفظ الواحد – في الوجوه والنظائر– إلى معنى أصلي ثابت على الحقيقة، أمَّا باقي المعاني فتأتي على سبيل المجاز مرتبطة بالمعنى الحقيقي بعلاقات قويَّة كانت أم ضعيفة، وفي المقابل نجد المشترك ينفي أي وشيجة بين معانيه؛ لأنَّ لكل من هذه المعاني وضعًا خاصًا به.

[1]-ينظر: هارون بن موسى، الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، تح. حاتم صالح الضّامن، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد-العراق، (د.ط)، 1988م، ص 8، وينظر: حاتم الضّامن، (الوجوه والنظائر في القرآن الكريم عند السّيوطي)، مجلة آفاق الثقافة والتراث، ع:34، س: 9، يوليو، 2001م، ص 7.

4-الفرق بين الهومونيمي والبوليزيمي: لابُدَّ أن ننوّه إلى أنَّ ما كان يسمّيه القدامى بـ "الوجوه والنظائر" هو ما يطلق عليه المحدَثون "البوليزيمي Polysemy"[1] أو "تعدُّد المعنى نتيجة تطور في جانب المعنى" أو " كلمة واحدة – معنى متعّدد " أو "الدَّال الذي يعطي عدة مدلولات ترتبط فيما بينها بعلاقة ما"، ويمكن التَّمثيل له بكلمة "عملية "التي تستعمل للدلالة على العملية الجراحية والعملية الاستراتيجية والصفقة التجارية والخطة العسكرية، وكذا كلمة "بشرة" التي تطلق على جلد الإنسان وعلى النبات[2]، ويقابل مصطلح البوليزيمي مصطلح "الهومونيمي Homonymy"[3] أو المشترك اللّفظيّ" أو " تعدُّد المعنى نتيجة تطوُّر في جانب اللّفظ " أو " كلمات متعدِّدة – معان متعددة"، ويحدث – في أحيانٍ كثيرةٍ – عندما " توجد كلمتان تدل كل منهما على معنى ثُمَّ يحدث عن طريق التطوُّر الصوتي أنْ تتَّحد أصوات الكلمتين وتصبحا في النطق كلمة واحدة، ومثال ذلك كلمة"Sea "بمعنى بحر و"See" بمعنى "يرى" (لا يهُمُّ اختلاف الهجاء)"[4] وبصيغة أخرى يقع عندما يحدث "اتّفاق كلمتين مستقلتين أو أكثر في الصيغة اتفاقًا بطريق المصادفة"[5]، ومثال هذا في العربيّة الفعلان: قال يقيل، وقال يقول بصيغة الماضي أو بصيغة اسم الفاعل (قائل)، فالجذر مختلف: قال يقول جذره (ق و ل)، أما قال يقيل فجذره (ق ي ل)، والشيء نفسه مع الفعلين ضاع الشيء يضيع، وضاع

---

[1]-Polysemy: كلمة اغريقية مكوَّنة من شقّيْن؛Poly: وتعني كثير أو متعدد و Semy: وتعني المعنى. ينظر: جميل صليبا، المعجم الفلسفي، 303/1.

[2]-ينظر: ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللّغة، ص 126-127.

[3]-Homonymy: كلمة اغريقية، مكوّنة من شقّيْن؛ Homo: وتعني ذات أو نفس وOnoma: وتعني لفظ، ثم أدمجت الكلمتان في لفظةHomonymy(ذات اللفظ)، ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللّغة، ص129.

[4]-أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص 137، وينظر: بيير جيرو، علم الدلالة، تر. منذر العياشي، ص 55.

[5]-ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللّغة، ص 139.

المسك يضوع[1]، وبما أنَّ البيئة اللّغويّة الخاصة تُشعر بأنَّ اللّفظين ينتميان إلى كلمتين مختلفتين، وجب علينا حينئذ أنْ نعدَّها من باب المشترك اللّفظي Homonymy" [2].

ووفق معياريْن اثنيْن، يمكن التفريق بين " تعدّد المعنى" و " المشترك اللّفظي"؛ فالمعيار الأول هو "التأصيل"؛ والمقصود به أن يختلف الأصل اللّغويّ للمعاني المتعددة للكلمة، نحو لفظة: " النوى" جمع نواة، و" النوى" بمعنى البعد، أمَّا المعيار الآخر فيتمثلَّ في" قرابة المعنى" والمقصود به وجود صلات وروابط بين المعاني المختلفة للكلمة، فنكون حينئذ من قبيل " المعنى المتعدِّد" أو البوليزيمي، وحين تعدم هذه الوشائج المعنوية نكون بصدد المشترك اللّفظي أو الهومونيمي، مثل كلمة: "الخميس" التي تعني: الجيش، وتعني اليوم المعروف من أيام الأسبوع، إذ لا نلمس أيَّ رابط بين المعنيين المختلفين للكلمة ذاتها[3].

5-عوامل نشأة المشترك:

لقد وقع شبه إجماعٍ مِنْ قِبَلِ الدَّارسين والباحثين اللّغويّين على عوامل نشأة المشترك اللّفظي، لعلَّ أهمّها:

-**اختلاف اللَّهجات العربيّة القديمة**: أو " العامل الخارجي"[4]؛ ذلك أنَّ كثيرًا من الألفاظ وردت بصيغة واحدة في أكثر من لهجة بمدلولات مختلفة، ومع عملية جمع اللّغة من البوادي وتصنيف المعجمات، ضُمَّت تلك المعاني المتعدِّدة للألفاظ دونما تحديدٍ للقبائل التي كانت تستعملها غالبا، وبذلك صار لهذه الألفاظ معانٍ عدة، نحو:

[1]-ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص 167.

[2]-ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللّغة، ص 127.

[3]-ينظر: عاطف مدكور، علم اللّغة بين التراث والمعاصرة، ص 258.

[4]-ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص 160.

"الألفت في كلام قيس: الأحمق، والألفت في كلام تميم: الأعسر، وقال الأصمعي: السَّليط عند عامة العرب: الزيت، وعند أهل اليمن: دهن السِّمسم"[1].

-**التغيُّر الصَّوتي**: أو تغيير النطق، وهو عاملٌ مهمٌّ في تكوين المشترك، ويكون ذلك عن طريق القلب المكاني والإبدال؛ أمَّا تغيير النطق بوساطة القلب المكاني فمثاله الفعلان "خطا" من الخطو، و"خاط " من الخياطة، وبقلب خطا إلى خاط أصبحت الكلمة الأخيرة من المشترك اللّفظي[2]. ويكون تغيير النطق بوساطة الإبدال سببًا مهمًا في نشأة كثير من ألفاظ المشترك، ومثال ذلك لفظتا: حنك وحلك، إذ أبدلت لام "حلك" إلى نون لتطابق "حنك" في النطق وتنشأ لنا كلمة واحد هي "حنك" بمعنيين مختلفين[3].

-**الاستعمال المجازي**: الذي يراه بعض الباحثين من أهمِّ عوامل نشأة هذه الظاهرة، في حين يتخذه بعض المنكرين لها دليلاً على نفي وجودها[*]. ويكون الاستعمالُ المجازيُّ عاملَ نشأة عندما تنتقل دلالة اللّفظ الأصلية إلى دلالة مجازية مع وجود علاقة بين الدّلالتين، ومثال هذا لفظة (الهلال) الذي يطلق على: هلال السَّماء وهلال الصَّيد وهلال الإصبع...، ولاشك أنَّ علاقة المشابهة هذه ملموسة بين مختلف معاني لفظة هلال[4]، ولعلَّ هذا ما قصده أبو علي الفارسيّ(ت277هـ) بقوله:" أن تكون لفظة تستعمل لمعنى ثم تستعار لشيء فتكثر وتصير بمنزلة الأصل"[5].

---

[1]-السيوطي، المزهر في علوم اللّغة، 381/1.

[2]-ينظر: توفيق محمد شاهين، المشترك اللّغويّ، ص 63-64.

[3]-ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص 160-161.

[*] يشترط المحدثون في وقوع المجاز عاملا من عوامل نشأة المشترك، أن يكون المجاز من قبيل المجاز الميّت أو المنسي الذي اندثر فيه الجانب المجازي ليصبح حقيقة مع كثرة الاستعمال ومرور الزمن.

[4]-ينظر: توفيق محمد شاهين، المشترك اللّغويّ، ص 57-58.

[5]-ابن سيده، المخصَّص، 259/13.

-قد يحدث الاشتراك اللّفظي **بطريق صرفي**؛ وذلك بتعدُّد الوجوه التي تختلف من أجلها الدّلالة مع الاتفاق في اللّفظ نفسه، كأنْ تتعدَّد المصادر بالاشتقاق في مثل الفعل (وجد) الذي يدلُّ على الغضب من المصدر (موجدة)، ويدلُّ على الحب الشديد من المصدر (وجد)، ويدلُّ على العلم بالشيء أو العثور عليه من المصدر (إيجاد)، وقد يكون تشابه الصِّيَغ من الوسائل أيضًا، كأنْ تشبه كلمة في صيغة الجمع كلمة أخرى في صيغة المصدر، مثل كلمة:(النَّوى) التي تعني جمع نواة، وتعني البعد[1].

-**الاقتراض من اللّغات الأجنبية:** وهو ما سمَّاه القدماء بالمعرب أو الدَّخيل، ويحدث عندما تستعير اللّغة من لغة إلى أخرى كلمات تماثل كلمات أخرى فيها نطقًا دون معنى، ومثل هكذا أمر نادر الوقوع في اللّغة، ويمكننا أنْ نمثِّل له بلفظ "السُّور: حائط المدينة، والسُّور: الضِّيافة، والمعنى الأوَّل عربيّ، أمَّا الثاني فهو لكلمة فارسيّة"[2].

إنَّ اللّغة العربيّةَ لمحظوظةٌ حقًّا، باحتوائها على هذا النَّمط اللّفظي الذي تتعدّد فيه الدّلالة وتختلف للَّفظ الواحد، ممَّا يزيد في ثرائها وسِعَة القِيَم التعبيرية فيها؛ فاللّغة تستطيع أنْ تعبِّر عن أفكار عديدة بوساطة تلك الطريقة الناجعة القادرة على تطويع الكلمات وإكسابها مرونة وقابلية تنوُّع في الاستعمال، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى يمكن الإفادة من ذلك الغموض الوقتي الذي قد يكتنف لفظة المشترك وبالتالي التَّركيب ككل، فيمنح لذَّةً لغويةً فكريةً للسَّامع، سرعان ما ينجلي ذلك الغموض بمجرَّد الوقوع على المعنى المقصود من بين مجموع المعاني المحتملة، وأدبيًّا، يعدُّ عونًا للشاعر والناثر على أداء غرضه، واتِّساع مجال القول أمامه، وقد تكرّرت الألفاظ بعينها في قواف، ولا

[1]-ينظر: رنا طه رؤوف، (الدلالة المركزية والدلالة الهامشية بين اللّغويين والبلاغيين)، رسالة ماجستير(مخطوط)، العراق، (1423هـ/2002م)، ص 75-76.

[2]-رمضان عبد التّوّاب، فصول في فقه العربيّة، الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة-مصر، ط6، ص291.

عيب فيها مادامت الألفاظ قد اختلفت معانيها، كما في (غرب) و(خال) و (عين) و (دين) وغيرها.

قد يتساءل الواحد منا، كيف له أن يصل إلى المعنى المقصود دون غيره من المعاني المتراكمة للّفظ؟ نجيبه فنقول: إنّ مفهوم السّياق هو أقدر المفهومات جميعًا على ترجيح الدّلالة المقصودة على غيرها، أو كما سمّاه أولمان بـ:"صمَّام الأمان"[1] الذي يفرض قيمة حضورية واحدة على اللّفظة فيقطع الطريق على تداعي المعاني المتزاحمة " مع أنَّ الكلمة في المشترك مشحونة بمعانيها، تتحفّز للخروج والظهور، والمتكلّم يضع المعنى المراد في الإطار المطلوب المعيّن على الفهم والمحدّد للمعنى، والسّامع لا يجد صعوبة إطلاقا في فهم المراد من بين الكثرة ومع نسيان المجازية "[2].

6-أهميَّة السّياق:

إنَّ أصفى صورة للتعدُّد الدّلالي تتجلَّى في المشترك اللّفظي الذي تتَّحد فيه الصورة السمعية ويختلف مدلوله من سياق إلى آخر، ممَّا يستوجب" أنْ يكون له في كلِّ مقامٍ ومقالٍ معنى واحد من بين سائر معانيه المعجمية التي دلَّت عليها نصوص اللّغة المختلفة المتعدِّدة"[3]، وبالتَّالي فإنَّ " اختيار مفهوم ملائم من بين لائحة المفاهيم التي يعبِّر عنها اللّفظ المشتركُ يتطلَّب مجهودًا معرفيًا خاصًا ويتسبَّب أحيانا في أخطاء، ويقع رفعُ الالتباس عن طريق السّياق اللّغويّ المباشر، أو السّياق الخطابي، أو الوضع الذي يحدث فيه التواصل، أي كلّ مصادر المعلومات المتوفرة لرفع اللُّبس"[4]. وقد كان من نتائج جهل بعض الدارسين لقضية السّياق ودوره، أنْ اعتبر الاشتراك مظهرًا من مظاهر الغموض،

---

[1]-ينظر: ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللّغة، ص 141.

[2]-توفيق محمد شاهين، المشترك اللّغويّ، ص 62.

[3]-كاصد ياسر، (الدلالة في البنية العربيّة بين السّياق اللفظيّ والسياق الحاليّ)، مجلة آداب الرافدين، ع: 26، كانون الأول، 1994م، ص115.

[4]-عبد القادر فاسي الفهري، اللسانيات واللّغة العربية، 204/2.

وحتى نثبت العكس يمكننا أنْ نتمثَّل دور السّياق فعليًا من خلال جملة نماذج نثرية وأخرى شعرية.

-لفظة: " **عين**"

التركيب	الدّلالة	القرائن
* دمعت عين فلان	عضو الإبصار	-دمعت: لأن الدّموع لا تصدر إلا من العين.
* تفجَّرت عينٌ في الصحراء	عين الماء	-تفجَّرت، الصحراء
* فلانٌ عينٌ على الدخلاء لصالح وطنه	جاسوس	-الدخلاء، لصالح وطنه
* أصابت أرضَ بني فلان عينٌ	مطر يدوم لأيام	-أصابت، أرض
* عين القبيلة يستقبل وجهاءها	سيِّد القبيلة	-القبيلة، يستقبل، وجهاء
* ما غلامٌ لَهُ ثَمَانُونَ عَيْنًا زَاهِرَاتٌ كَأَنَّهُنَ الدَّرَارِي ثُمَّ شاةٌ جاءَتْ بِعَنْزٍ وَدِيكٍ فِي لَيَالِي الشِّتاءِ والأزهارِ[1]	ثمانون دينارا	-له: اللام للامتلاك المادِّي هنا. -ثمانون: عدد، معدوده مادِّي. -زاهرات: وصفٌ للعين -الدَّراري: من الدُّر، إذ الدينار يشبه الدُّر في الشكل. -البيت الثاني فيه إيراد لباقي ما يملك الغلام من زوج وبنت (عنز) وديك (ولد). -من معاني (عين) دينار، ومن غير المعقول أن يملك الغلام ثمانين عضو إبصار،

[1]-ينظر: السيوطي، المزهر في علوم اللّغة، 375/1.

التركيب	الدّلالة	القرائن
		ويستبعد إلى حدٍّ ما أن يكون له ثمانون جاسوسًا، أو عينَ ماء ... زيادة على ما أكَّده البيت الثاني من أن الملفوظ الشعري كله يتحدث عمَّا يملكه الغلام من مال وزوج وولد ليدلِّل في النهاية على يُسْرِ حاله فكلُّها قرائن على أنَّ "عين" هنا هي دينار
*يَا دَارَ سُعْدَى بِذَاتِ الضَّالِ مِنْ إِضَمِ سَقَاكِ صَوْبَ حَيًا مِنْ وَاكِفِ العَيْنِ	السَّحاب	-تساوقها مع: سقاكِ صوبُ
*إِنِّي لَأَذْكُرُ أَيَّامًا بِها وَلَنَا فِي كُلِّ إِصْبَاحِ يَوْمٍ قُرَّةُ العَيْنِ	عضو الإبصار	-تساوق (عين) مع لفظة (قرة)، أو ما يسمى بالتَّلازم إذ تستعمل (القرَّة) دائما مع العين الباصرة.
* تُدْنِي مُعَشَّقَةً مِنَّا مُعَتَّقَةً تَشُجُّها عَذْبَةٌ مِنْ نَابِعِ العَيْنِ	عين الماء	تساوقها مع لفظَتَيْ:(عذبة) و (نابع).
* إذا تَمَزَّزَهَا شَيْخٌ بِهِ طَرَقٌ سَرَتْ بِقُوَّتِهَا فِي السَّاقِ وَالعَيْنِ	عين الركبة	- تساوقها مع: (السّاق). - دلالة لفظة (طَرَق) على ضعف الركبتين، وهذا ينفي باقي دلالات (العين) ويُبقي دلالتها على: عين الركبة
* وَالزِّقُ مَلْآنُ مِنْ مَاءِ السُّرُورِ فَلا تَخْشَى تَوَلُّهَ مَا فِيهِ مِنَ العَيْنِ	ثقب المزادة	- دلالة (تولَّه) هي: تسرُّب الماء وباقي دلالات(العين) لا تتناسب ومعنى البيت وهو: لا تخش تسرُّب ماء.

التركيب	الدّلالة	القرائن
		- الزِّق من الثقب لأنه ملآن(على الاستعارة في: ماء السرور)
* وَغَابَ عُذَّالُنَا عَنَّا فَلا كَدَر في عَيْشِنَا مِن رَقِيبِ السُّوءِ وَالعَيْن	الرقيب الحاسد	-تساوقها مع (عذالنا) -ارتباط العاذل برقيب السوء -واو العطف دلَّت على المصاحبة بين(رقيب السوء) و (العين)، وبالتَّالي ترادفهما.
* يُقَسِّمُ الوُدُّ فِيمَا بَيْنَنَا قِسْمًا مِيزَانُ صِدْقٍ بِلَا بَخْسٍ وَ لا عَيْنِ	عين الميزان	-تساوقها مع (يقسِّم)، و(ميزان صدق) حدَّد دلالتها بعين الميزان والمعنى: إنَّه عادل في قسمته.
* وَفائِضُ المَالِ يُغْنِينَا بِحَاضِرِهِ فَنَكْتَفِي مِنْ ثَقِيلِ الدَّينِ بِالعَيْنِ	المال أو الدراهم	-ذكره (المال) في صدر البيت -الدَّين: قرينة دالة على أنَّ الحديث يدور عن المال، وبالتّالي استبعاد باقي دلالات (العين)
* وَالمُجْمَل المُجْتَبَى تُغْنِي فَوَائِدُه حُفَّاظَه عَنْ كِتَابِ الجِيمِ وَالعَيْن[1]	كتاب العين	-تساوقها مع: المُجْمَل المُجْتَبَى، وكتاب (الجيم) وهما من الكتب. -المصاحبة بواو العطف بين كتاب الجيم والعين.

[1]-ياقوت الحمويّ، معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، مطبوعات دار المأمون، مصر، (د.ط)، (د.ت)، 4/90- 92.

-لفظة: " **خال**"

التركيب	الدّلالة	القرائن
* أَمِنْ خَدِّهَا الوَرْدِي أَفْتَنَكَ الخَالُ	-الشامة في الوجه	-تساوقها مع (خدِّها الوردي)
فَسحَّ منَ الأجْفَانِ مَدْمَعُك الخَالُ	-السَّحاب الممطر	-فسحَّ: من الّسيحان، بمعنى سال أي سال دمعك كما يسيل المطر من السَّحاب -القرائن: الأجفان، مدمعك.
* وَأَوْمَضَ بَرْقٌ مِنْ مُحَيَّا جَمَالِهَا لِعَيْنَيْك أمْ مِنْ ثَغْرِهَا أَوْمَضَ الخَالُ	البرق	-تساوقها مع (أومض)[من الوميض] ولا يناسبها من بين معانيه المختلفة سوى معنى البرق
* رَعَى اللهُ ذَيَّاكَ القَوَامِ وإنْ يَكُنْ تَلاعَبُ فِي أَعْطَافِهِ التَّيْهُ وَالخَالُ	الاختيال والخيلاء	-تساوقها مع (القوام). -عُطِفَت على (التَّيه) بواو العطف فدلَّ هذا على المصاحبة والترادف في المعنى.
* وَللهِ هَاتَيْكَ الجُفُونُ فَإنَّهَا عَلَى الفِتْكِ يَهْوَاهَا أَخُو العِشْقِ وَالخَالُ	الخلِّي	-يهواها أخو العشق: أي من شدة جمال عيونها يهواها العاشق وخلِّي القلب من العشق أي المحب وغير المحب يهواها.
* مَهَاةٌ بِأُمِّي أَفْتَدِيهَا وَوالِدِي وإنْ لامَ عَمِّي الطَّيِّب الأصْل وَالخَالُ[1]	أخو الأم	-ذكره: الأم، والوالد، والعمّ، يجعل الخال هنا: أخو الأم

[1]-تمثّل هذه الأبيات الخمسة مطلع (القصيدة الخالية) للمعلم بطرس كرامة، ينظر: أحمد عبد الرحمن حمّاد، عوامل التّطوّر اللّغويّ، ص72-73.

إنَّ كلَّ مَن يتوهَّم الإبهام والتَّعمية في المشترك، جاهلٌ لا محالةَ لدور السّياق وقرائنه في توضيح المراد وكشف الدّلالة إلّا إذا كان الكلام خِلوًا من القرائن؛ فالمشترك لا يظل مشكلة قائمة حينما تحللّ الكلمة مع متساوقاتها في الجملة، إذ إنّ الاستعمال سيوضح المعنى المقصود عندئذ.

ويبقى تحديد الدّلالة أصعب منه في النّصوص المكتوبة أو اللّغة المكتوبة (Written Language)، ويعود ذلك إلى أن الكتابة تحصر الكلام في إطار واحد بصري لا سمعي يَعدِم ما يُصاحِب الكلام من إشارات جسمية وصوتية (نبر وتنغيم)، كلّها تساعد المتلقي – حتمًا – لو أنَّها كانت في متناوله، فجميع ملابسات الملفوظ الشعري أو النثري وحيثياته تجعلنا أشدّ وثوقًا في المعنى المتوصلّ إليه ولساعدت هذه القرائن وقرائن السّياق اللّغويّ ودعّمتها أكثر وأَبْقَتْهَا في الحيّز الدّلالي الذي قصده صاحب الملفوظ اللّساني [1].

[1]-ينظر: عواطف كنوش، (الدلّالة السّياقيّة عند اللّغويّين)، رسالة ماجستير(مخطوط)، بغداد، 1992م، ص295 وما بعدها

المحاضرة الثامنة: الأضداد Antonymy

مهاد:

بما أنّ الجدليّة من خصائص الفكر الإنساني، فكان لا بُدَّ أنْ تظهر في طبيعة لغةٍ عريقة كاللّغة العربيّة؛ إذ انتبه اللّغويّون القدماء لوجود **الأضداد** في ألفاظها، وأشاروا إليها وسَعَوا لجمعها وتفسير وجودها، باعتبارها إحدى خصائص العربيّة، وعلاقة من علاقاتها الدّلاليّة، ودليّل عبقريتها وظاهرة تميَّزت بها تميّزًا جليًا بين باقي الجزريات[1].

1-تعريفها:

الأضداد **لغةً** من " (ضَدَدَ) اللَّيث، الضِدُّ كُلُّ شَيْءٍ ضَادَّ شيئًا لِيَغْلِبَهُ، والسَّوادُ ضِدُّ البَيَاضِ والمَوْتُ ضِدُّ الحَيَاةِ واللَّيلُ ضِدُّ النَّهَارِ إذَا جَاءَ هَذَا ذَهَبَ ذَلِكَ (...) ابن سِيدَهْ[2]: ضِدُّ الشَّيْءِ وضَدِيدُهُ وَضَدِيدَتُهُ خِلَافُه الأخِير".[3]

أمّا **اصطلاحًا** فيقصد بها تلك " الكلمات التي تؤدّي إلى معنييْن متضادَّيْن بلفظٍ واحد ككلمة (الجوْن) تطلق على الأسود والأبيض، و(الجلل) تطلق على الحقير والعظيم."[4]، ويجعله السُّيوطي(ت911ه) نوعًا من المشترك، ويَذْكُرُ حَدَّ الأصوليّين له بقوله: " قال أهل الأصول: مفهوما اللّفظ المشترك، إمّا أنْ يتباينا، بأنْ لا يمكن اجتماعهما في الصدق على شيء واحد، كالحيض والطهر، فإنَّهما مدلولا (القرء)، ولا

---

[1]-اللّغات الجزريّة: هي اللّغات: الأكاديّة (البابليّة والآشوريّة) والآراميّة والكنعانيّة (الفينيقيّة والعبريّة والأوغاريتيّة) والعربيّة واليمنيّة القديمة والحبشيّة، ينظر: المعجم المفصّل في علوم اللّغة (الألسنيات)، 500/1.

[2]-ينظر: ابن سيده، المخصّص، 259/13.

[3]-ابن منظور، اللسان، مادة[ض د د].

[4]-ابن الانباري، الأضداد، ص (أ).

يجوز اجتماعهما لواحد في زمن واحد أو يتواصلا، فإمّا أن يكون أحدهما جزءًا من الآخر كالممكن العام للخاص، أو صفة كالأسود لذي السواد فيمن سميّ به" [1]، ويجعله أحمد بن فارس الجنس الرابع من أجناس الكلام في الاتفاق والافتراق يقول:" ومنه اتّفاق اللّفظ وتضاد المعنى"[2]، وغير بعيد عن هذه التعريفات نجد المحدثين من الدارسين واللّغويّين العرب يرون أنَّ الأضداد هو أنْ يُطلَق اللّفظ على المعنى وضدِّه، أو هو " ألفاظ لكلٍّ منها معنيان أحدهما ضدّ الآخر، أي أنّ الاختلاف بينهما اختلاف تضاد لا اختلاف تغاير"[3]، والتقابل بين معنيَيْ اللّفظ لا يقصد به تقابل المعاني دون اتِّحاد صيغة اللّفظ، كالليل والنهار، والطول والقصر، بل إنّ اتحادَ اللّفظ شرطٌ أساسٌ في هذه الظاهرة.

2-بين الأضداد والتّضادّ: وجب قبل المُضيّ قُدُما في بحث ظاهرة الأضداد أن ننوّه إلى أنّ التّضاد بالمفهوم الحديث، لا القديم، يشمل أنواعا أربعة هي[4]:

-**التّضاد الحادّ** ويسمّى **التّضادّ غير المتدرّج** مثل: (حيّ – ميت)، فهما كلمتان متقابلتان في المعنى، ونفي أحد طرفيْ التّقابل يعني الإقرار بالآخر.

-**تضاد التّضايف:** ويسمّيه المناطقة (الإضافة) وهي نسبة بين معنييْن كلّ منهما مرتبط بإدراك الآخر، كإدراك الأبوة و البنوّة، فإمّ أحدهما لا يدرك إلا مع الآخر.

-**التّضاد المتدرّج:** ويصفه المناطقة بأنّ الحدّيْن فيه لا يستنفدان كلّ عالم المقال؛ وعليه فإنّهما قد يكذبان معا، أي أنّ شيئا قد لا ينطبق عليه أحدهما، فبينهما وسط،

---

[1]-السيوطي، المزهر في علوم اللّغة، 387/1.

[2]-أحمد بن فارس، الصّاحبي في فقه اللّغة، ص201.

[3]-كاصد ياسر الزّيدي، فقه اللّغة العربية، مديريّة دار الكتب للطّباعة والنّشر، جامعة الموصل، العراق، (د.ط)، 1987م، ص152.

[4]-ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص102-106.

مثلا: ماء ليس ساخنا لا يعني الاعتراف ضمنيّا بأنه بارد فقد يكون فاترا أو دافئا (ساخن– فاتر-بارد).

-**تضاد التّنافر:** ويسمّيه المناطقة بتضادّ **التّخالف**؛ وهي النّسبة بين معنى ومعنى آخر من جهة إمكان اجتماعهما وإمكان ارتفاعهما، مع اتّحاد الزمان والمكان(أكل–باع)، (الطول-البياض).

لقد كان (**الاستلطاف**) السبب في بدء التأليف في الأضداد، وظهور أولِّ كتابٍ لصاحبه قطرب (ت206ه) وهذا يعني أنّ الكتابة في الأضداد بدأت **هوايةً** في القرن الثاني للهجرة ثم صارت لإزاحة ما غمُض من أضداد القرآن الكريم في القرن الثالث، ثم تحوّلت إلى رغبة في الدفاع عن العربيّة ومواجهة الشعوبيّين – أو أهل الزيغ والبِدَعِ – أوائل القرن الرابع، لينتهيَ في آخر المطاف إلى رغبة في تقديم رصيد من هذه المفردات كمحسنّات لفظية لذوي الاختصاص، وهذا بدءًا من القرن الثالث عشر، ونستبينُ من هذا أنَّ الدافعَ الذي حمل اللّغويّين على تدوين الأضداد لم يثبت على مرِّ العصور، بل تغيّر من جيل إلى آخر[1].

لقد تضاربت الآراء حول سعة هذه الظاهرة في عربيتنا؛ فذهب البعض إلى أنَّ عدد ألفاظ الأضداد يتجاوز سبعًا وخمسين وثلاث مئة، كما يتبيّن في كتاب ابن الأنباريّ، بينما يتضاءل العدد إلى اثنين وعشرين لفظًا مثلما ذهب إليه المستشرق **جيز Giese**، وهذا بعد دراسته للشِّعر الجاهلي مطبّقًا قواعد علم تطوُّر المعاني، لكنَّ المنطقَ يستوجبُ منَّا ألاَّ نأخذ بهذا الكمِّ الضئيل باعتبار أنَّ كثيرًا من ألفاظ الأضداد نشأت بعد

[1]-ينظر: محمد حسين آل ياسين، (الأضداد في اللّغة)، مجلّة اللّسان العربيّ، مج:9، ج:1، ذو القعدة 1391ه/ يناير 1972م، ص100 – 101.

ظهور الإسلام وجمع اللّغة من قبائل متعددة اللّهجات، وبالتَّالي برزَ كمٌّ آخر من هذه الألفاظ [1].

وأكثرُ الدارسين و اللّغويّين على جعلِ ألفاظ الأضداد نوعًا من المشترك اللّفظي وفرعًا منه وعلى رأسهم السّيوطي الذي استهلَّ بابَ الأضدادِ، بقوله: " هو نوع من المشترك"[2] سالكًا في ذلك مسلكَ الأصوليّين وبعض العلماء الذين يَروْن أنَّ "المشترك يقع على شيئين ضدَّين، وعلى مختلفين غير ضدَّين، فما يقع على الضدَّين كالجوْن و جَلل، وما يقع على مختلفين غير ضدَّين كالعين"[3]، ونجد من المحدثين إبراهيم أنيس يذهب مذهبَهم عندما يذكر صراحةً في كتابه(في اللَّهجات العربيّة) قوله:" فالتضاد نوع من المشترك اللّفظيّ"[4]، ويطالعنا برأي مخالف في كتابه (دلالة الألفاظ) عندما يقول:" أمّا الكلمات التي تسمّى بالأضداد فيقحمها بعض اللّغويّين في هذا المشترك اللّفظي رغم ما نرى بينها من صلة الضدِّية، وهي صلة وثيقة بين الدّلالات" [5].

إنَّ كِلا العلاقتيْن الدّلاليتيْن تدلّان على معنى متعدِّد للفظ واحد، مع فرق واحد هو أنَّ المعنييْن في المشترك يختلفان اختلاف تغاير في حين أن اختلاف الأضداد هو اختلاف تضادٍّ، ولعلَّ مِنْ أهمِّ مَنْ كَتَبَ في الأضداد: قطرب (ت206ه)، وأبو عبيدة (ت210ه)، والأصمعيّ (ت216ه)، التّوزي(ت230ه)، وابن السكّيت(ت244ه) وأبو حاتم السجستانيّ(ت255ه)، والمبّرد(ت284ه)، وابن الأنباريّ (ت328ه)، وأبو الطيب اللّغويّ (ت351ه)، وابن الدَّهان (ت569ه)، والصاغاني(ت650ه).

3-الأضداد بين الإنكار والإثبات:

[1]-ينظر: آل ياسين، الأضداد في اللّغة، ص266.

[2]-السيوطي، المزهر في علوم اللّغة، 387/1.

[3]-نفسه.

[4]-إبراهيم أنيس، في اللهّجات العربية، ص208.

[5]-إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص214.

3-1/ المنكرون: كما حَدَثَ مع المشترك، فقد وقع جدلٌ بين علماء اللّغة والدارسين حول وقوع الأضداد أو عدمه؛ ذلك أنَّ مجيء معنيين متضادَّين بصيغة واحدة، دفعَ ببعض اللّغويّين إلى إنكار التَّضاد في العربيّة، وعلى رأس هؤلاء ابن درستويه الذي أَلَّفَ كتابًا خاصًا سمَّاه (إبطال الأضداد)، لكن للأسف لم يصل إلينا هذا المُصنَّف، ولو وصَلَ إلينا لوقفنا أكثر على أهَّم مرتكزات ابن درستويه في إبطاله هذه الظاهرة "ولَكُنَّا إزاء كتابٍ يقدِّم لنا الصورة الكاملة لمنهجِ الإنكار وطريقة ابن درستويه في إبطال ضدِّية الألفاظ واستخلاصه المعنى الشامل للمعنيين المتضادين، وربّما نقلَ لنا آراءَ غيره ممَّن سبقوه إلى معالجة الأضداد وإنكاره...[1]

قال ابن درستويه في (شرح الفصيح):" النَّوء: الارتفاع بمشقَّة وثِقَلٍ، ومنه قيل للكوكب قد ناء إذا طَلَعَ، وزعم قوم من اللّغويّين أنَّ النَّوء: السُّقوط أيضًا، وأنه من الأضداد؛ وقد أوضحنا الحجّة عليهم في ذلك في كتابنا في إبطال الأضداد"[2]، ومن المنكرين أيضًا ثعلب (ت291ه) وأحد شيوخ أبي علي الفارسي(ت377ه)[3] والجواليقي (ت540ه)[4]. ويزعم الفريق المنكر أنَّ وجود مثل هكذا أمر في العربيّة يؤدِّي إلى التعميّة وغموضِ الدّلالة والتباسها على السَّامع، وهو خلافُ المُراد من اللّغة، باعتبارها أداة تواصل وإبلاغ وإبانة المقصود من المخاطِب إلى المخاطَب. وفيه من قال بوجود الأضداد لكن باعتبارها " ظاهرةً غير صحية في اللّغة العربيّة، وأنّ العرب لجأوا إليها لنقصان حكمتهم، وقلَّة بلاغتهم"[5]. يقول ابن الأنباري: "ويظنُّ أهلُ البدع والزيغ والإزراء بالعرب، أنّ ذلك كان منهم لنقصان حكمتهم، وقلَّة بلاغتهم، وكثرة الالتباس في محاوراتهم، وعند

---

[1]-آل ياسين، الأضداد في اللّغة، ص248.

[2]-السيوطي، المزهر في علوم اللّغة، 396/1.

[3]-ينظر: ابن سيده، المخصّص، 259/4.

[4]-ينظر: عبد الواحد حسن الشّيخ، العلاقات الدلالية والتراث البلاغيّ العربيّ، ص81.

[5]-نفسه، ص82.

اتّصال مخاطباتهم، فيسألون عن ذلك، ويحتجُّون بأنَّ الاسمَ منبئٌ عن المعنى الذي تحته ودالّ عليه، ومُوضِحٌ تأويله، فإذا اعتور اللّفظةَ الواحدةَ معنيان مختلفان لم يَعرف المخاطَب أيُّهما أراد المخاطِب، وبَطل بذلك معنى تعليق الاسم على المسمَّى"[1]، وَ ردَّ عليهم محتجًّا بقوله:"إنَّ كلامَ العربِ يصحِّح بعضه بعضًا، ويرتبط أوّلُه بآخره، ولا يُعرَف معنى الخطاب منه إلاَّ باستيفائه واستكمال جميع حروفه، فجاز وقوع اللّفظة على المعنيين المتضادّين، لأنَّها يتقدَّمها ويأتي بعدها ما يدّل على خصوصية أحد المعنيين المتضادّين، لأنَّها يتقدَّمها ويأتي بعدها ما يدلّ على خصوصية أحد المعنيين دون الآخر، ولا يُراد بها في حال التكلّم والإخبار إلَّا معنى واحد، فمن ذلك قول الشاعر:

كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا الْمَوْتَ جَلَلٌ وَالْفَتَى يَسْعَى وَيُلْهِيهِ الْأَمَلُ

فدلَّ ما تَقدَّم قبل (جلل) وتأخر بعده على أنَّ معناه: كلّ شيء ما خلا الموت يسير؛ ولا يتوهَّم ذو عقل وتمييز أنَّ (الجلل) هاهنا معناه (عظيم)"[2]، ثمَّ أورد طائفة من أضداد القرآن الكريم وأشعار العرب ليست بالهيّنة.

2-3/ المثبِتون: أمّا المقرّون بهذه الظاهرة المعترفون بوجودها، فيجعلونها وسيلةً من وسائل التنوّع في الأساليب والتّعابير، ودليلًا على مرونة العربيّة وسعتها، وأمثلة الأضداد كثيرة في اللّغة تؤكد أنَّه واقع موجود ولا مناص من الإقرار بوجوده ذلك أنَّ العوامل التي تؤدّي إليه عوامل فَعَّالة في حياة الناس، ويتفاوت المثبتون للأضداد بين مبالغين في التّوسيع، نحو: أبو حاتم، قطرب، ابن الأنباريّ...، ومبالغين في التضييق وأغلبهم من المحدَثين، وعلى رأسهم إبراهيم أنيس[3] الذي يحصر ألفاظ التَّضاد بمعناه الحقيقي في نحو عشرين كلمة في كلِّ لغة، وهي بهذا الحجم الضَّئيل لا تستحق كلّ هذه العناية،

[1]-ابن الأنباري، الأضداد، ص1-2.

[2]-نفسه، وينظر: السيوطي، المزهر في علوم اللّغة، 397/1 – 398.

[3]-ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص194 وما بعدها.

خاصةً وأنَّ أغلب هذه الألفاظ يؤول إلى الاضمحلال والزَّوال عندما يشتهر أحد معنييْها على حساب الآخر مع مرور الزمن[1]. ونجد صبحي الصَّالح يميل كذلك إلى التضييق عندما يقول:" أمّا اتّساع التعبير في العربيّة عن طريق التَّضاد فليس في وُسعنا أن نبالغ فيه ونكبِّر من أمره، لأننَّا – بعد مراجعة رصيدنا اللّغويّ من الأضداد – سنجد أنفسنا وجهًا لوجه أمام مقدار ضئيل من الكلمات؛ وسرعان ما نلاحظ أنَّ هذا المقدار الضَّئيل نفسه يأخذ في التّضاؤل شيئًا فشيئًا حتَّى ليكاد يتلاشى"[2]، أمّا من المعتدلين في الرأي إزاء هذه القضية من القدماء فيطالعنا ابن فارس مثبتًا إيّاها دونما مبالغة، وذلك في أمرين أثنين:

أ-من عادة العرب وسننها تسمية المتضادَّين بلفظ واحد نحو: الجون الأسود والأبيض [3].

ب-الإقرار بورود الأضداد صار لزامًا ما دُمْنَا اعترفنا بالمشترك اللّفظي في اللّغة "وذلك أنَّ الذين رووا أنَّ العرب تسمّي السَّيف مهندًا، والفرس طِرْفًا هم الذين رَووا أنَّ العربَ تُسميِّ المتضادَّين باسم واحد"[4]، ومن الذين توّسطوا في رأيهم من محدثينا نجد الدّارس علي عبد الواحد وافي الذي يعيب على الفريقين مغالاتهما بقوله: "فمن التعسّف إنكار التَّضاد ومحاولة تأويل أمثلته جميعًا تأويلاً يُخرجها من هذا الباب كما فَعَل الفريق الأول(...) غير أنَّه لم يكثر وروده في اللّغة العربيّة على الصورة التي ذهب إليها الفريق الثاني، وذلك أنَّ كثيرًا من الأمثلة التي ظنَّ هذا الفريق أنّها من قبيل الأضداد يمكن تأويلها على وجه آخر يُخرجها عن هذا الباب "[5].

---

[1]-ينظر: إبراهيم أنيس، في اللهجات العربيّة، ص215.

[2]-صبحي الصّالح، دراسات في فقه اللّغة، ص359.

[3]-ينظر: ابن فارس، الصاحبي في فقه اللّغة، ص97.

[4]-نفسه، ص98.

[5]-علي عبد الواحد وافي، فقه اللّغة، ص188.

4-عوامل نشأة الأضداد:

يمكننا أنْ نستشفَّ من خلال كتب القدماء في الأضداد بدءًا من كتاب قطرب وانتهاءً بالكتب المتأخرة، مجموعة العوامل التي أدَّت إلى نشأة الأضداد والتي وقع عليها شبه إجماع من طرف الدارسين، وتلخَّص في النقاط الآتية [1]:

– **اختلاف اللّهجات**: يقول السُّيوطيّ: " وقال آخرون: إذا وقع الحرف على معنيين متضادّين فمحال أنْ يكون العربيّ أوقعه عليهما بمساواة منه بينهما، ولكن أحد المعنيين لحيٍّ من العرب والمعنى الآخر لحيٍّ غيره، ثم سَمِعَ بعضهم لغة بعض فأخذ هؤلاء عن هؤلاء، وهؤلاء عن هؤلاء قالوا: فالجون الأبيض في لغة حيٍّ من العرب، والجون الأسود في لغة حيٍّ آخر؛ ثم أخذ أحد الفريقين من الآخر"[2]، ومن أمثلة هذا لفظة (السدفة) التي تعني الضوء في لغة قيس، والظلمة عند سائر العرب، ولفظة (وثب) التي تعني عند مُضَر: الوقوف أو القفز، وتعني عند حِمْيَر: الجلوس والقعود[3].

لكنَّ الكثير من المحدثين لا يرون في اختلاف اللهجات سببًا في نشأة الأضداد، فهذا تمّام حسّان بعد أنْ يورد قصَّةَ الملك الحِمْيَرِي وأمره العربيّ الشمالي بالوثوب، يستبعد أنْ يكون تضاد معنيين للفظ واحد عند قبيلتين أو لهجتين عاملاً حقيقيًا لنشأة مثل هكذا ظاهرة، يقول عن هذه القصة ومثيلاتها:" ولكنها لا تكشف لنا عن ظاهرة التَّضاد، وإنَّما تكشف عن اختلاف اللّغات في الاستعمال، وتشابه الكلمة بإحدى اللّغتين مع الكلمة باللّغة الأخرى، فكلُّ ما ثبت أن يعود إلى اختلاف القبائل من فعل التضاد فإنّه لا ينبغي أن يدخل ضمن هذه الظاهرة، كـ (السُّدفة) التي قال فيها أبو زيد إنَّها تعني الظلمة

[1]-للتوّسع أكثر في العوامل، ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص204 – 214.

[2]-السيوطي، المزهر في علوم اللّغة، 401/1.

[3]-ينظر: نفسه، 389/1 – 396.

عند تميم، وتعني الضوء عند قيس"[1]، ونجد من المحدثين كذلك رمضان عبد التواب في كتابه "فصول في فقه العربيّة" وهو يسرد جملة العوامل دون أن يذكر عامل: اختلاف اللهجات من بين تلك العوامل.

– **عموم المعنى الأصلي:** ويحدث هذا كما يقول السيوطي:" إذا وقع الحرف على معنيين متضادّين فالأصل لمعنى واحد، ثم تداخل الاثنان، على جهة الاتِّساع"[2]؛ فقد يكون المعنى الأصلي للفظة عامًا، ثمَّ يتخصّص هذا المعنى في لهجة من اللَّهجات ليتخصَّص في لهجة أخرى بضدِّ المعنى الأوّل، ونكون هنا إزاء نشأة حسيّة مع وجود أصل مجرَّد يرجع إليه، ومثال هذا كلمة (الصَّريم)" ... يُقال لِلَّيل صريم، وللنَّهار صريم؛ لأنَّ الليلَ ينصرم من النهار، والنَّهارُ ينصرم من اللَّيل؛ فأصل المعنيين من بابٍ واحدٍ وهو القطع ... وكذلك: (السُّدفة): الظلمة والسُّدفة الضوء؛ سُمِّيا بذلك لأنَّ أصلَ السُّدفة الستر، فكأنَّ النهارَ إذا أقبل ستَر ضوء ظلمة الليل، وكأنَّ الليلَ إذا أقبل سترت ظلمته ضوء النَّهار"[3].

– **أسباب اجتماعية و نفسية:** كالتَّفاؤل والتَّشاؤم والتَّهكُّم والخوف من الحسد، وهي عادات وأنماط تعبيرية تنتاب الإنسان؛ لها دورها في نشأة بعض المتضادَّات، فالتفاؤل مثلًا " من العناصر الإيجابية لفكرة اللَّامساس، تواضعت عليه الجماعات اللّغويّة لأسباب اجتماعية ونفسية محافَظَة على القيّم الإنسانية بين الأفراد وعلاقاتهم فيما بينهم، ويتفاوت مدى التفاؤل وموضوعه بين اللّغات تبعًا للعادات والتقاليد والعقائد، وله في تاريخ العربيّة شأنٌ مهمّ تمثل في بعض ظواهرها، ومن أهمّها ظاهرة (الأضداد)"[4]، ويكون ذلك عندما يبتعد المرء عن لفظ يتشاءم من ذكره إلى غيره،

[1]-تمّام حسّان، الأصول دراسة ابستيمولوجية للفكر اللّغويّ عند العرب، ص300.

[2]-السيوطي، المزهر في علوم اللّغة، 401/1.

[3]-علي عبد الواحد وافي، فقه اللّغة، ص188.

[4]-علي زوين، (اللّامساس في العربية)، مجلة الترجمة واللسانيات، س:1، ع:1، 1421هـ/2000م، ص21.

"فجميع الكلمات التي تعبّر عن الموت والأمراض والمصائب والكوارث يفرّ منها الإنسان ويُكنيّ عنها بكلمات حسنة المعنى قريبة إلى الخير وأوضح ما تكون هذه الغريزة من النِّساء وفي الأوساط التي نالت حظًا ضئيلاً من الثقافة"[1]، وأمثلة هذا كثيرة في عربيّتنا، نحو كلمة (المفازة) التي تعني المنجاة والمهلكة، وكلمة (النَّاهل) التي تُطلق على الضِدّين: العطشان والريّان، و(السليم) على الصحيح واللَّديغ، واشتقاقه من السَّلامة يؤكّد أصالة المعنى الأوَّل وأمَّا إطلاقه على اللَّديغ فهو على سبيل التَّفاؤل بسلامته[2].

أمّا (التهكُّم) أو (الاستهزاء)، فهو من العوامل التي تنحو بالدّلالة إلى ضدّها، ويُلحَظ خاصةً عند الشَّباب، خروجًا منهم عن التعابير الاعتيادية، ورغبةً في إبراز القدرة على انتقاء المفردات، فتجدهم يعبّرون عن الشيء بكلمة مضادّة سخرية وهزءًا نحو قولك: يا عاقل للمجنون، والأبيض على الأسود من الأشخاص[3].

والخوف من الحسد عامل اجتماعي نفسي، يدخل ضمن (اللَّامساس) أيضًا، ويبرز أكثر في القبائل البدائية التي تقول بالسِّحر وتؤمن بالإصابة بالعين " وتلعب الكلمة دورًا مُهِمًّا في هذا الاعتقاد، فيفرُّ المرءُ في مثل هذه البِّيئة من وصف الأشياء بالحسن والجمال حتّى لا تصيبها عين الحسود ... ويمكن عن هذا الطريق تفسير بعض كلمات الأضداد في العربيّة، فمثلاً كلمة: (شوهاء) يوصف بها الفرس القبيح والجميل، فيقال: (مهرة شوهاء) إذا كانت قبيحة، و(مهرة شوهاء) إذا كانت جميلة"[4].

– **التَّغيُّر الصّوتي:** يحدث أَنْ يَعْتَورَ أصوات لفظة ما تغييرٌ بالزيادة أو النقصان وفق نظام التغيُّر الصوتي، فتتطابق في أصواتها مع لفظة أخرى مضادة لها دلالة وتبدوان

[1]-إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، ص208 – 209.

[2]-ينظر: رمضان عبد التّوّاب، فصول في فقه العربيّة، ص302 – 304.

[3]-ينظر: إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، ص210.

[4]-رمضان عبد التّوّاب، فصول في فقه العربيّة، ص305 – 306.

لنا كما لو كانتا كلمةً واحدةً لهما معنيان متضادّان، ويجعل إبراهيم أنيس هذا العنصر ضمن المصادفات اللّغويّة بقوله:" هذا ولا ننسى أنّ للمصادفات دخلاً في بعض هذه الأضداد فقد يترّتب على التطوّر الصوتي في كلمةٍ ما أنْ تصبح مماثلة في لفظتها لكلمة أخرى مضادَّة في المعنى"[1]، ومن أمثلة ذلك قول بني عقيل: (لمقتُ الكتابَ) بمعنى كتبته، وقول قيس: (لمقتُ الكتابَ) بمعنى مَحَوْتُهُ، فيظهر لنا أنَّ لفظةَ (لمق) من الأضداد، لكن ينبغي أنْ ندرك أنَّ هناك الفعل (نمق) الذي يعني (كتب)، يكون قد تغيّر نطقًا من (نمق) إلى (لمق) عند بني عقيل، وعلى هذا النحو يمكن أن نفسّر تضادَّ كثير من الألفاظ (نحو: التغير الصوتي الذي طرأ على لفظة (جَنَّ) بمعنى سَتَرَ وصارت (جون) بمعنى النور) وغيرها من الأمثلة كثير[2].

وقد أشار محمد حسين آل ياسين إلى نقطة هامّة تنضوي تحت هذا العامل بقوله: " والخلاصة أنَّ نظامَ التطور الصوتي هيّأ ظرفًا خاصًا نشأت فيه طائفةٌ من الأضداد يرفدها التَّصحيف الذي وقعت فيه مدّونات الأوائل، والخطأ الذي سارت عليه استعمالات المتكلّمين، وما رافق ذلك من رغبة في الجمع والاستزادة التي تشجّع المعنيين على الإعراض عن تصحيح الأخطاء والتنبيه على التَّصحيف إلَّا في القليل النَّادر بحيث تجمَّعت من كلّ هذا مادة ليست بالقليلة من مواد الأضداد"[3].

– **احتمال الصِّيغة الصَّرفية للمعنيْن:** توجد في العربيّة بعض الصّيغ الصّرفية التي تحتمل الواحدة منها معنيين متضادّين، نحو: صيغة (فَعُول) التي تستعمل بمعنى (فاعِل) مثل:(شكور) و(غفور) وتستعمل أحيانًا بمعنى(مفعول) مثل: رسول أيْ (مُرْسَل) وناقة (سلوب) بمعنى مسلوبة الولد، ومن هنا وصلتنا بعض أمثلة هذه الصيغة بالمعنيْن

[1]-إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، ص213.

[2]-ينظر: رمضان عبد التّواب، فصول في فقه العربيّة، ص306 – 307.

[3]-آل ياسين، الأضداد في اللّغة، ص165،

كما في مثل: (ركوب) بمعنى: راكب ومركوب، و(زجور) بمعنى: زاجر ومزجور وصيغة (فَعِيل) التي تستعمل بمعنى(فاعِل) و(مفعول)، كما في مثل (قنيص) بمعنى قانص ومقنوص، و(تبيع) بمعنى: تابع ومتبوع.

وصيغة (فاعِل) التي تستعمل أحيانًا بمعنى (فاعِل) و(مفعول)، كما في قوله تعالى: ﴿ **فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ** ﴾ [القارعة:7] أي مرضية. وصيغة (تَفَعَّلَ) التي للمطاوعة غالبًا، وللسَّلب والإزالة أحيانًا، نحو: (تأثّم فلان) إذا أتى المأثم، وتأثّم إذا تجنَّب المأثم، وغيرها من الصِّيغ الصرفية التي تحتمل الواحدة منها دلالتين متضادتين[1].

– **المجاز**: يُعَدُّ المجاز من وسائل نشأة الأضداد، لِما كان له من كبير دورٍ في وجود بعض أمثلته، وهذا مذهبُ كثير من المحدَثين الذين يرون أنَّ المتتبع لأضداد العربيّة لا محالة سيجد فيها طائفة غير هيّنة من الألفاظ التي يكون أحد معنييها حقيقي والآخر مجازي انتقل من الحقيقة بوساطة الاستعمال ولحاجة في نفس المتكلم عمدًا أو بغير عَمْد " حتى إذا شاع إطلاق اللّفظة مجازًا على معنى معيّن وكثر استعمالها فيه تقترب شيئًا فشيئًا إلى أن تكون حقيقية في دلالتها على ذلك المعنى، ونكون بعد ذلك إزاء لفظة تنصرف انصرافين حقيقين، فإذا كان المعنيان متضادَّين أو ما يشبه المتضادَّين عُدّت هذه اللّفظة من الأضداد"[2]، ومن أمثلة ذلك لفظة (الأُمَّة) التي تُطلَق على الجماعة والفرد، قال تعالى: ﴿ **إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا**﴾[النحل:120]، والمعنى أنَّ سيِّدَنا إبراهيم عليه السلام جامعٌ لخصال لا تجتمع إلاّ في أمَّة بكاملها مبالغةً في المعنى على سبيل الاستعارة[3]، ويرى تمّام حسان أن علاقة الضّدية في العديد من ألفاظ

---

[1]-ينظر: رمضان عبد التّوّاب، فصول في فقه العربيّة، ص308 – 309، وينكر آل ياسين هذا العامل ويعزوه إلى توّهم الضدية في صيغ ومشتقات صرفية هي في الحقيقة بعيدة عن مسلك التضاد، ينظر: آل ياسين، الأضداد في اللّغة، ص175 – 176.

[2]-آل ياسين، الأضداد في اللّغة، ص207.

[3]-ينظر: ابن الأنباري، الأضداد، ص269 – 270.

الأضداد قد جاءت عن طريق المجاز المرسل، يقول:" وكذلك ما يعود إلى التحرّز والتوقير نحو: البصير للأعمى والمبصر، والأبيض للأسود وضده، فذلك لا يعود إلى أصل الوضع، وإنّما يعود إلى ظروف الاستعمال، فشأنه إذًا شأن المجاز المرسل الذي يقوم على علاقة (غير المشابهة) وهي هنا علاقة بالتَّضاد"[1]، ومن المحدَثين من يُصَغِّرُ دور المجاز في نشأة الأضداد " أمّا المجاز فليس من ريب في أنّه باب من الأبواب التي يدخلها الأضداد وإنْ كان ضيّقًا"[2]، بل ومنهم منْ يرى أنّ " الوهمَ في عدِّ هذه الألفاظ من الأضداد واضح " [3].

ويمكن أن نضيف عاملاً آخر مع المجاز هو: **"المقلوب من التراكيب"**، أو ما يسمّى بـ **" المزال عن جهته"** والذي ورد في مؤلفات الأضداد على أنّه منها، ونعني به " تغيُّر تركيب العبارة عن ترتيبها المتعارَف عليه، وذلك بقلب الفاعل مفعولاً، أو المفعول فاعلاً أو ما يشبه ذلك ممّا لا يلتبس معناه لدى السّامع لأنّ القصد فيه واضح، مثل:

1- ناء بي الحِمل: والأصل نُؤْتُ بالحِمل.

2- تَهَيَّبُنِي البلاد: والأصل تَهَيَّبْتُهَا ..."[4].

5-أهميَّة السّياق: إنَّ ظاهرةَ الأضدادِ حقيقةٌ لغويةٌ وظاهرةٌ أسلوبيةٌ بارزةٌ في اللّغة العربيّة، ولا يمكن إنكارها بحجَّة مخالفتها لمنطق العقل، أو بما فيها من تعميةٍ ولبس دلالي، ذلك أنَّ للُّغة منطقًا خاصًا لا يتواءمُ دائمًا ومنطق العقل، هذا من جهة، ومن جهة أخرى نرى أنّ إدّعاء اللُّبس والتَّغطية والغموض الذي قد يكتنف اللّفظة إنْ هي

[1]-تمّام حسّان، الأصول -دراسة ابستيمولوجية للفكر اللّغويّ عند العرب، ص300.

[2]-رشيد العبيدي، أبحاث ونصوص في فقه اللّغة، ص257.

[3]-آل ياسين، الأضداد في اللّغة، ص 207.

[4]-نفسه، ص212، وينظر: أبو الطيب اللّغوي، الأضداد، 720/2.

حملت المعنى وضده في الآن نفسه، يمكن أن يُرّد عليه بأنَّ "الاعتماد على القرائن وتحسّس السّياق له القدح المُعلى في تحديد معنى اللّفظة"[1]

يقول السُّيوطي:" ومجرى حروف الأضداد مجرى الحروف التي تقع على المعاني المختلفة وإنْ لمْ تكن متضادة، فلا يُعرف المعنى المقصود منها إلاّ بما يتقدم الحروف ويتأخر بعده ممّا يوّضح تأويله؛ كقولك: حَمل للواحد من الظأن، وحمل اسم رجل لا يُعرف أحد المعنيين إلَّا بما وصفنا "[2]، قاصدًا من كلامه: (السّياق) الذي يبقى دائمًا الحصنَ الذي يحمي الكلمة من الغموض ويزيل التَّعمية والتَّغطية.

وعمومًا، يمكننا التأكيد على أنَّ وجود الأضداد لا يُدخل لبسًا في المعنى ما دامت اللّفظة واردة في سياقٍ لغويٍّ وحاليٍّ مدّعمة بقرائن ومحدّدات دلالية تُجلي ما قد يكتنفها من تعمية، أي تكتنفُها خصوصيات وقرائن تتقدَّمها أو تليها، أو تتقدَّمها وتليها معًا، فضلاً عن ملابسات الجملة الواردة فيها وظروف المقام إنْ توفرت، كلُّها أمور تتضافر لتمدَّ يد العون للمتلقِّي حتى يبلُغ مرمى المتكلِّم، ويحدِّد الدّلالة المرجوّة من الملفوظ اللّساني.

[1]-توفيق محمد شاهين، المشترك اللّغويّ، ص186.

[2]-السّيوطي، المزهر في علوم اللّغة، 399/1.

المحاضرة التاسعة:

النّظريات الدّلاليّة: النّظريّة الإشاريّة

مهاد:

ظهرت نظريات دلاليّة عديدة ومتنوّعة في العصر الحديث، رامت البحث في المعنى، وحاولت تفسيره، وخطّ حدود حدوثه، فكانت لها تصوّرات وطرائق معالجة مختلفة، وتوصّلت إلى نتائج متباينة، وإنْ توخّت الموضوعيّة والمنهج العلمي في تصوّرها، ومن هنا سأعرض لأهمّ تلك النّظريّات، وأشهر مناهجها، وأعلامها ومبادئها، مع أبرز إيجابياتها وسلبياتها ممّا أورده الدّارسون والمتخصّصون في الدّلالة.

1- النظريّة الإشاريّة: مفهومها و نشأتها

النّظريّة الإشاريّة **Denotational or Referential Theory** وتسمّى أيضا بـ: **النّظريّة المرجعيّة** هي من أُوْلَى النّظريات التي اهتمّت بالمعنى، وتعود أصولها إلى جذور فلسفيّة ومنطقيّة، ويرجع الفضل في منحها الصّبغة العلمية للعالمَيْن الإنجليزيَيْن **أوجدنOgden وريتشاردزRichards** وذلك في كتابهما ذائع الصّيت(معنى المعنى)(The Meaning of Meaning) من خلال مثلّثهما "المثلّث الدّلالي" الذي يفرّق بين ثلاثة عناصر مختلفة للمعنى؛ هي الفكرة (المحتوى الذّهني)، والرمز(الكلمة)، والمشار إليه (الشّيء الخارجي)[1]:

[1]-ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص54.

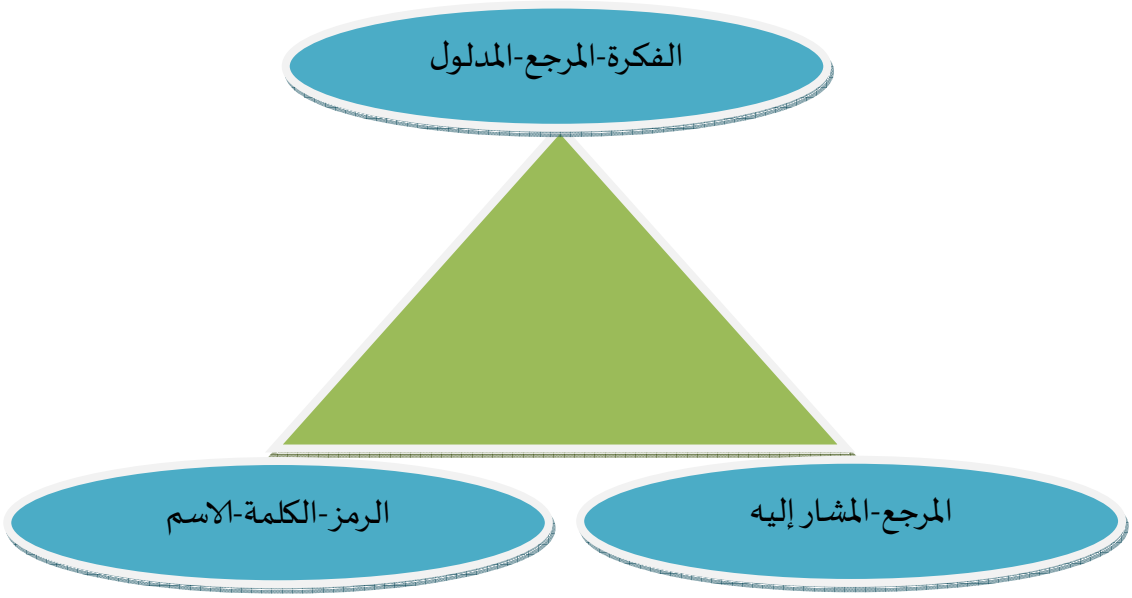

الدّال: وهو ما أسماه العالمان بالرّمز.

المفهوم: وهو ما أسمياه بالفكرة أو الإشارة.

المرجع: وهو نفس الاسم الذي استعملاه.

والكلمة في تصوّرهما تتكوّن من جزأيْن هما: الصيغة مرتبطة بوظيفتها الرّمزيّة، ومحتوًى مرتبط بالفكرة أو المرجع، و لا صلة مباشرة بين الكلمة كرمز والشيء الخارجي الذي تعبّر عنه.

إنّ العلاقة بين الكلمات والأشياء ليست علاقة مباشرة، وإنّما هي علاقة افتراضيّة كما يشير إلى ذلك في الرّسم السّابق الخطّ المتقطّع في قاعدة المثلّث الرّابط بين الرّمز والمدلول عليه.

وممّا تجب الإشارة إليه أنّ دراسة أوجدن و ريتشاردز تندرج ضمن التّجاذب الفكريّ بين نظريتيْن في إدراك المعنى هما: النّظريّة التّصوّريّة التي سندرسها تباعا، والنّظريّة الإشاريّة التي تقوم على ربط المعنى بالموجودات الخارجيّة ربطا مباشرا، فحتّى أعطي تعريفا دقيقا للمعنى أحتاج إلى معرفة موضوعيّة لعالَم المتكلّم.

وبالنّسبة لهما فإنّه يجب أن تسير دراسة المعنى في اتّجاهيْن متكامليْن وإن كانا مختلفيْن من حيث الأصول والأهداف، فتهتمّ بجانبيْن هما:

-جانب العلاقة بين الكلمات والأفكار(الموقف التّصوّريّ).

-جانب يبحث العلاقة بين الأفكار والأشياء؛ أي الرّبط بين الكلمات والأشياء التي ترمز إليها الكلمات بوساطة الأفكار (الموقف الإشاريّ)[1]

لقد استفادا من فكرة الطبيعة المزدوجة للكلمة: صيغة/ محتوى التي تعود لِدِي سوسير الذي يقول بالطبيعة المزدوجة للرمز الذي شبّهه بالورقة ذات الوجهيْن التي لا نستطيع تقطيع أحد الوجهيْن دون الوجه الآخر، كذلك لا يمكن فصل جانبيْ الرّمز الواحد عن الآخر؛ لأنهما متّصلان اتّصال جانبيْ الورقة[2].

إنّ معنى الكلمة في هذه النّظريّة هو إشارتها إلى شيء غير نفسها، وفي هذا توجّهان[3]:

-توجّه يذهب إلى أنّ معنى الكلمة هو ما تشير إليه، ومنه يكتفى بدراسة جانبين من المثلث: الرمز والمشار إليه.

-توجّه يرى أنّ معنى الكلمة هو العلاقة بين التعبير وما يشير إليه، وعليه يجب دراسة الجوانب الثلاثة؛ حيث إنّ الوصول إلى المشار إليه يكون بوساطة الفكرة، أو الصّورة الذّهنيّة.

---

[1]-ينظر: مصطفى غلفان، في اللّسانيات العامّة-تاريخها، طبيعتها، موضوعها، مفاهيمها، دار الكتاب الجديد المتّحدة، بيروت-لبنان، ط1، 2010م، ص241-242.

[2]-ينظر: محمد محمد يونس علي، المعن وظلال المعنى-أنظمة الدلالة في العربيّة، دار المدار الإسلامي، بيروت-لبنان، ط2 مزيدة ومنقّحة، 2007م، ص36.

[3]-أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص55.

2-نقد النّظريّة[1]:

ترى النّظريّة أنّ معنى لفظة ما هو مجرّد وغامض، وأنّ ما يزيح غموضها هو مرجعها(ما تشير إليه)، مثلا: لفظة "تفاحة" مرجعها هو التفاحة التي تؤكل، لكن إذا كان معنى اللّفظة هو نفس ما يحيل أو يشير إليه فإنّ معنى "تفاحة" لن يكون أغمض من التفاح نفسه. ومن أجل تفادي الغموض الواقع جُعِلَ الشيء الغامض الذي هو معنى لفظة "تفاحة" مماثلا لشيء ملاحَظ ندركه بحواسنا، وهو المرجع في العالَم الخارجي. إنّ المعنى ليس هو التفاح؛ فالتفاح يؤكَل والمعنى لا يؤكَل، والمعنى نتعلّمه والتفاح لا نتعلّمه، مثال آخر يبيّن عدم صلاحية رؤية النّظريّة الإشاريّة للمعنى في مجال (التّرادف)؛ فعبارتا " نجم الصباح" و"نجم المساء" تحيلان أو تشيران إلى شيء واحد هو: "كوكب الجوزاء"، لكنّهما لا تفيدان الشيء نفسه، وإن وجدت عبارتان لهما نفس المرجع فليس بالضرورة أن يكون لهما نفس المعنى؛ لأنّ تماثل المرجع ليس شرطا كافيا لتماثل المعنى.

ونضيف اعتراضات أخرى[2]:

-أنّها تدرس الظاهرة اللّغويّة خارج إطار اللّغة.

-أنّها تقوم على أساس الموجودات الخارجيّة (المشار إليه)، ومنه ووفق تصوّرها هذا، يجب معرفة بدقة كل شيء في عالَم المتكلّم، وهذا أمر مستحيل.

-أنّ هناك أشياء ليس لها وجود خارجي، ومع ذلك فإن لها ألفاظا تدلّ عليها.

-لا يمكن تطبيق النّظريّة على بعض المعاني الوظيفيّة، كالأدوات: لكن، ولا، وإن، .. فالكلمات التي لا تشير إلى شيء في موجود في العالَم المادي وإن كانت لها معانيها التي يفهمها المتكلّم والسامع.

---

[1]-ينظر: عبد المجيد جحفة، مدخل إلى الدلالة الحديثة، دار توبقال، الدار البيضاء-المغرب، ط1، 2000م، ص21-32.

[2]-ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص56، وأيضا: محمد محمد يونس علي، المعنى وظلال المعنى-أنظمة الدلالة في العربيّة، ص111-113.

المحاضرة العاشرة:

النّظريات الدّلاليّة/ النّظريّة التّصوريّة Ideational Theory

1-التّعريف بالنّظريّة: تعود النّظريّة التّصوريّة، أو نظريّة الأفكار أو النّظريّة العقليّة Mentalistic Theory، في جذورها الأُوْلى إلى رأي **أرسطو** القائل بمطابقة المعنى للفكر أو العقل، وقد عمل الفيلسوفان الإنجليزيّان **دايفيد هيوم David Hume**(1711-1776م) و**جون لوكJohn Locke** (1632-1704م) على دعم هذا الموقف من خلال فلسفتهما التّجريبيّة؛ **فجون لوك** يرى أنّ " استعمال الكلمات يجب أنْ يكون الإشارة الحسّاسة إلى الأفكار، والأفكار التي تمثّلها تعدّ مغزاها المباشر الخاص"[1].

وهي من النّظريات الدّلاليّة التي اهتمّت بالمعنى بوصفه كيانا نفسيّا لا كيانا خارجيّا، وأنّ بناء معاني التّعابير اللّغويّة ليس سوى جزء من العمليات النفسيّة أو الذّهنيّة التي تنبني عليها القدرة اللّغويّة الداخلية للمتكلّم، في خطوة نحو الوقوف على القواعد المستنبطة في الذّهن، المنظّمة للمعارف[2].

إنّ من أسباب تسميتها بالنّظريّة العقلية هو تركيزها على الأفكار والتّصوّرات الداخليّة، وتنظر للغة بوصفها وسيلة أو أداة لإيصال الأفكار، وتمثيلا خارجيا ومعنويا لحالة داخلية، وترى أنّ ما يمنح تعبيرا لغويا معنًى معيّنا هو استعماله باطّراد في التّفاهم كعلامة على فكرة معيّنة، كما أنّ الأفكار الكامنة في الذّهن تملك وجودا مستقلا ووظيفة مستقلة عن اللّغة.

[1]-أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص57.

[2]-ينظر: محمد غاليم، المعنى والتوافق-مبادئ لتأصيل البحث الدلاليّ العربيّ، سلسلة أبحاث وأطروحات، منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتّعريب، المغرب، (د.ط)، 1999م، ص47.

2-شروط الفكرة[1]: تفرض النّظريّة أن يملك كلّ تعبير لغوي أو معنى متميّز فكرة يشترط فيها:

-أن تكون الفكرةُ حاضرة في ذهن المتكلّم.

-أن ينتج المتكلّمُ التعبيرَ الذي يجعل المتلقي يدرك أن الفكرة المعيّنة كامنة بالفعل في عقله في تلك اللحظة.

-أن يستدعي التعبيرُ نفس الفكرة في عقل المتلقي؛ حيث إنّ هذه النّظريّة تهتمّ بالأفكار أو التّصوّرات الكامنة في عقول المتكلمين والمتلقين على حدّ سواء، بقصد تحديد معنى اللّفظة، أو رصد ما يعنيه المتكلّم بها في استعمال معيّن.

3-مبادئ النّظريّة:

بداية تجدر الإشارة إلى أنّ الدّراسات اللّسانيّة في مجال دراسة المعنى اللّغويّ تتبنى، كما يقول مصطفى غلفان، الموقف التّصوّريّ مبعدة بذلك الإشكالات الفلسفيّة التي تثيرها إشكاليّة الإحالة[2]. وتفترض النّظريّة عملية كهذه: لديّ فكرة، أصوغ جملة، أتلفّظ بها أمامك، وحين تسمعها تنتقل إليك نفس الفكرة التي لديّ، وعليه فأهمّ مبدأ تقوم عليه هذه النّظريّة: "يكون للعبارة معنًى إذا، وفقط إذا، ارتبطت بفكرة ما، ويكون لعبارتيْن نفس المعنى إذا، وفقط إذا، ارتبطتا بنفس الفكرة"[3]، ومعناه أنّ المعنى الموجود هو معلومات مرمّزة وممثّلة في الذهن البشري، أي ترميز للمعلومات في الدماغ، ليحصل التّمثّل إثرها، ومنه فالتّرميز آلية من آليات التّمثّل.

تخضع النّظريّة إلى قيديْن رئيسيْن هما: القيد **النحوي** والقيد **المعرفي**؛ أمّا الأوّل فمفاده أنّه يجب تفضيل نظرية دلاليّة تفسّر التّعميمات الموجودة في كلّ من المعجم الذي يقدّم المحتوى، والتركيب الذي يزوّد بالشكل الصوري المناسب لذلك المحتوى،

[1] -ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص57.

[2] -ينظر: مصطفى غلفان، في اللّسانيات العامّة-تاريخها، طبيعتها، موضوعها، مفاهيمها، ص242.

[3] -عبد المجيد جحفة، مدخل إلى الدلالة الحديثة، ص24.

وأمّا القيْد الآخر فحاصله أنّ نظرية البنية الدّلاليّة في اللّغة الطبيعية هي نظرية لبنية الفكر؛ حيث إنّ اللّغة تعكس الفكر، وبذلك يستوجب تلاؤم المعلومات التي تحملها اللّغة مع المعلومات الصادرة من محيطها[1].

4-نقد النّظريّة: تعرّضت هذه النّظريّة إلى انتقادات من اللّغويّين أهمّها[2]:

-تركيزها على التّصوّرات أو الأفكار التي تعتبرها ملكا خاصّا بالمتكلّم الذي لا يمكنه نقلها بكافّة تفاصيلها للمتلقي، وهذا نقد موجّه إليها من النّظريّة السلوكيّة، فكان ردّ روادها هو تأكيدهم على فكرة ارتباط الأفكار بالتّصوّرات، فإذا قلنا: (طاولة) فكلّ من طرفيْ الحدث الكلامي من باثّ ومتلق يملك التّصوّر للطاولة، وهذا التّصوّر هو الذي يجعل التّواصل ممكن بينهما.

-لا توجد صور ذهنيّة لكل الألفاظ، أي ليست كلّ الألفاظ قابلة للتّصوّر، مثل الأدوات والكلمات التّجريديّ فلا تملك تصوّرا ذهنيا لها سوى حروفها المكوّنة لها، ومثالها: كيف، رغم، كي...فلا توجد صورة ذهنية ترتبط بصورة معياريّة بلفظ كيف مثلا.

-قد نمتلك أكثر من صورة لعبارة واحدة، كما قد تتشارك عبارتان في الصورة نفسها.

[1]-ينظر: عبد المجيد جحفة، مدخل إلى الدلالة الحديثة، ص102-103.

[2]-ينظر: نفسه، ص24، وأحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص58.

المحاضرة الحادية عشرة:

النّظريات الدّلاليّة/ نظرية السّياق Contextual Theory

مهاد: إنّ النّفاذ إلى المعنى و بلوغ دلالة الخطاب لا تحكمه موجبات التّركيب الأفقي فحسب، بل ظروف وملابسات فعل التّلقي التي باختلاف حيثياتها تختلف، عادة، الدّلالة المتوصّل إليها، أو على الأقلّ تتفاوت درجة المعنى و قوة التأثير، وهذا ما تنبني عليه نظرية السّياق، إحدى أهمّ وأشهر النظريات الدّلاليّة الحديثة التي تعرّضت للمعنى ومشكلاته؛ فقد ذاع صيتها وملأت الأرجاء بما تضمّنته من أفكار لغويّة علمية مقنِعة إلى حدّ كبير، وفي إطار منهجيّ محدَّد المعالم، فللأهمّية القصوى التي اكتساها السّياق ودوره صار مع مرور الزّمن وكثرة الدّراسات فيه نظريةً لغويةً دلاليةً قائمةً بذاتها هي:**"النّظريّة السّياقيّة"**.

1-تعريف السّياق: السّياق **لغة** من الجذر[س و ق]، جاء في اللّسان: " سَاقَ الإبِلَ وغيرها، يَسُوقُهَا سَوْقًا وسِيَاقًا وهو سَائِقٌ وسَوَّاقٌ شُدِّدَ للمبالغة ... وقد انْسَاقَتْ وتَسَاوَقَتْ الإبِلُ تَسَاوُقًا إذا تَتَابَعَتْ ... والمُسَاوَقَةُ المُتَابَعَةُ..."[1]. أمّا **اصطلاحًا:** فهو " مجموع النّص الذي يحيط بالجملة التي يراد فهمها، وعليه يتوقف الفهم السليم لها، أو هو المحيط اللّساني الذي أنتجت فيه العبارة، ولا يشترط في تلك العناصر الحافة بالعبارة أن تكون قريبة، بل يمكنها أن تكون بعيدة في متن الخطاب"[2].

وهو أيضا كلّ معلومة ضرورية وكافية لتبليغ حالة المتكلّم إلى المتلقيّ باستخدام الخطاب(كلمات، جمل)، ومعناها هو المعنى الذي يتضمّنه هذا الخطاب،

---

[1]-ابن منظور، اللسان، مادة [س و ق].

[2]-محمد إقبال عروي، (الوظيفة الترجيحية للسياق عند المفسرين)، مجلة آفاق الثقافة والتراث، ع: 35، س:9، رجب 1422 هـ / أكتوبر (تشرين الأول) 2001 م.

ويُحدُّ كذلك بأنه " التركيب الحيّ الذي يعتبر المجال الفعليّ للتّعامل مع الألفاظ ومعانيها، ومن ثمَّ الحكم عليها"[1]، وهو "محيط وحدة معيّنة في سرد الكلام"[2]، ومن أشمل حدود السّياق أنّه " النّظم اللّفظي للكلمة وموقعها من ذلك النظم بأوسع معاني هذه العبارة. إنّ السّياق على هذا التفسير ينبغي أن يشمل لا الكلمات والجمل الحقيقية السابقة واللّاحقة فحسب، بل والقطعة كلّها والكتاب كلّه، كما ينبغي أن يشمل بوجه من الوجوه، كلّ ما يتّصل بالكلمة من ملابسات وظروف، والعناصر غير اللّغويّة المتعلّقة بالمقام الذي تنطق فيه الكلمة لها هي الأخرى أهميتها البالغة في هذا الشّأن"[3].

2-المعنى في النّظريّة: يرى أصحاب هذه النّظريّة أن معنى الكلمة هو استعمالها في اللّغة، أو الطريقة التي تستعمل بها، أو الدور الذي تؤدّيه[4]، وأنّ الوحدات الدّلاليّة تقع في مجاورة الوحدات الأخرى، وأنّ معاني هذه الوحدات لا يمكن وصفها أو تحديدها إلا بملاحظة الوحدات الأخرى التي تجاورها، وتزيد عنايتهم أكثر بالجانب **الاجتماعيّ** للغة، باعتبارها حقيقة اجتماعية. وقوام هذه الرّؤية أنّ الوحدات الدّلاليّة تقع في مجاورة الوحدات الأخرى، وأنّ معاني هذه الوحدات لا يمكن وصفها أو تحديدها إلَّا بملاحظة الوحدات الأخرى التي تجاورها، مع إدراج دور وسائط التّلفّظ المقامية ضمن العملية الإدراكية التأويلية. وهي أساسًا تنبني على أمرين اثنين[5]:

---

[3]-الصادق خليفة راشد، دور الحرف في أداء معنى الجملة، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، (د.ط)، 1996م، ص131.

[4]-خليل أحمد خليل، معجم المصطلحات اللّغويّة (عربي– فرنسي– إنجليزي)، ط1، دار الفكر اللبنانيّ، بيروت-لبنان، 1995م، ص81.

[1]-ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللّغة، ص68.

[4]-ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص 68.

[5]-للتوسّع أكثر في ماهية هذه المدرسة، ينظر: غنية تومي، **(السِّياق وأثره في توجيه المعنى– شعر أبي تمّام أنموذجا)**، رسالة ماجستير(مخطوط)، كليَّة الآداب، جامعة الإسكندريَّة، 2006م.

-السّياق اللّغويّ أو تحليل النّص وفق مستوياته اللّغويّة والإفادة من القرائن المقالية المتوفرة.

-السّياق الحاليّ أو المقاميّ أو سياق الموقف.

3-نشأة النّظريّة: وواضع النّظريّة هو رائد المدرسة الاجتماعية الإنجليزية **"جون فيرثJohn Firth"** (1890-1960) الذي وضع نظرية لغوية عامة جاءت محصلة للدراسات اللّغويّة التي ظهرت في بريطانيا أواخر القرن الثامن عشر، فقد كانت له اهتمامات خاصة باللّغات الشرقية لاسيما زمن تواجده بالهند، وتأثره بالأعمال اللّغويّة الهندية القديمة، وكانت البصمة الواضحة في تفكيره اللّغويّ تأثره بالدراسات اللّغويّة للعالم الأنثروبولوجي البولنديّ **برونسلاو مالينوفسكي Bronslow Malinowsky**"(1884-1943) الذي واجه صعوبة ترجمته لغة سكان جزر (تروبرياند) إلى اللّغة الإنجليزية وبخاصة العبارات ذات الإيحاء الديني والثقافي، وقد توجت أبحاثه بجملة نتائج، لعل أهمها توصّله إلى أن " الحقيقة اللّغويّة الواقعية في اللّغة هي المنطوق الكامل في إطار المقام، ولهذا كانت الجملة عنده أكثر أهمية، باعتبارها أداة اجتماعية(...) ولهذا قرر غير مرّة أنّ **المعنى هو الاستعمال"**[1]، وانتهى كذلك إلى " أنّ اللّغة ليست كما يرى التعريف التقليدي وسيلة من وسائل توصيل الأفكار والانفعالات أو التعبير عنها، أو نقلها (...) فمثل هذا لا يعدو أن يكون وظيفة واحدة من وظائف اللّغة، و رأى أنّ اللّغة كما يمارسها المتكلّمون في أي جماعة من الجماعات إنّما هي نوع من السّلوك، ضرب من العمل، إنّها تؤدي وظائف كثيرة غير التوصيل"[2].

لقد اقتدى فيرث بمالينوفسكي في فكرة دراسة اللّغة في مواقفها الفعلية، غير أنه لم يقف عند حدود هذه الفكرة فحسب، بل صقلها وطورها لتستحيل على يديه نظرية

[1]-محمد حسن عبد العزيز، مدخل إلى علم اللّغة، دار النّمر للطّباعة، القاهرة-مصر، (د.ط)، 1983م، ص 321.

[2]-محمود السّعران، علم اللّغة، -مقدّمة للقارئ العربيّ، ص 310.

لغوية تامّة، تتناول العناصر اللّغويّة وفق مستوياتها المختلفة، يقول: " أقترح تقسيم المعنى إلى سلاسل من الوظائف الجزئية، وسوف تعرف كل وظيفة بحسب استعمالها شكلاً أو عنصرًا في لغة معينة من خلال علاقتها بنص ما، ويمكن القول بأن المعنى عبارة عن علاقات سياقية معقدة، وعلم الأصوات والقواعد والمعاجم والدّلالة، كلّ واحد من هذه الأقسام يأخذ أجزاءه في النّص المناسب المعقّد"[1].

ويستوجب الوصول إلى معنى نص لغويّ ما، حسب فيرث، اجتياز المراحل الآتية[2]:

- تحليل النّص قيد الدراسة إلى مستوياته اللّغويّة المختلفة وعلى الترتيب: المستوى الصوتيّ، فالصرفيّ، فالنحويّ، فالمعجميّ ثمّ الدّلاليّ.
- تحديد سياق الحال أو الماجريات أثناء الكلام الفعلي، أخذا بعين النّظر:

أ- شخصية كل من المتكلم والسّامع أو الحضور، وتكوينهم الثقافي والاجتماعيّ، ودورهم في الفعل الكلاميّ.

ب- كلّ ماله صلة بالموقف من عوامل وظواهر اجتماعية ومناخية يمكن أن تؤثر من قريب أو من بعيد في السلوك اللّغويّ أثناء الكلام[3].

ج- أثر الحدث الكلامي في المشاركين من اقتناع أو اعتراض أو سخرية أو ألم أو سرور...، وهذا يؤكد أهمية الدور الاجتماعي لعناصر الواقعة اللّغويّة[4].

---

[1]-علي زوين، منهج البحث اللّغويّ بين التراث وعلم اللّغة الحديث، ص174. وينظر: جون لايتز، (ما معنى نظرية المعنى عند فيرث؟)، تر. عبد الكريم مجاهد، آفاق عربية، كانون الأول، 1990، ع:12، ص60-63.

[2]-ينظر: محمود السّعران، علم اللّغة مقدّمة للقارئ العربيّ، ص 312 وما بعدها.

[3]-ينظر: نايف خرما، أضواء على الدراسات اللّغوية المعاصرة، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ط2، 1979م، ص 123.

[4]-ينظر: عبد القادر أبو شريفة وحسين لافي وداود غطاشة، علم الدلالة والمعجم العربيّ، دار الفكر للنّشر والتّوزيع، عمّان-الأردن، ط1، 1989م، ص 53.

•تحديد بيئة الكلام الاجتماعية والثقافية، والاقتصار على مستوى لغوي واحد كأن تكون لغة المثقفين أو لغة العامّة.

وكمثال توضيحي، نأخذ كلمة (ولد) في تركيب ما، سنجد أن معناها هو مجموع عدد من العلاقات والوظائف اللّغويّة وغير اللّغويّة والتي نحللها على النحو الآتي[1]:

1- كلمة "ولد" مورفيم[2] حرّ يتكون من فونيمات صامتة وصائتة، مرتّبة بشكل مخصوص يحدد معناها ويعينه، وكل تغيير في ترتيب فونيمات الكلمة أو تبديل أحدها، سيحدث غالباً معنى مختلفا كأن تقول: (دلو) أو (وجد) بدل (ولد).

2- كلمة "ولد" لها معنى صرفيّ (مورفولوجيّ) يعيّن بتعدّد سياقاته الصرفية المستعملة، فقد ترد هذه الكلمة اسماً مفرداً أو مثنى أو جمع تكسير، وقد ترد فعلاً وهكذا ... ويعد المعنى الصرفيّ جزءا من معنى الكلمة الكلّي.

3- أما المعنى النحويّ، فيتعدد كذلك بتعدد موقع الكلمة في التركيب، فقد تأتي فاعلا أو مفعولا أو مبتدأ أو خبرا... ويعتبر معناها النحوي جزءا من معناها الكلي.

4- المعنى المعجمي لذات الكلمة يختلف بطبيعة الحال عن المعنى المعجمي لغيرها من الكلمات نحو:" بلد" فإذا استبدلنا كلمة (ولد) بكلمة (بلد) في الجملة " ولد نحيل"، تتكوّن لدينا جملة غير مستقيمة هي " بلد نحيل"، وهذا الإجراء سماه فيرث: "احتمال الوقوع Co-occurence"، ويقابله مصطلح "التلازم Collocation" الذي يقصد به تلازم وقوع كلام مع آخر دون غيره نحو: الشمس والنور، الليل والظلام، الحر والصيف.

[1]-ينظر: حلمي خليل، العربيّة وعلم اللّغة البنيويّ، ص133-135.

[2]-" المورفيم: هو أصغر وحدة لغوية مجردة ذات معنى دلالي أو نحوي في الكلمة أو الجملة، نحو: "الطالبات يكتبن فروضهن" والتي تتألف من: (أل + طالب + ات + ي + كتب + ن + فرض + و + هن) وكل واحدة وحدة لغوية "، المعجم المفصل في علوم اللّغة (الألسنيات)، 635/2.

5- لكلمة "ولد" معنى اجتماعي يحدّده الاستعمال في بيئته الاجتماعية وظروفه المحيطة.

كان ذلك هو النمط التحليلي للحدث الكلامي بمختلف مستوياته ومراحله، والذي يرسم لنا الأطر العامة لنظرية فيرث السّياقية التي تبناها اللّغويّ الفرنسي "**فندريس Vendryes**"معطيا كلّ الأهمية للسّياق، فكما يقول:" إنّ الكلمة توجد في كلّ مرة تستعمل فيها في جو يحدد معناها تحديداً مؤقتا، والسّياق هو الذي يفرض قيمة واحدة يعينها على الكلمة بالرغم من المعاني المتنوعة التي في وسعها أن تدل عليها؛ والسّياق أيضا هو الذي يخلص الكلمة من الدّلالات الماضية التي تدعها الذاكرة تتراكم عليها، وهو الذي يخلق لها قيمة حضورية..." [1]، ويمثل لذلك بالفعل (قصّ) في التراكيب الثلاثة الآتية: الخياط يقص الثوب"، و "الخبر الذي يقصه الغلام صحيح"، و " البدوي خير من يقصّ الأثر"؛ فالفعل في التركيب الأوّل يعني: يقطع أو يشق، وفي التركيب الثاني: يروي أو يحكي، وفي الثالث: يتتبّع، ونكون حينئذ إزاء كلمات ثلاث لا رابط بينها في ذهن المتكلم والسامع معا [2]، ورغم أنّ الملفوظ واحد (يقص) إلّا أنّ المعنى تغيّر بتغيّر السّياق الوارد فيه، ويوزع ذلك إلى تفسير الكلمات المكوّنة للجملة بعضها لبعض، فمعنى الكلمة يتأتى ممّا يصاحبها من كلمات، سواء تقدّمت عنها موقعا أم تأخرت أم اكتنفتها من جانبيْها، فتتأثر بها وتؤثر هي بدورها فيها دلاليا، وتنحو بها صوب معنى بعينه دون غيره.

ومن أعلام هذا الاتّجاه أيضا، يطالعنا اللّغويّ "**جون لاينزJohn Lyons**" صاحب شعار(أعطني النّص الذي وجدت فيه الكلمة وأعطيك معناها)[3]؛ إذ جعل السّياق

[1]-فندريس، اللّغة، ص 231.

[2]-ينظر: نفسه، ص 228.

[3]-جون لاينز، علم الدّلالة، ص 23.

الأساس المعول عليه في اقتناص معنى الوحدة الكلامية وفق مستويات ثلاثة في تحليل النّص، فالسّياق في تصوّره:

أولا: يحدد الجملة المنطوقة إنْ تمّت فعلاً عملية النطق.

ثانيا: يخبرنا عن أية قضية عبّر عنها، إنْ تمّت عملية التعبير، وهذا غالبا.

ثالثا: يساعدنا على تأكيد أنّ القضية المدروسة قد تمّ التعبير عنها بفعل قوّة لا كلامية بعينها[1].

ومن أنصار هذا المنهج من اللّغويّين الغربيّين كذلك: **ميتشلMitchell وهاليداي Halliday وماكنتوشMcIntosh, وسانكلير Sinclair**، فمثلا **اللّغويّ "بيار غيرو Pierre Guiraud"** ينحو المنحى نفسه، بل ويبالغ في أحيان كثيرة، جاعلا للكلمات وظائف لا معاني، وينفي أيّ معنى ممكن للكلمات خارج السّياق " فليس للكلمات معنى إنما استعمالات شتّى(...) إن المعنى كما يصلنا في الخطاب، يخضع لعلاقات الكلمة مع غيرها من الكلمات المتواجدة ضمن السّياق ذاته وتحدد بنية النظام الألسني هذه العلاقات"[2]، هذا وقد اتّضح أنّ لمثل هذا المسار اللّساني تأييدا من بعض الفلاسفة، من مثل الفيلسوف "**فتجنشتن Wittgenstein**" الذي كثيرا ما كان يردّد في كتاباته مقولته المشهورة (لا تبحث عن معنى الكلمة بل ابحث عن استعمالها)[3] وبتعبير متطرّف يقول أيضا:" ليس للكلمة دلالة وإنّما لها استعمالات فحسب".

---

[1]-ينظر: جون لاينز، اللّغة والمعنى والسّياق، تر. عباس صادق الوهّاب، دار الشّؤون الثّقافيّة العامّة، بغداد-العراق، ط1، 1987م، ص 222.

[2]-بيار غيرو، علم الدلالة، تر. أنطوان أبو زيد، ص 29، ينظر: نفسه. تر. منذر العياشي، ص 157.

[3]-جون لاينز، علم الدّلالة، ص 23.

ويجاريه **"برتراند راسلBertrand Racel** "بعبارة دقيقة وتمثيل ذكي، في قوله: " الكلمة تحمل معنى غامضا لدرجة ما، ولكنّ المعنى يكتشف فقط عن طريق ملاحظة استعماله، الاستعمال يأتي أوّلا، وحينئذ يتقطّر المعنى منه"[1].

لقد أكّد اللّسانيّون لاسيما أصحاب المدرسة الاجتماعية اللندنية على فعاليّة السّياق، وتركزت جهودهم اللّسانية على الاستعمال الفعلي للحدث الكلاميّ، وقبل أن ينتهي البحث اللّغويّ الحديث إلى هذه الحقائق اللّسانية، وقبل أن تتبلور فكرة السّياق بشكل نظرية قائمة بذاتها، كانت حدود الفكرة بل وبذور النّظريّة قد شغلت، منذ وقت مبكر، حيزا هامّا من جهود اللّغويّين والبلاغيّين والمفسّرين العرب الذين سنأتي على ذكر نماذج منهم أثناء حديثنا عن أنواع السّياق.

4-أنواع السّياق: من أشهر من حدّد للسياق أنواعا اللّغويّ **K.AMMER** فجعله أربعة أنواع هي: السّياق اللّغويّ، و العاطفيّ، والحاليّ، والثقافيّ[2].

4-1-السّياق اللّغويّ "Linguistic Context": وهو ضرب من السّياق يعتمد على عناصر لغوية في النّص هي العلاقات اللّغويّة "Formal (Sense) Relations" والتي تتمثل بالعلاقات الأفقية أو التركيبيةٍ "Syntagmatic"/ "Syntactic" بين مكوّنات النّص اللّغويّ والعلاقات العمودية [3]، وفق مبدأ توزيعي، يقتضي اتحادا بين موقعية اللّفظة في المركب اللّساني ودورها الدّلالي في السّياق اللّغويّ[4]، ويتطلب كذلك "ذكر جملة سابقة

---

[1]-أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص 72.

[2]-ينظر: نفسه، ص 69.

[3]-ينظر: جاسم محمد حسن وعاصم علي إلياس، (المعنى والترجمة)، آداب الرافدين، ع:26، كانون الأوّل 1994م، ص 201.

[4]-ينظر: تحسين عبد الرضا كريم الوزان، (الصّوت والمعنى في الدرس اللّغويّ عند العرب في ضوء علم اللّغة الحديث)، أطروحة دكتوراه (مخطوط)، جامعة بغداد، 2001م، ص 256.

أو لاحقة، أو عنصر في جملة سابقة أو لاحقة أو في الجملة نفسها يحول مدلول عنصر آخر إلى دلالة غير المعروفة له"[1].

لقد ركّز أصحاب هذه النّظريّة على دور السّياق في العملية الإدراكية الإفهامية للغة، ممّا جعلهم يقصون أن يكون السبيل إلى معنى الكلمة هو رؤية المشار إليه أو وصفه أو تعريفه، فدرسوا معنى الكلمة متجاوزين أصل الدّلالة وطبيعة العلاقة بين الدال والمدلول.

ميّز رائد المدرسة اللندنية (فيرث) بين البنية أو (علاقات المحور الركني التركيبي) من ناحية، وبين " التنظيم" أو (علاقات المحور الاستبدالي) من ناحية أخرى، و رأى أنّ البنية تنحصر بأشكال الكلمات في السّياق، في حين ينحصر التنظيم بالعلاقات الاستبدالية القائمة بين العناصر والتي تكون قيمتها اللّغويّة.

ودائما في إطار السّياق اللّغويّ، برز اتّجاه لغويّ دلاليّ سمّي **بالرّصف** أو **التّساوق** Collocation [*] الذي طرحه اللّغويّ **هاليداي Halliday** "منتصف الستينيّات، عنى به مراعاة وقوع الكلمات مجاورة لبعضها حيث يُعدّ هذا الوقوع أحد معايير تحديد دلالة الكلمة، وتكون قائمة الكلمات المتراصفة مع كل كلمة جزءا من معناها، بحيث يتطلب حضور كلمة ما حضور سلسلة من الكلمات التي تتراصف معها سياقيا وتتوافق معها في الوقوع، ويمكننا أن نمثل للرصف في العربيّة بلفظة "أطلق: التي يمكن أن نوردها في سياقات لغوية هي:

[1]-محمد حماسة عبد اللّطيف، النّحو والدّلالة-مدخل لدراسة المعنى النّحويّ الدّلاليّ، دار الشروق، القاهرة-مصر، ط1، 2000م، ص 117.

[*]-الرّصف (التراصف أو المصاحبة) "Collocation": يعني الوقوع المشترك الاعتيادي لمفردات المعجم، اصطلح عليه بعض من أتباع فيرث.

* أطلق لحيته *أطلق يده في الأمر * أطلق عليه اسما * أطلق ساقيه للريح *أطلق عليه الرصاص * أطلق صاروخا * أطلق سراحه... وغيرها دون إمكانية إيرادها في بعض السّياقات، نحو: * أطلق الأستاذ محاضرة * أطلق الرجل الملح على الطعام * أطلق العالم على الناس علمه...فيتّضح لنا معنى أو معاني " أطلق" من خلال السّياقات اللّغويّة التي يمكن أن ترد فيها[1]، وهذا لأنّ الطبيعة الخطية للغة الإنسانية تقتضي تسييق العناصر اللّسانية الدّالة بتواترها، وتلاحقها ضمن متواليات لسانية غير متناهية.

إنّ للسّياق اللّغويّ مستويَيْن: مستوًى نحوي وآخر معجمي:

-السّياق النّحويّ: أو البنية النحوية التي ترد فيها الكلمة باعتبارها وحدة نحوية، يخضع ترتيبها لأنساق تركيبية مطردة وعلاقات داخلية معقدة، تؤلف فيما بينها آليات التركيب النحوي للغة، وينتج عن أي تغيير في البنية النحوية وعلاقات كلمات التركيب ووظائفها ومواقعها فيه تغير المعنى وتبدله. إنّ التغير الموقعي لملفوظات التركيب اللّسانية، إنْ بالتقديم أو بالتأخير، لا يحدث، دائما، تغيّرا في المعنى الأساسي للجملة، غير أنه يمسّ درجة المعنى وأثره في النفس، فيكون تأثيرا أسلوبيا ينقل مواقع التركيز المعنوي من كلمة إلى أخرى، وهذا ضمن إطار المباح من التقديم والتأخير في تركيب الجملة، نحو: " ضرب خالد زيدا"، " زيدا ضرب خالد"، أما غير المباح منه فيحدث عند تدمير العلاقات النّحوية الصحيحة بين الألفاظ في السلسلة الكلامية، الأمر الذي يشكّل متوالية من الملفوظات لا معنى لها نحو:" خرج عن جادة الصواب"، بتغيّر مواقع ألفاظ الجملة ينتج المركّب:" جادة خرج الصواب عن".

إنّ هذه الفكرة قد أمسك بزمامها وبكل اقتدار عبد القاهر في نظريته: (نظرية النظم) التي تهتم بالنّص الأدبي بوصفه كيانا له بنيانه داخل النظام اللّغويّ، المؤلّف من

[1]-ينظر: أحمد محمد قدور، مبادئ اللّسانيات، ص 300-301.

وحدات متضامّة بعضها إلى بعض في المواقع المناسبة لها في التّركيب لما يقتضيه السّياق بأبعاده النّحوية واللّغويّة، وهو بهذا يكون قد توصّل إلى منهج لغويّ دلاليّ يلتقي بالمنهج الغربي الحديث في كثير من أسسه؛ إذ في عبارة تنمّ عن تفكير حداثيّ متّقد يقول:" إنّ الألفاظ المفردة هي أوضاع اللّغة، لم توضع لتعرف معانيها في أنفسها، ولكن لأن يضم بعضها إلى بعض فيعرف فيما بينها فوائد"[1].

ونظن أنّ **فيرث** عندما قال:" إنّك ستعرف الكلمة عن طريق ما يصاحبها"[2]، و**جون لاينز** لمّا أكّد أنّه " لا يمكن فهم أيّة كلمة على نحوٍ تامٍّ بمعزل عن الكلمات الأخرى ذات الصّلة بها والتي تحدّد معناها"[3]، لم يكونا ليعنيا بمقولتيْهما سوى ما قصده الجرجاني قبلهما وقبل كثير من اللّغويّين، في عبارته آنفة الذكر.

-السّياق المعجمي: وهو أحد مستويات البنية اللّغويّة، يقصد به العلاقة البنيوية الأفقية بين المفردات المعجمية الدّلاليّة لا النحوية للعبارة، فصحّة العبارة نحويا لا تعني بالضرورة صحتها دلاليا، فقد تكون الجملة صحيحة نحويًّا شاذة دلاليًّا، نحو: "أسعف الطبيب الشجرة"، ويعود شذوذها إلى شذوذ العلاقة الدّلاليّة المعجمية بين كلمة " الشجرة" وما قبلها، ذلك أنّ الطبيعي أن يكون الإسعاف لكائن حي لا للجماد.

إنّ من ميزات السّياق تحديد زمن الفعل في التركيب، فصيغة الفعل لا تكفي وحدها للإفصاح عن الزمن الحقيقي له، بل " يتحصل الزمن من بناء الجملة وسياقها، فقد تشتمل الجملة على زيادات تعين الفعل على تقدير الزمن في حدود واضحة "[4]، ومثال ذلك الفعل (أتى) في قوله تعالى﴿ **أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ**﴾ [النحل:01]،

---

[1]-عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 345.

[2]-بالمر، علم الدلالة، ص 87.

[3]-جون لاينز، اللّغة والمعنى والسّياق، ص 83.

[4]-توّامة عبد الجبّار، زمن الفعل في اللّغة العربية، قرائنه وجهاته، ص 12.

فصيغته تدلّ على المُضِيّ، غير أنّ جملة " فلا تستعجلوه" التي هي قرينة لغوية سياقية تصرفه إلى الدّلالة على المستقبل، ونكون هنا إزاء ما يسمّى بالزمن السّياقي الذي يختلف باختلاف الحواليّة اللّسانيّة للفعل، والتي يوجبها السّياق إيجاباً، وما ذلك إلّا لأن ارتباط الفعل العربيّ بالزمن في السّياق الوارد فيه ارتباطاً عاماً ظاهرة مهمّة، تمنح الفعل مرونة الدّلالة على الزمن.

بعد أن أوجزت الحديث عن السّياق اللّغويّ عند المحدثين، لابدّ من إلقاء نظرة على مدونتنا التراثية، في محاولة، أراها لازمة، لتأصيل هذا المبحث اللّغويّ عند القدامى من اللّغويّين والمفسّرين والأصوليّين.

يبيّن **سيبويه**(ت180ه) أثر السّياق في توجيه المعنى بقوله:" يقول الرجل: أتاني رجل، يريد واحداً في العدد لا اثنين، فتقول: ما أتاك رجل، أي أتاك أكثر من ذلك، ثم يقول: أتاني رجل لا امرأة، فتقول: ما أتاك رجل، أي امرأة أتتك، ويقول: أتاني اليوم رجل، أي في قوته ونفاذه، فتقو: ما أتاك رجل، أي أتاك الضعفاء، فإذا قال: ما أتاك، صار نفياً عاماً لهذا كلّه، فإنما مجراه في الكلام هذا" [1]، فمن خلال تعدّد السّياقات تتعدد المعاني لأداة واحدة من أدوات النفي في العربيّة هي (ما)[2].

أمّا **المبّرد** (ت285ه) فيظهر توظيفه للسّياق وما يحويه من دلائل وقرائن تحدّد المعنى القصد من خلال كتاب (كتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد) لا سيما مقدمته القيّمة [3].

ونجد **عبد القاهر الجرجانيّ**(ت471ه) يعدم أيّ معنًى للكلمة مادامت منفردة إلّا إذا ضمت إلى مجموع الكلم مع تناسق دلالاتها مع بعضها البعض، ذلك أنّ الألفاظ " لا

[1]-سيبويه، الكتاب، 22/1.

[2]-ينظر: علي زوين، منهج البحث اللّغوي بين التراث وعلم اللّغة الحديث، ص96.

[3]-ينظر: المبرّد، ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد، المقدّمة.

تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردّة، و لا من حيث هي كلم مفردة، وأن الألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها في ملاءمة معنى اللّفظة لمعنى التي تليها، أو ما أشبه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللّفظ"[1]، ويقول كذلك:" ليس الغرض بنظم الكلم أن توالت ألفاظها في النطق، بل أن تناسقت دلالتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل"[2]. ومن خلال مقولتيْه يمكننا أن نتوضّح النقاط الآتية:

-لا مزية للمفردة خارج التركيب.

-ترتيب المعاني في النفس أولا ثم ترتيبها في النطق.

-تعليق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب من بعض، أو ما يسميه بالنظم، فلا يتحدّد معنى لفظة إلا بتأثير وتوجيه من محيطها اللّفظي (الألفاظ المجاورة).

-ارتباط فكرة النظم بالسّياق، انطلاقا من تأكيده على الدّلالة في التركيب وانعدامها خارجه، وهو منحى السّياقيين نفسه.

ومن اللّغويّين أيضا، **الراغب الأصفهانيّ**(ت503ه) الذي أجاد توظيف السّياق، متّخذا منه قيداً زائداً على أهل اللّغة في تفسير اللّفظ في النّص القرآني، فكان المعنى عنده يقتنص من السّياق اقتناصًا[3].

ومن الأصوليّين يطالعنا **ابن قيّم الجوزية**(ت751ه)، فبلفظ صريح للسّياق يُعدّد لنا جملة وظائفه؛ إذْ " السّياق يرشد إلى تبيين المجمل، وتعيين المحتمل، والقطع بعدم

[1]-عبد القاهر الجرجانيّ، دلائل الإعجاز، ص 54.

[2]-نفسه، ص 56.

[3]-ينظر: الزّركشيّ، البرهان في علوم القرآن، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة للطّباعة والنّشر، بيروت-لبنان، ط2، (د.ت)، 172/2.

احتمال غير المراد، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتنوّع الدّلالة، وهذا من أعظم القرائن الدالّة على مراد المتكلّم، فمَن أهمله غلط في نظره، وغالط في مناظرته"[1]، وضرب لذلك مثلاً قوله تعالى: ﴿ **ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ**﴾ [الدخان:49] وبيّن كيف دلّ السّياق على أنّ المخاطب هو الذليل الحقير عكس ما يوحي به ظاهر اللّفظ [2]. وهذا **الزركشي** (ت794ه) في معرض كلامه عن قسميْ تفسير القرآن الكريم[*]، جعل السّياق السّبيل إلى فهم القسم الذي لم يرد فيه نقل عن المفسرّين، يقول:"وطريق التوّصل إلى فهمه النظر إلى مفردات الألفاظ من لغة العرب ومدلولاتها واستعمالها بحسب السّياق"[3]، واتّخذ منه، أي السّياق، أحد الأمور الخمسة[*] المساعدة على التّمكّن من الدّلالة عند مصادفة إشكال أو صعوبة إزاء ذلك[4]. وبما أنّ السّياق اللّغويّ عند القدماء، لاسيما الأصوليّين منهم، يبدأ من اللّفظ في تركيب الجملة، والجملة في سياق النّص، والنّص يضمّ النّص القرآني بأكمله، نرى **الشاطبي**(ت790ه) في موافقاته يفسّر لفظة (الظلم) في قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمْ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ**﴾ [الأنعام:82]، بقوله: " إنّ سياق الكلام يدلّ على المراد بالظلم أنواع الشرك على الخصوص، فإن السورة من أولها إلى آخرها مقرّرة لقواعد التوحيد، وهادمة لقواعد الشّرك وما يليه، والذي تقدّم قبل الآية قصة إبراهيم عليه السّلام في محاجته لقومه بالأدلة التي أظهرها لهم في الكواكب والقمر والشمس، وكان قد تقدّم قبل ذلك قوله تعالى: ﴿ **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ**﴾

---

[1]-ابن قيّم الجوزيّة، بدائع الفوائد، 4/9-10.

[2]-ينظر: السابق، 4/9-10.

[*]-يرى الزركشي أنّ القرآن على قسميْن، أحدهما ورد تفسيره بالنقل عمّن يعتبر تفسيره، وقسم لم يردْ فيه نقل عن المفسرين، ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 2/172.

[3]-الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 2/172.

[*]-هذه الأمور هي: * رد الكلمة لضدها * ردها إلى نظيرها * ما يتصل بها من خبر أو شرط أو إيضاح في معنى آخر * دلالة السّياق * ملاحظة النقل عن المعنى الأصلي، ينظر: البرهان في علوم القرآن، 2/199-200.

[4]-ينظر: نفسه، 2/200-201.

[الأنعام:21]، فبيّن أنّه لا أحد أظلم ممّن ارتكب هاتين الخلّتين وظهر أنّهما المعنى بهما في سورة الأنعام"[1]، ليتبيّن لنا ذلك الاستغلال الموفّق للقرائن المصاحبة، ونعني بها الآية التي تقدّمت الآية محل الدراسة.

4-2/السّياق العاطفي الانفعالي"Emotional Context": هو ذلك النوع من السّياق المحدد لدلالة الصيغة أو التركيب من معيار قوة أو ضعف الانفعال، الأمر الذي يستوجب تأكيداً أو مبالغة أو اعتدالا، فرغم اشتراك وحدتين لغويتين في أصل المعنى إلا أن دلالتيهما تختلفان، نحو الفرق الدّلالي بين اللّفظين: يغتال ويقتل؛ إذ إنهما يشتركان في الدّلالة على القتل إلّا أنه يصاحب كل منهما درجة عاطفة وانفعال مختلفين (الأول: يدلّ على قتل شخصية سياسية ولأسباب خاصة أما الثاني فيدل على قتل شخص عادي ولأسباب غير خاصّة)، والأمر نفسه بالنسبة للفعل (يكره) الذي يختلف عن (يبغض) رغم اشتراكهما في أصل المعنى[2]. يحدّد هذا اللون من السّياق طبيعة استعمال الكلمة بين دلالتها الموضوعية، ودلالتها العاطفية، ذلك أنّ المضمون النفسي يختلف من شخص إلى آخر، فمثلا التركيب:" برج إيفل" قد يثير في نفسك ذكرى حسنة، و قد يمثل ذكرى أليمة إذا وقع لك فيه حادث أو مشكل مثلا. وهكذا يختلف الانطباع باختلاف الأثر العاطفي الذي يحدثه الملفوظ اللّساني، فالكلمة في السّياق يكتنفها " جوّ عاطفي يحيط بها وينفذ فيها ويعطيها ألوانا مؤقتة على حسب استعمالها"[3].

4-3/ سياق الموقف أو الماجرى "Situational Context/ Context of Situation": وهو " كلّ ما يتصل بالكلمة من ظروف وملابسات"[4]، أو هو جملة العناصر المكوّنة للموقف الكلامي(أو الحال الكلامية) التي تكون طريقا إلى دراسة العلاقات الموجودة بين السلوك اللّغويّ

[1]-الشّاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، 276/3.

[2]-ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص 70-71.

[3]-فندريس، اللّغة، ص 235.

[4]-ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللّغة، ص 62.

والسلوك الاجتماعي، وهو غالبا ما يعرف بسياق المجتمع في اللّغة، ومثاله استعمال كلمة " يرحم" في مقام تشميت العاطس:" يرحمك الله "، وفي مقام الترحّم:" الله يرحمه"..، ففي طلب الرحمة في الدنيا بدئ بالفعل، وفي طلب الرحمة في الآخرة بدئ بالاسم، وحتىّ وإن كان التركيب اللّساني واحداً، فإن استعماله في مواقف متعددة أو في بيئات لغوية مختلفة يؤدي، غالباً، إلى تغير دلالته، نحو قولك: " لا بأس" التي تعني التحية عند المغاربة أي مرحبا أو كيف حالك ... في حين أنها تعني القناعة وقبول الأمر عن غير رغبة عند العراقيّين[1].

ومن الأمثلة كذلك قول أحدهم لصديقه الذي طالت غيبته مستقبلا إياه بالأحضان: يا جبان، يا نذل ...، فإذا حصرنا المعنى عند مستواه اللّفظي السطحي وقعنا لا محالة في خطأ فهم ولاعتبرناها شتيمة أو مشادة كلامية بين الصديقين، في حين أننا لو أدخلنا المقام وظروف القول وحيثياته لفهمنا أنّ هذا مقام تودّد ومعاتبة على طول الغياب[2].

منذ إقرار **دي سوسير"De Saussure"** في محاضراته بأن اللّغة " لا وجود لها خارج الإطار الاجتماعي"[3]، والأصوات المنادية إلى دراسة اللّغة على أساس الموقف أو الظرف الملابس لها تتعالى، ولعلّ أبرزها صوت الأنثروبولوجي **مالينوفسكي**؛ ففي أبحاثه اللّغويّة على الأجناس البشرية توصّل إلى جملة نتائج في هذا الخضمّ، أهمّها:

-الملفوظ اللّغويّ: لا ينطق و لا يفهم إلا في سياق يحوي كل ما هو شخصي وثقافي وتاريخي له.

[1]-ينظر: رشيد العبيدي، أبحاث ونصوص في فقه اللّغة، ص 349-350.

[2]-ينظر: محمد حسن عبد العزيز، مدخل إلى علم اللّغة، ص 324 –325.

[3]-دي سوسير، علم اللّغة العامّ، ص 95.

-المعنى: جملة علاقات متعددة الأبعاد، أساسها علاقات وظيفية بين الملفوظ في التركيب وسياقات حدوثه.

-الجملة هي الوحدة الأساسية للدلالة، ذلك أن الألفاظ ليست سوى مستخرجات من المعاني ومن الوظائف السّياقية ومن الجمل[1]؛ وكما سبق ذكره؛ فإن فيرث كان قد اقتدى بفكر أستاذه أيما اقتداء، لاسيما وأن نظريته في المعنى قامت دعائمها على غير قليل من هذا التوجه اللّغويّ[2]، بجعله سياق الحالة جزءًا من أداة اللّسان[3]، بل اعتباره التصوّر الأساسي في علم الدّلالة[4]، وغير بعيد عن منحى **فيرث**، اتّجه اللّغويّ **هاليداي** إلى دراسة التعابير اللّغويّة، انطلاقا من وصف المؤثرات الاجتماعية المحيطة بها وفق أبعاد ثلاثة:

1- موضوع النّص(اجتماعيّ، تاريخيّ، جغرافيّ، فيزيائيّ...).

2- العلاقة الاجتماعيّة للمساهمين في الحدث اللّساني من: متكلّم ومستمع ونوع العلاقة القائمة بينهما.

3- شكل النّص: إن كان شفويا أو مكتوبا أو عبر الهاتف ...، وترتبط هذه الأبعاد مجتمعة بوساطة اللّغة المستعملة في النّص بالسّياق الموقعي[5].

---

[1]-ينظر: عبده الرّاجحي، اللّغة وعلوم المجتمع، دار النّهضة العربيّة، بيروت-لبنان، 1978م، ص26-27.

[2]-ينظر: محمود السّعران، علم اللّغة مقدّمة للقارئ العربيّ، ص 311-312.

[3]-ينظر: بالمر، علم الدلالة، ص 63-64.

[4]-ينظر: جون لاينز، (ما معنى نظرية المعنى عند فيرث؟)، تر. عبد الكريم مجاهد، مجلة آفاق عربية، ع:12، س:15، 1411هـ/ 1990م، ص 60-61.

[5]-ينظر: حاتم الصكر، (الألسنية وتحليل النّصوص الأدبية، من وحدة الجملة إلى كلية النّص)، مجلة آفاق عربية، س: 17، 1992م، ص94.

بعد أن وقفت على أهمّ الشخصيات اللّغويّة الغربيّة الحديثة التي قالت بالسّياق الحاليّ، ومارسته في دراستها للحدث اللّغويّ، لابدّ من التعريج على تراثنا العربيّ، فما وصلنا يؤكّد، قطعا، أسبقية اللّغويّين والبلاغيين والمفسرين العرب القدامى، وتفطّنهم لهذا اللون السّياقيّ، وعبارتهم الشهيرة: (لكل مقام مقال) لخير دليل على تأصّل هذه الفكرة واختمارها في أذهانهم، فأغلب ما توصل إليه اللّسانيّون الاجتماعيّون المحدثون يتّفق في أحايين كثيرة وملاحظات العرب الذين سآتي على ذكرهم.

لعلّ من أوائل من لمس للمقام دورا دلاليا في العملية الإبلاغيّة الإفهاميّة ووفق ما وصلنا **"بشر بن المعتمر"**؛ ففي معرض حديثه عن منازل الناس وما يفترض أن يخاطبوا به حسب أقدارهم، يقول: " وينبغي أن تعرف أقدار المعاني، فتوازن بينها وبين أوزان المستمعين، وبين أقدار الحالات، فتجعل لكل طبقة كلاما، ولكل حال مقاما، حتى تقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات وأقدار المستمعين على أقدار الحالات، واعلم أن المنفعة مع موافقة الحال، و ما يجب لكل مقام من المقال"[1]، و الإشارة إلى أنّ لكلّ مقام مقال في قوله هذا؛ يثبت أنّ فكرة المقام ولدت في أحضان البلاغة لتنتقل إلى ميدان النّحو، وعلى يد "سيبويه" ربط فهم النّص وما يطرأ عليه من ظواهر تركيبية بظروف النّص وحيثياته المحيطة به. يذكر سيبويه مثلاً جملة: (القرطاس والله)، و يرى أنها تقال في موقفين مختلفين؛ الأوّل قول شخص رأى رجلاً وهو يسدّد سهماً جهة القرطاس، ويعني: أنّ هذا الرجل سيصيب القرطاس، والموقف الآخر، يصدر فيه القول بعد وقع السهم في القرطاس، ويعني أنّ إصابة القرطاس قد وقعت [2]، ويكون بهذا قد وقع على تأثير اختلاف المقامات في اختلاف الدّلالات والتي تؤثر بدورها في المعنى التركيبيّ النحويّ.

[1]-أبو هلال العسكريّ، كتاب الصّناعتين، ص 141.

[2]-ينظر: سيبويه، الكتاب، 257/1.

ولعلّ "ابن جني" (ت392ه) من أنبه علمائنا القدامى لفعالية المقام، بل ونجده يلتقي في كثير من آرائه بمعطيات سياق الحال عند الغربيين، كما سنرى ففي تحليله مثلا لقول الشّاعر[من الطويل]:

تَقُوْلُ – وَصَكَّتْ وَجْهَهَا بِيَمِينِهَا- أَبَعْلِي هَذَا بِالرَّحَى الْمُتَقَاعِسِ[*]!

فلو قال حاكيا عنها: أبعلي هذا بالرحى المتقاعس، من غير أن يذكر صكّ الوجه لأعلمنا بذلك أنها كانت متعجبة منكرة، لكنّه لمّا حكى الحال فقال:(وصكّت وجهها) علم بذلك قوة إنكارها وتعاظم الصورة لها، هذا مع أنّك سامع لحكاية الحال غير مشاهد لها، ولو شاهدتها كنت بها أعرف، وبعظم الحال في نفس تلك المرأة أبين"[1]، ولو حلّلنا قوله هذا وقارنّاه بما في جعبة الغربيّين في هذا المضمار، لوجدنا:

-يشير "ابن جني" إلى أهمية الحدث الكلامي (قالت: أبعلي هذا بالرحى المتقاعس).

-يشير إلى أهمية الحدث غير الكلامي (وصكّت وجهها بيمينها).

-ينبّه إلى أن معايشة الحدث الكلامي ليست كالإخبار عنه، بقوله: " ليس المخبر كالمعاين"[2]، لأن الحضور والمشاهدة أبين للمعنى وأكثر فائدة في تقريب الصورة، أمّا الاكتفاء بالسماع أو الإخبار عن الحادثة اللّغويّة (أي نقل الخبر بواسطة) فلا يفي قصد المتكلم حقه.

-يشير إلى تأثير تقاسيم وملامح المشاركين وأفعالهم اللّا كلامية في الحدث اللّساني بقوله:" أفلا ترى إلى اعتباره بمشاهدة الوجوه، وجعلها دليلاً على ما في النفوس، وعلى ذلك قالوا: ربّ إشارة أبلغ من عبارة..."[3].

---

[*] الشاعر هو: نعيم بن الحارث السّعدي، وكان قد عقد له النكاح على امرأة ولم يدخل بها بعد، فمرّت به في نسوة وهو يطحن بالرحى لضيوف نزلوا به، فقالت: أبعلي هذا!؟. تعجباً واحتقاراً له، فقال الأبيات. والمتقاعس هو الذي يخرج صدره ويدخل ظهره، وذلك شكل من يطحن بالرّحى.

[1]-ابن جنّي، الخصائص، 246/1

[2]-ابن جنّي، الخصائص، 247/1.

[3]-نفسه، 248/1.

وعليه يمكن القول-دون تحيّز أو تعسف في تأويل النّصوص-بأنّ واضع اللبنة الأولى لسياق الحال من اللّغويّين، إنّما هو "ابن جني" وليس الإنجليزي"فيرث"، ذلك أن الخطوط العريضة والمقومات الأساسية التي بنى عليها "فيرث" نظريته، سبقه إليها ابن جني وتجلّت في أقواله السابقة وغيرها كثير منثور في متن مؤلفاته القيّمة.

وينضمّ إلى قائمة القائلين بالمقام "الزركشي" (794هـ) الذي عدّ معرفة أسباب النزول إحدى طرق الوصول إلى المعنى في النّص القرآني الكريم، وقرينة خارجية تلقي بظلالها على النّص فتفي القصد حقه؛ يقول عن أسباب النزول: "من أعظم المعين على فهم المعنى، وسبق منه في أوّل الكتاب وكانت الصحابة والسلف يعتمدونه"[1]. ولنأخذ الآية الكريمة ﴿ **وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّه**﴾ [البقرة:115]، لو فهمنا الآية بدلالة ألفاظها دون اعتبار لمناسبة أو سبب النزول، لكانت إقامة الصلاة تجوز في أي اتجاه شئنا، هذا لأنّ المقصود بالمشرق والمغرب عموم الوجهة استغناء بهما عن باقي الجهات، ولو علمنا أنّ الآية نزلت لمّا كان الرسول عليه الصلاة والسّلام على راحلته متّجها صوْب المدينة المنوّرة من مكة المكرّمة، لفهمنا أنّ المسافر إذا لم يتمكّن من تعيين القبلة في سفره فله أنْ يتّجه إلى عدّة جهات، أمّا إذا تغيّر الظرف فلا صلاة إلاّ وجهة القبلة[2].

4-4/ السّياق الثقافي "Cultural Context": ويقصد به القيم الثقافية والاجتماعية التي تحيط بالكلمة، فتأخذ ضمنها دلالة معيّنة. ويتطلب هذا النّمط من السّياق تحديد المحيط الثقافي الاجتماعي للفظة، فثقافة مجتمع ما تختلف عن ثقافة مجتمع آخر، بل وفي المجتمع الواحد نجد تباينا ثقافيا اجتماعياً بين طبقاته ومختلف فئاته، الأمر الذي يؤدي حتما إلى تباين في لغة كلّ طبقة، فلكلّ طبقة مفرداتها وأسلوبها الخاص بها، وقد

[1]-الزّركشي، البرهان في علوم القرآن، 202/2، وينظر: نفسه، 22/1-23.

[2]-ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 27/1.

أشار علماء اللّغة إلى ضرورة توافر هذه المرجعية الثقافية عند أهل اللّغة الواحدة حتى يتسنّى لهم التواصل.

وكمثال على ذلك كلمة (عقيلة) التي تعدّ في عربيّتنا المعاصرة علامة على الطبقة الاجتماعية الراقية مقارنة بكلمة (زوجة) التي يستعملها المتكلم العادي أو من الطبقة المتوسطة[1]، والأمر نفسه بالنسبة لكلمة (نجل) التي تعني الابن لكن عند الطبقة المتميزة كأن نقول: نجل الرئيس، وكلمة (ابن) التي تستعمل عند العامّة من الناس.

يحدّد السّياق الثقافي الدّلالة المقصودة من الكلمة المستعملة استعمالا عامًّا، نحو كلمة (الصرف) التي تعني عند دارسي العربيّة وطلابها بمجرد لفظها: علم الصرف (العلم الذي تعرف به أحوال الكلمة من اشتقاق وتغيير وزيادة ونحوها)، في حين تعني عند أهل الهندسة عملية التّخلّص من المياه، لتشير في قطاع المال والاقتصاد إلى تحويل العملات النقدية[2].

يتّخذ هذا السّياق عند "فيرث" قيمة دلالية كبيرة، انطلاقا من جعله تحليل الملفوظ يبدأ " بإظهار سياقية الوقائع، أو تسييقها واقعة واقعة، وسياقا داخل سياق، باعتبار أنّ كلّ سياق هو جزء وظيفي في سياق أعلى، وأنّ السّياقات بكاملها تتّجه لتأخذ مكانها فيما يمكن تسميته بـ (السّياق الثقافيّ)(...) وأنّ الملفوظات مثل كثير من السّلوكات الاجتماعية لا يمكن فهمها إلا بإظهار سياقاتها سياقا سياقا داخل ثقافة معيّنة "[3].

5-مآخذ على النّظريّة[4]: من الانتقادات التي وجّهت لها:

-عدم تقديم فيرث لنظرية شاملة للتركيب اللّغويّ، واكتفى بتقديم نظرية دلاليّة.

-لم يكن محدّدا في استعماله لمصطلح **السّياق**، وغموض حديثه عن **الموقف**، مع مبالغته في منح أهميّة كبيرة جدا لفكرة السّياق.

---

[1]-ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص 71.

[2]-ينظر: أحمد محمد قدور، مبادئ اللّسانيات، ص 299-300.

[3]-رجاء عيد، البحث الأسلوبي معاصرة وتراث، منشأة المعارف، الإسكندريّة، مصر، (د.ط)، 1993م، ص72.

[4]-ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص73-74.

-عدم جدوى المنهج السّياقي لمن تصادفه كلمة عجز السّياق عن تحديد معناها، فما الفائدة من إعطائه سياقات الكلمة حينها.

6-ميزات النّظريّة:

-جعل المعنى سهل الانقياد للملاحظة والتحليل الموضوعي، ويعالج الكلمات باعتبارها أحداثا وأفعالا تقبل الموضوعيّة والملاحظة في حياة الجماعة المحيطة.

-تقيّد النّظريّة بحدود دائرة اللّغة في تحليلها اللّغويّ، أي دراسة العلاقات داخل اللّغة.

ويمكن أن تختصر أهميّة هذه النّظريّة بمقولة أولمان " إن نظرية السّياق– إذا طبّقت بحكمة-تمثّل حجر الأساس في علم المعنى. وقد قادت بالفعل إلى الحصول على مجموعة من النتائج الباهرة في هذا الشأن. إنّها مثلا قد أحدثت ثورة في طرق التّحليل الأدبي، ومكّنت الدراسة التّاريخية للمعنى من الاستناد إلى أسس حديثة أكثر ثباتا، كما أنّها قدّمت لنا وسائل فنيّة حديثة لتحديد معاني الكلمات(...) وفوق هذا كلّه، قد وضعت لنا نظرية السّياق مقاييس لشرح الكلمات وتوضيحها(...) والحقّ أنّ هذا المنهج طموح إلى درجة لا نستطيع معها في كثير من الأحايين إلّا تحقيق جانب واحد منه فقط، ولكنه مع ذلك يمدّنا بمعايير تمكّننا من الحكم على النتائج الحقيقية حكما صحيحا."[1]

[1] -ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللّغة، ص73-74.

المحاضرة الثانية عشرة:

النّظريات الدّلاليّة/ نظريّة الحقول الدّلاليّةSemantic Fields Theory

1-ملامح النّظريّة في التّراث العربيّ:

لعلّ المنهج الذي اتّبعه علماؤنا العرب القدامى من أصحاب الرسائل اللّغويّة ومعاجم الموضوعات، في جمع الألفاظ التي تندرج تحت معنى واضح، ليؤكّد قطعا تجذّر نظرية الحقول الدّلاليّة عندهم، واقتراب تصوّرهم كثيرا من الطّرح الغربيّ الحديث لها، وأنّهم تمثّلوها في مصنّفاتهم بشكل يوحي لتأسيس النّظريّة، وإن غاب التنظير والتّأطير الممنهج فيها، وهذا ما سأعكف على تبيانه في العناصر الآتية.

لقد كان للّغويين العرب القدامى قصبُ السَّبقِ في هذا الميدان؛ إذ حَوَتْ مؤلَّفاتهم تصنيفات للمفردات وفقَ المعاني أو الموضوعات في رسائل دلالية صغيرة ذات موضوعات أحادية، اهتمَّت بالمفردات الدَّالة على خلق الإنسان والخيل والنخل والمطر و والعسل والسيف والبئر... وغيرها. ورسائل أخرى في التَّصنيف الصَّرفيّ كرسائل الهمز والأبنية مثل(فعلت وأفعلت) وغيرها، ثمّ تلتْ هذه الرسائل معاجم عُرِفَت بمعاجم المعاني أو الموضوعات كالغريب المصنّف لأبي عبيد القاسم بن سلام(ت224ه)، والمنجّد لكراع النمل(ت310ه)، والمخصّص لابن سيده (ت458ه) وغيرها[1].

فكانت البداية بشكل رسائل لغوية صغيرة أو كتيّبات تحتوي طائفة من الألفاظ التي لها علاقة بموضوع واحد يجمعها، ثمّ تطوّرت إلى معاجم المعاني أو الموضوعات في صورة أوسع وأشمل.

[1]-ينظر: أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ص 305-306.

1-1/ الرسائل اللّغويّة: تعدّ الرّسائل اللّغويّة نواة المعجم العربيّ، وأسّ صناعته؛ فهي رسائل صغيرة الحجم تحتوي طائفة من المفردات ذات الموضوع الواحد، عرفتها العرب في بواكير العمل اللّغويّ لعلمائها ولغويّيها، ولم تشكّل هذه الرسائل المرحلة الأولى للترتيب المعجمي وحسب وإنّما مثّلت البداية الفعليّة لجمع اللّغة وتدوينها عموما. ومعلوم سبب وضعها؛ فقد كان لفساد المَلَكَة اللّسانيّة بعد دخول الأعاجم إلى الإسلام، ومن ثمّة تفشّي الخطأ واللحن على الألسنة آنذاك الدور الرّئيس في انطلاق مرحلة مهمّة في الواقع اللّغويّ. لقد استشعروا المسؤولية لحفظ التراث مكتوبا، وتحسّسوا إمكانية ضياع الإرث اللّغويّ سيما وأنّ لغته العربيّة هي لغة الكتاب المقدّس القرآن الكريم.

لقد ظهرت مجموعة من الرّسائل اللّغويّة التي كانت إلى مواضيع البيئة ومكوّناتها أَمْيَل، لتعلّق العربيّ بما يحيط به في محيطه، ولذلك حملت عناوين تلك الرسائل في غالبها أسماءً من البيئة؛ "نلاحظ اهتماما بالطّبيعة، والبيئة، والصحراء، ووسائل النقل القديمة، من الخيل والإبل، والعناية بالأنعام من الشاء وغيرها، ولم يخل التّأليف في هذه الرّسائل المبدئيّة من توصيفات للإنسان وما حوله، فنقرأ عن خلق الإنسان، وعن الخيل، والحشرات، والإبل، والمطر، والمياه، والنبات، والشّجر، والطّير، والوحوش، والسّحاب، والرّياح، وهذا الرّبط بين الواقع والبيئة المعيشيّة، له أهميّة كبيرة، وهو ذو فاعليّة كبيرة في إرساء المعجم الوظيفي، الأكثر نجاعة وقربا لحياة النّاس وتعاملهم، وهي مناحٍ مهمّة في حسن التّأسيس وواقعيّة التّأليف"[1].

فنجد "رسالة الخيل" لأبي عبيدة معمّر بن المثنّى(ت209هـ)، أقدم ما وصل إلينا في باب وصف الخيل، فيما نعلم، وأغلب محتوياتها عن الخيل، وأسمائها، وأوصافها

[1]-المبروك زيد الخير، محاضرات في قضايا المعجم العربيّ وعلاقتها بالدّرس اللّساني الحديث، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1433هـ/2012م، ص59.

وألوانها، وما يستحبّ فيها، وما يكره، كما طال موضوعات أخرى، وتضمّنت الرسالة علاقات دلاليّة كعلاقة التّنافر والتّرادف، وعلاقة الجزء بالكلّ..

2-1/ معاجم الموضوعات: أو معاجم المعاني وهي تلك المعاجم التي ترتّب ألفاظه على معانيها وموضوعاتها، وذلك بوضع الألفاظ التي تدور في فلك واحد وحول موضوع واحد في كتب أو أبواب أو فصول واحدة، ومن نماذجه في تراثنا العربيّ كتاب الغريب المصنّف لأبي عبيد القاسم بن سلّام(ت224ه)، ومعجم المنتخب من غريب كلام العرب لكراع النمل (ت30ه)، والألفاظ الكتابيّة لأبي الحسن الهمذانيّ (ت320ه)، ومتخيّر الألفاظ لأحمد بن فارس (ت392ه)، وفقه اللّغة وسرّ العربيّة للثّعالبيّ(ت430ه)، والمخصّص لابن سيده(ت448ه)، وغيرها.

مثلا: **المخصّص**[1] هو معجم ضخم شامل، وأقرب نموذج للمعاجم الدّلاليّة الحديثة من حيث التّبويب على وفق الحقول الدّلاليّ؛ إذ قسّمه ابن سيده إلى كتب حسب المعاني والموضوعات في سبعة عشر سفر، منها على سبيل المثال لا الحصر: الإنسان(صفاته وخلقه، ونشاطاته..)، والحيوان(الخيل، والإبل، والوحوش، والغنم..)، والسماء والمناخ(السماء، والمطر، والنجوم..)، والأرض(النبات، والأشجار، والجبال، والأودية..). تضمّن الكثير من العلاقات الدّلاليّة التي هي من أساسيات مباحث نظرية الحقول الدّلاليّة الحديثة، وبيّن معاني كلّ لفظة منها وصنّفها في مجالها الدّلالي المناسب.

المآخذ: عيب على معاجم الموضوعات أو المعاني:

[1]-ينظر مقدّمة المعجم: ابن سيده، المخصّص، لجنة إحياء التراث العربيّ، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، (د.ط)، (د.ت).

-عدم اتّباع منهج واضح في جمع الكلمات، وعدم المنطقيّة في تصنيف وتبويب الموضوعات، وعدم العناية بإظهار العلاقات بين الكلمات داخل الموضوع الواحد، وذكر أوجه الخلاف والشبه بينها، وقصورها الجليّ في عملية حصر واستقصاء الكلمات.

2-نظرية الحقول الدّلاليّة عند المحدثين:

تبلورت فكرة نظريّة الحقول الدّلاليّة مع عشرينيّات وثلاثينيّات القرن العشرين، بزعامة علماء سويسريّين وألمان من مثل **إيبسن Ipsen**، و**جولزJolles**، و**بورزيغ Porzig** وغيرهم، إلّا أنّ تطوّر علم الدّلالة التركيبي مع جهود اللّغويّ **تريير Trier** الذي اهتمّ بالثروة اللّغويّة الألمانيّة، من خلال عمله الضخم "الثروة اللّفظية للّغة الألمانيّة في دائرة الحقل اللّغويّ من البدايات إلى بداية القرن الثالث عشر"، وتتبّع فيه مختلف أشكال التّغيّر الذي اعتور اللّغة الألمانيّة عبر تلك الفترة الممتدّة، ما أدّى به إلى التّنبّه لفكرة الحقل أو المجال، وتوصّل إلى أنّ الكلمات تغطي المجال الكلّي للحقل، وأنّ الحقول تغطّي المجال الكلّي للثروة اللّفظية التي تتفرّع إلى حقول تتوزّع بدورها عبر صلات متدرّجة، كما أنّ معنى الكلمة المفردة مرتبط بمعاني الكلمات القريبة منها دلاليّا، وهذه الألفاظ تتّحد في ضوء عددها وموقعها في الحقل الكّلي، ولا يمكن معرفة معنى الكلمة ما لم يعرف بقية كلمات الحقل، ومدى العلاقات التي تربط بينها[1].

يقول **تريير**:" إنّ قيمة كلمة ما لا يمكن تحديدها إلّا بتعريفها ضمن علاقاتها بقيمة الكلمات المجاورة لها والمتباينة معها. إنّها لا تحصل على معنًى إلّا باعتبارها جزءا من كلّ، ولهذا فإنّه ليس هناك من معنًى إلّا داخل المجال"[2].

[1] -ينظر: فريد عوض حيدر، علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2005م، ص173-174.

[2] -صلاح الدين زرّال، الظاهرة الدّلاليّة عند علماء العربيّة القدامى حتّى نهاية القرن الرّابع الهجريّ، الدار العربيّة للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 2008م، ص197.

3-تعريف الحقل الدّلالي Semantic field:

الحقل في الاصطلاح هو" العمود الذي تندرج ضمنه وحدات لغويّة تجمعها خصائص مشتركة، كالألوان والأمراض والصّفات وغيرها، فهو يجمع كلمات مرتبطة دلاليّا، ويصنّفها ضمن لفظ عامّ في زمن محدّد، ولغة معيّنة محدّدة"[1].

ولعلّ أشهر مَن عرّفه اللّغويّ **بيير لورا Piere Lerat** بقوله هو:" مجموعة من الألفاظ (mots) المرتبطة فيما بينها ارتباطا ضيّقا، ويحكمها غالبا لفظ أوحد عامّ(terme)" [2]، ويقول أحمد مختار عمر:"الحقل الدّلاليSemantic field أو الحقل المعجميLexical field هو مجموعة من الكلمات التي ترتبط دلالاتها، وتوضع عادة تحت لفظ عامّ يجمعها"[3]، فتشكّل قطاعًا من المادّة اللّغويّة تعبّر عن مجالٍ معيَّن من الخبرة والاختصاص، من ذلك مثلاً حقل الكلمات الدَّالة على الألوان، أو الدّالة على القرابة أو الحيوانات الأليفة أو المتوحِّشة...، ويكون **معنى** الكلمة هو إجمالي علاقاتها بالكلمات الأخرى داخل الحقل المعجمي، أي إذا أردت فهم معنى كلمة ما فعليك أن تفهم أيضا مجموعة الكلمات المتّصلة بها دلاليّا.

والملاحظ في تعريف أحمد مختار عمر هو خلطه الواضح بين الحقل الدّلالي والحقل المعجمي، وجعلهما شيئا واحدا دون تمييز بينهما، والواقع ينفي ترادفهما؛ فلكلّ دلالته الخاصّة وسياقاته الخاصّة. يقول عبد القادر الفاسي الفهري بهذا الخصوص:" يبدو أنّ كلّ لغة تنتظم في حقول دلاليّة، وكلّ حقل دلاليّ له جانبان: حقل تصوّري وحقل معجمي، ومدلول الكلمة مرتبط بالكيفيّة التي تستعمل بها مع كلمات أخرى في الحقل المعجمي نفسه لتغطية الحقل الدّلالي وتمثيله، وتكون كلمتان في الحقل الدّلالي إذا أدّى

[1] -عبد القادر عبد الجليل، علم اللسانيات الحديثة، دار صفاء، عمّان، ط1، 2002م، ص559.

[2] -بنعيسى عسو أزاييط، الوجيز في علم الدلالة، دار الأمان، الرّباط، ط1، 2016م، ص45.

[3] -أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص79.

تحليلهما إلى عناصر تصوّريّة مشتركة. وبقدر ما يكثر عدد العناصر المشتركة بقدر ما يصغر الحقل الدّلالي"[1]. إذن فالحقل المعجمي خاصّ والحقل الدّلالي عامّ، والأوّل هو الفضاء الذي يشهد علاقات كثيرة بين الكلمات التي تنضوي ضمنه لتغطية وتمثيل الحقل الدّلالي الذي يرتبط بالتّصوّر.

4-هدف التّحليل في الحقول الدّلاليّة: يتمثّل في جمع كلّ الكلمات التي تخصّ حقلا معيّنا، والكشف عن صلاتها الواحد منها بالآخر، وصلاتها بالمصطلح العامّ[2].

5-مبادئ النّظريّة: تقوم هذه النّظريّة على جملة مبادئ أهمّها:

-لا وحدة معجميّة Lexeme عضو في أكثر من حقل.

-لا وحدة معجميّة لا تنتمي إلى حقل معيّن.

-لا يصح إغفال السّياق الذي ترد فيه الكلمة.

-لا تدرس المفردات مستقلّة عن تركيبها النّحويّ.

6-تصنيف المفاهيم في النّظريّة: استفادت هذه النّظريّة من نتائج دراسات اللّغويّين الأنثروبولوجيّين في مجال التّصنيفات العامّة التي توصّلوا إليها في مجالات ثقافيّة عديدة، كما تتابعت تصنيفات بقية اللّغويّين للكلمات حسب موقعها في الحقل الدّلالي وتنوّعت، ولعلّ من أشهرها:

1-6/ تصنيف فارتبورغ Wartburg و هاليغ Hallig: صُنِّفَت المفاهيم الموجودة في اللّغة استنادًا إلى الأطر المشتركة بين لغات البشر؛ إذ تتقاسم اللّغات جميعًا عددًا من التَّصورات المشتركة وهي"مفاهيم عالمية"، فقسّمت إلى ثلاثة أصناف عامّة هي: الكون-

[1]-عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللّغة العربيّة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 1986م، ص202.

[2]-ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص79-80.

الإنسان-الإنسان والكون؛ فالكلمات التي تشير إلى **الكون** تذكر مكوّنات الطبيعة وظواهرها كالسّماء والغلاف الجوي والأرض والنبات والحيوان، والكلمات التي تشير إلى **الإنسان** تضمّ الفكر والعقل والحياة الاجتماعيّة، أمّا الكلمات التي تصف العلاقة بين الإنسان والكون فتضمّ كلّ ما يمتّ بصلة للعلم والصّناعة والاقتصاد والفن وغيرها[1].

2-6/ تصنيف مؤلّفي معجم « Greek New Testament»: وهو من أشمل التّصنيفات التي أقيمت وأكثرها منطقيّة، و يقوم على الأقسام الرّئيسيّة الأربعة الآتية:

* الموجودات* الأحداث * المجرَّدات * العلاقات، وتحت كلّ قسم فروع أصغر، والفرع إلى ما أقلّ وهكذا، عملا بمبدأ الانتقال من العموم إلى الخصوص[2].

والملاحظ أنّ حجم الحقول يختلف من مجال إلى آخر، وأنّ أكبرها في أيّ لغة هو مجال الكائنات والأشياء، ويليه مجال الأحداث، ثمّ مجال المجرّدات، وأقلّها مجال العلاقات(ويقصد بها علاقات الترادف والاشتمال وعلاقة الجزء بالكلّ والتّضاد والتّنافر).

7-أهميّة النّظريّة[3]:

-الإسهام في الكشف عن أوجه الالتقاء والافتراق بين الكلمات التي تنتمي إلى حقل دلالي واحد.

-المساعدة على تحديد قيود الاختيار التي يستوجبها المحمول في كلّ موضوع من موضوعاته.

---

[1] -ينظر: فوزي عيسى ورانيا فوزي عيسى، علم الدلالة النظرية والتطبيق، دار المعرفة الجامعيّة، الإسكندريّة، ط1، 2009م، ص164-165.

[2] -ينظر: نفسه، ص165-166.

[3] -ينظر: بنعيسى عسو أزاييط، الوجيز في علم الدلالة، ص48-49.

-تيسير السّبل للباحثين في تصنيف اللّغات إلى مجموعات معجميّة حسب تصوّر دلالي عوض الاعتماد على الجانب الشكلي في عملية التصنيف تلك.

-تقديم نقاط الالتقاء بين المتكلّمين في بقاع العالم على المستوى الدّلالي الذي تتقاطع فيه مختلف المجتمعات، كالمجرّدات والمحسوسات وغيرها.

-تبيين الفجوات المعجميّة التي قد توجد في حقل دلالي ما وإظهارها.

-تقديم قائمة متنوّعة من الكلمات لكل حقل على حدة، كما يمدّنا بالتّمييزات الدقيقة لكلّ لفظ، ما يساعد المتكلّم و المبدع على السّواء في انتقاء ما يحتاج من ألفاظ ليعبّر بدقّة وعناية عمّا يريد التعبير عنه.

-المساعدة على إنتاج لغة وظيفيّة يستعملها الأدباء والمحامون والسّياسيّون وغيرهم نتيجة جرد لوائح من الألفاظ لكل حقل عن كلّ موضوع.

-ضبط الرّصيد المفرداتي وإضفاء صفة النّظام من خلال وضع مفردات اللّغة في شكل تجميعي ينفي عنها التّسيّب و التّشتّت.

8-نقد النّظريّة: على الرّغم من الأهميّة الكبيرة لها في بحوث الباحثين والمتخصّصين وفي التّصنيف الدّلالي، والفوائد المجتناة منها على مستوى اللّغة، إلّا أنّها انتقدت بـ:

-صعوبات منطقيّة تُدخِل التعريف أو تحديد معنى الكلمة في دائرة مغلقة نتيجة ربط الكلمة بعلاقاتها بغيرها في محيط الحقل الواحد.

-غموض المعالم والحدود الخارجيّة بين الحقول الدّلاليّة؛ لأنّ خيوط الرّبط بين الحقول متنوّعة وغير مقطوعة تماما.

-عدم بناء النّظريّة على أسس استقرائيّة مسحيّة، فيكون الحقل مجرّد مثال لغويّ محتمل.

وربّما كان رأي اللّغويّ ستيفن أولمان تجاه هذه النّظريّة محصّلة جامعة بين مدح وقدح لمّا قال: " ولا تزال نظريّة **الحقل اللّغويّ** في مرحلة الطفولة، وقد تكون الآمال المعقودة عليها مجرّد اندفاع بالغ الحماس والتّفاؤل؛ لأنّ غموض المعنى واختلاط حدوده- بالإضافة إلى التّداخل في معاني الكلمات-كثيرا ما يحول دون تطبيق أيّ نظام صارم دقيق، ولكن ممّا شكّ فيه أنّ هذه النّظريّة تعدّ خطوة إيجابيّة في الطريق السّليم لهذا النّوع من البحوث، وذلك بسبب اهتمامها البالغ بمجالات كاملة من مجالات الفكر"[1].

[1] -ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللّغة، ص238.

المحاضرة الثالثة عشرة:

النّظريات الدّلاليّة/ النّظريّة التّحليليّة Analytical Theory

1-التّعريف بالنّظريّة التّحليليّة أو نظريّة التّكوين الثّلاثي للمعنى[1]: هي إحدى أهمّ النّظريات الدّلاليّة التي تدرس البنية الداخليّة لمدلول الكلمات، أو المكوّنات الدّالة لوحدة لسانيّة، ومعرفة الكيفيّة التي بها يتمّ ربط الكلمات فيما بينها بدءا من تكوينها الدّلالي[2]. إنّها تهتمّ بتحليل الكلمات إلى مكوّناتها وعناصرها التّمييزيّة، وتنظر لمعنى الجملة الصحيح على أساس أنه نتاج تأليف صحيح بين الكلمات المكوّنة لها.

2-الاتّجاه التّحليليّ للمعنى: يتّخذ الاتّجاه التّحليلي في بحث معاني الكلمات ثلاثة مستويات تحليليّة؛ بدءًا بتحليل كلمات كلّ حقل دلالي، ورصد العلاقات بين معانيها، وتحليل كلمات المشترك اللّفظيّ إلى مكوّناتها أو معانيها المختلفة، وتحليل المعنى الواحد إلى عناصره التّكوينية المميّزة[3].

أمّا المستوى الأوّل فهو من صميم مباحث نظريّة الحقول الدّلاليّة التي سبق بحثها وتلتقي مع النّظريّة التّحليليّة في اهتمامها بالنّمط التّصنيفي ودلالاته بناء على تحليل تفريعي للصّيغة، أمّا الثاني والثالث فسيتمّ بحثهما وفق الآتي.

2-1/ تحليل كلمات المشترك اللّفظي: سنة 1963 نشر العالمان اللّغويّان: **كاتز Jerrold Katz و فودور Jerry Fodor** مقالهما المشهور: **(Structure of a Semantic Theory The)** لتقديم نظريتهما في تحديد دلالات الكلمات القائمة على مبدأ التشذير أي

---

[1] -وهي تسمية أطلقها الباحث المصريّ عبد الفتاح البركاوي، ينظر كتابه: مدخل إلى علم اللّغة الحديث، مكتبة الأنجلو المصريّة، مصر، ط4، 1416ه/2005م، ص176.

[2] -ينظر: كلود جرمان وريمون لوبلان، علم الدلالة، تر. نور الهدى لوشن، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، ليبيا، ط1، 1997م، ص76-77.

[3] -ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص114.

تشذير كلّ معنى من معاني الكلمة إلى سلسلة من العناصر الأوليّة مرتّبة على أساس الاتّجاه من العامّ إلى الخاصّ، ومعنى كلّ كلمة يحدّد **بوساطة تتبع الخطّ** من المحدّد النّحوي إلى المحدّد الدّلالي ثمّ إلى المميّز، وتبقى عملية التشذير متواصلة إلى أن يتجسّد الحد الضروري من التوصيف والشرح، إلا أنّهما عدّلا طريقة العرض تلك لأنها لا تعطي نظرية دلالية عامّة، والشرح غير واف، فاستعاضا عنها بالرّسم الشجري، ومَثَّلَا بكلمة bachelor[1].

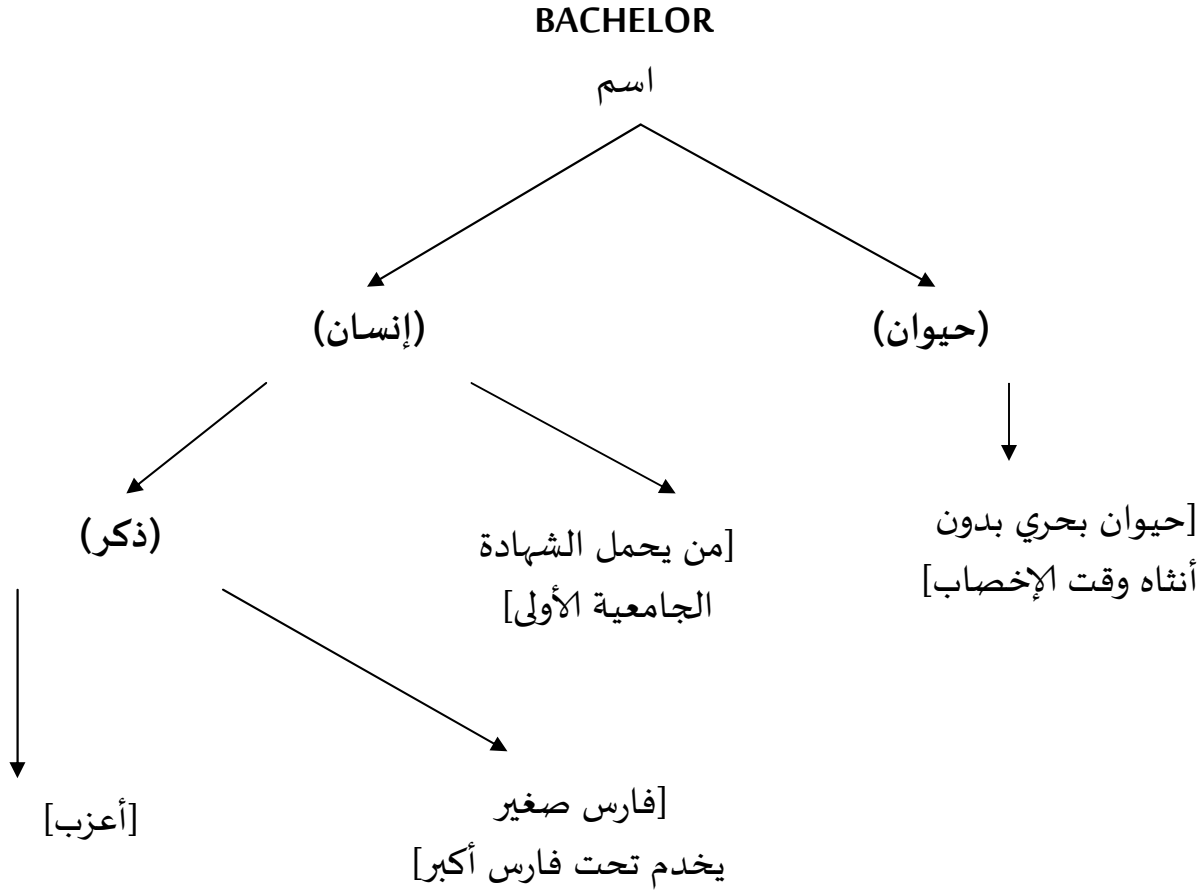

[1] -ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص115.

ومن خلال هذا فرّقا بين ثلاثة أنواع من المكوّنات أو المحدّدات[1]:

2-1-1/ المحدّد النّحوي: وهو مكوّن غير أساسي(في المثال السابق هو ما كان خارج الأقواس أي كلمة: اسم)، ولم يعطياه قيمة تذكر في تصوّرهما رغم أهمّيته، ويقتضي التمييز بين الأجناس النّحويّة (الفعل، والاسم، والحرف)، كما يركّز على السّلامة التّركيبّة للجملة، واحترام القواعد النّحويّة المتّفق عليها في النّظام اللّغويّ.

2-1-2/ المحدّد الدّلالي: وهو من شروط تحقيق سلامة المعنى؛ حيث إنّ المحدّد النّحوي لا يكفي لوحده لتحقيق السلامة الدّلاليّة، وهو مكوّن يمكن أن يختلف مكان وجوده في المعجم؛ حيث إنّه عنصر عامّ مشترك بين الوحدات المعجمية الأساسية التي تنتمي إلى حقول دلالية مختلفة (في المثال جاء بين قوسيْن هلاليْن)، ويتكوّن هذا المحدّد من آليتيْن هما: المعجم، وقواعد الإسقاط. أمّا المعجم، ففي نظر صاحبيْ النّظريّة يبدو" كنظام للتّصوّرات التي تصنّف منتجات تؤدّي إلى التّعيين"[2]، أي يمنح الكلمة سماتها الدّلاليّة المكوّنة لها، " ويمكنه أن يكون المسوّغ لمعرفة العلاقات بين المعاني للكلمة نفسها، والعلاقات بين مختلف الكلمات، بالإضافة إلى إمكانيّة معرفة عدد المعاني الغامضة عند اللزوم"[3]، في حين أنّ قواعد الإسقاط مجموعة قوانين لضمّ معاني عناصر المفردات، وهي تشبه عملية الدّمج أو ضمّ مدلول كلّ مفردة إلى ما يجاورها من مدلولات المفردات التي تشاركها تأليف الجملة مع مقارنة كلّ سمة تركيبيّة أو دلاليّة مع غيرها، فإن وقع التلاؤم بين السّمات بنوعيْها نقول حينها إنّ هذه الجملة صحيحة دلاليّا، وإن لم يقع أيّ توافق نقول بأنّ هذه الجملة خاطئة دلاليّا[4].

---

[1] -ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص118.

[2] -كلود جرمان وريمون لوبلان، علم الدلالة، ص84.

[3] -نفسه، ص82-83.

[4] -ينظر: ف. بالمر، علم الدلالة، تر. مجيد عبد الحليم الماشطة، الجامعة المستنصريّة، (د.ط)، 1985م، ص16.

إنّ المحدّد الدّلالي هو الذي يميّز بين عضوين يتقابلان بالجنس ضمن ثنائي معيّن كـ: بنت-ولد، عانس-أعزب، امرأة-رجل، أخ-أخت، عم-عمّة، بقرة-ثور...

ولد= اسم، حي، إنسان، ذكر، صغير السّن، و"بنت" بالمحدّدات نفسها أي تمتلك خطّا متطابقا وتختلف فقط في أنثى بدل ذكر.

2-1-3/ المميّز أو **الواسم**، وهو من أهمّ آليات تفسير دلالة الجمل ومنها الجمل التي بها مشترك لفظي، وهو مكوّن خاصّ بمعنى معيّن، ويأتي دائما في آخر السلسة، ولا يمكن أن يأتي في أماكن أخرى في المعجم إلا في حالة الترادف (جاء في المخطّط السابق بين قوسيْن معقوفيْن). يقول عنه كاتز:" أمّا المميّزات الدّلاليّة فهي تعكس كلّ ما يحويه المعنى من تميّز وتفرّد" [1]

سلبيات نظرية كاتز وفودور: وّجهت لها سهام النقد في العناصر الآتية[2]:

-تمييزها بلا داع بين المحدّد والمميّز.

-يبدو عدد المحدّدات الدّلاليّة وترتيبها تحكّميا.

-لا تميّز النّظريّة بين الهومونيمي(المشترك اللّفظي) والبوليزيمي(تعدّد المعنى).

إيجابيات النّظريّة: أمّا المدافعون عنها والمؤيّدون لها فيرونها:

-أحسن تجربة لتحليل المعنى إلى مكوّنات صغرى.

-لعبت دورا محوريّا في تطوير علم الدّلالة التركيبي، وأوّل نظريّة دلالية تفصيليّة واضحة تستخدم لمدّة طويلة في أمريكا(كما رأى ستيفن أولمان).

[1] -كلود جرمان وريمون لوبلان، علم الدلالة، ص 83.

[2] -ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص120-121.

-تعدّ في نظر بعض الباحثين القسيم للأجناس النّحويّة التي نحتاجها في شرح العلاقات داخل الجملة، لأننا نحتاجها بمكوّناتها لشرح العلاقات الدّلاليّة.

2-2/ تحليل المعنى الواحد إلى عناصره التّكوينيّة المميّزة: عدّ بعض الدّلاليّين واللّغويّين التحليل إلى العناصر التّكوينيّة امتدادا لنظريّة الحقول الدّلاليّة؛ "فكلّ لغة تنتظم في حقول دلاليّة، وكلّ حقل دلالي له جانبان: حقل معجمي وحقل تصوّري، ومدلول الكلمة مرتبط بالكيفيّة التي تعمل بها مع كلمات أخرى في نفس الحقل المعجمي لتغطية أو تمثيل الحقل الدّلالي، وتكون كلمتان في نفس الحقل الدّلالي إذا أدّى تحليلها إلى عناصر تصوّريّة مشتركة، وبقدر ما يكثر عدد العناصر المشتركة بقدر ما يصغر الحقل الدّلالي"[1]، كما أنّ تحليل الصّيغة المعجميّة إلى مكوّناتها أو ملامحها التّمييزيّة هو الذي يحدّد مجالها الدّلالي بتطابقها مع صيغ أخرى تحمل الملامح نفسها.

إثر الانتهاء من تحديد الحقول الدّلاليّة، وحصر وتجميع الكلمات داخل كلّ حقل دلالي، يبدأ هذا التّحليل؛ إذ إنّ رصد دلالة كلّ كلمة، وتحديد علاقة كل منها بالأخرى، يتطلّب استخلاص أهمّ الملامح التّمييزيّة التي تجمع كلمات الحقل من جهة، وتميّز بين أفراده من جهة أخرى.

2-2-1/ مراحل تحديد العناصر التّكوينيّة[2]:

-استنباط مجموعة من المعاني، مبدئيّا، تظهر العلاقة القوية بينها لتشكّل مجالا دلاليّا خاصّا نتيجة اشتراكها في عناصر تكوينيّة. مثلا كلمات: أب، أم، ابن، بنت، أخ، أخت، عمّ، عمّة، ... تتقاسم قابليّة التطبيق على الكائن البشريّ، وتتّصل بالشّخص الذي يرتبط بآخر عن طريق الدمّ أو المصاهرة.

[1] -عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللّغة العربية، منشورات عويدات، بيروت-لبنان، ط1، 1986م، ص370.

[2] -ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص122 وما بعدها.

-تقرير الملامح التي تستخدم لتحديد المحتويات التي تستعمل للتّمييز، وهي بالنسبة للكلمات السابقة ستكون ملامح: الجنس، والجيل، والانحدار المباشر، وقرابة الدّم أو المصاهرة.

-تحديد المكوّنات التّشخيصيّة لكلّ معنى على جهة، لنستطيع القول بأنّ معنى كلمة أمّ تتميّز بالملامح المحدّدة والخاصّة بها.

-وضع تلك الملامح في شكر شجري أو في شكل جدول، يحتوي على كلّ المكوّمات التّشخيصيّة لكل كلمة من الحقل الدّلالي. الفرق بين معنى أم عن معنى أب مثلا أنّ أم= أنثى، وأب= ذكر، وعليه نستطيع تعريف كلمة الأم بأنها مجموع أربعة خصائص أو مكوّنات تشخيصيّة هي:

أنثى (من حيث الجنس)، جيل تال (فوق الذات)، ذات خطّ اتّصالي مباشر (مع الذات)، تتّصل بقرابة الدّم (من ناحية نوع القرابة).

كما يمكن وضع الملامح التّمييزية في شكل تقابلات ثنائيّة في جدول تتحقّق بالزّائد (+) أو الناقص (-)، أو توضع في صورة تجمّعات من هذه الملامح، مثلا:

رجل = +ذكر +كائن بشري +بالغ

امرأة = -ذكر +كائن بشري +بالغ

طفل = + أو -ذكر +كائن بشري -بالغ

جرو = + أو -ذكر -كائن بشري -بالغ

2-2-2/ مجالات تفعيل النّظريّة[1]: بالإمكان استخدام هذه النّظريّة في مجالات عديدة، بل ودراسة مشكلات على هديها، ومنها قضية المجاز، والحقول الدّلاليّة، واكتساب الطفل للكلمات، والتّرادف، والمشترك اللّفظي.

* **المجاز**: بما أنّ معنى الكلمة في منظور النّظريّة التّحليليّة هو جملة الملامح أو الخصائص التّمييزيّة، وأنه كلّما زادت الملامح لشيء ما قلّ عدد أفراده، والعكس صحيح، فإنّه في الوسع تضييق المعنى وتوسيعه بوساطة زيادة ملامح أو حذف ملامح، وهذا من صميم الاستعمال المجازي، وعلى سبيل المثال:

الملامح التّميزيّة لكلمة صحيفة: نقل الأخبار، منتظمة الإصدار، مطبوعة على الورق، ...فإذا أسقطنا الملمح الأخير قلنا حينها صحيفة الهواء، ومنه فإزاحة أحد الملامح يولّد نوعا من المجاز وعلاقته العموم أو الخصوص.

* **الحقول الدّلاليّة**: شكّلت هذه النّظريّة أداة طيّعة لدراسة العديد من الحقول الدّلاليّة، وذلك بتحديد الملامح التمييزية المناسبة لكلمات حقل معيّن، مثلا حقل ألفاظ الأوعية؛ أين قام الباحث **ليهرر Lehrer** بتطبيق هذه النّظريّة وقدّم العناصر التّكوينيّة لكلمات الحقل: قدر، زجاجة، إبريق، مزادة، دورق، قارورة، جرّة، فنجان، كوب، زهريّة، حوض...وبيّن أنّه كثيرا ما تعجز اللّغات عن التعبير عن الشكل المحدّد بلفظ واحد بعينه، ما يدفع المتكلم إلى استعمال جملة وصفيّة طويلة، أو استعمال أقرب كلمة في المجال الدّلالي، أو استعمال كلمة عامّة[2].

* **اكتساب الطفل للكلمات:** تعميم مدلولات الكلمات الأولى واستعمالها في مجالات أوسع ظاهرة شائعة عند الأطفال الصغار، وتفسير ذلك هو إسقاط بعض الملامح

[1] -ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص 126 وما بعدها.

[2] -ينظر: نفسه، ص131(الهامش).

التمييزيّة وإظهار أخرى، مثلا يطلق الطفل على كل رجل بالغ لفظة: عمّ، أي أسقط الملامح التمييزية للفظ كالقرابة واكتفى بملمح الذكورة والبلوغ، ويخلط الطفل أيضا بين المكتب والطاولة، والحمامة والعصفور...ومردّ ذلك هو تركيز الطفل على المكونات التمييزية المدرَكة مثل الشكل والصوت ومادة الشيء، ويبتعد عن التجريديّة منها كالوظيفة وطريقة استخدام الشيء.

* **الترادف**: من أهمّ ما عالجت النّظريّة التّحليليّة مسألة الترادف، فمن خلال النّظريّة يمكن -غالبا -الحكم بترادف الكلمتيْن، وذلك إذا حملتا نفس الملامح التكوينيّة بغضّ النظر عن الاختلافات الثانوية أو العاطفيّة، مثلا الكلمتان: "بابا" و "والدي" تملكان نفس الملامح التمييزية الأساسية= + كائن حي، +ذكر، +بالغ، +صلة رحم، +قرابة، +ذو خط اتصالي مباشر، إلَّا أنهما يختلفان في الشحنة العاطفية التي تظهر قوية في الأولى، و رسميّة في الثانية.

* **المشترك اللّفظي**: يبدو أنّ بعض الدّارسين قد فعّل النّظريّة في التّمييز بين نوعيْ المشترك اللّفظي: الهومونيمي(الاشتراك الصّوتي)والبوليزيمي(تعدّد الدّلالة)[1]؛ فإذا كانت اللّفظتان تملكان ملمحا دلاليا واحد مشتركا على الأقل نكون إزاء البوليزيمي، وأمّا إذا لم يوجد ملمح مشترك فهو الهومونيمي، إلّا أن هذا لا يفي بالغرض مع كل الحالات، لصعوبة تحديد الملمح المناسب الذي نعتمد عليه[2].

[1] -للتّوسّع أكثر في هذين المصطلحين، ينظر: راث كيمبسون، نظرية علم الدلالة (السيمانطيقا)، تر.عبد القادر قنيني، ص117-122.

[2] -ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص 136-137.

الخاتمة:

في ختام جولتنا، وفي رحاب علم الدّلالة وقضاياه، لنا أن نقدّم أهمّ النّتائج والملاحظات في النّقاط الآتية:

-أبانت مصنّفات التّراث العربيّ في بيئات علمّية وفكريّة متنوّعة، وفي شتّى المباحث والأبواب-نظرا وإجراء-عن كثير من مسائل الدّلالة الحديثة، وجسّدت ملامح النّظريّات الدّلاليّة الحديثة الكامنة بين ثناياها، ولعلّ أظهر تلك المسائل: علاقة اللّفظ بالمعنى، والدّلالة الإفراديّة والتّركيبيّة، وأنواع الدّلالة، والسّياق وأهميّته في تحديد الدّلالة المقصودة، وتداوليّة الحدث الكلاميّ، ومختلف الظواهر الدّلاليّة كالتّرادف، والمشترك اللّفظي، والأضداد، ما يؤكّد على عمق التّناول وعراقة الفكر التّراثي الدّلاليّ عند العرب وامتداده.

-لأنّ الدّلالةَ علاقةُ تضايفٍ معيّنةٍ بين الدال والمدلول، **فأنواع الدّلالة** تتعدّد بحسب إيجاد اختلافات في العلاقة المذكورة، وحسب وجهات نظر معيّنة، واعتمادا على معايير متباينة، لذلك تولّد اختلافٌ بَيِّنٌ بيْن العلماء بخصوص تلك الأنواع؛ إذ منها ما ينظر إلى الدّلالة حسب مستويات التّحليل اللّغويّ أي: الدّلالة الصّوتيّة، والصّرفيّة، والنّحويّة، والسّياقيّة، ومنها تقسيم المعنى إلى خمسة أنواع وهو مذهب أحمد مختار عمر الذي رأى أنّ المعنى يتفرّع إلى: المعنى المركزي، والهامشي، والنفسي، والأسلوبي، والإيحائي، في حين ساق تمّام حسّان تقسيما آخر حصيلته: المعنى المقالي+ المعنى المقامي= المعنى الدلالي.

-يُعدُّ **التغيُّر الدّلالي** من أهمِّ الموضوعات الدّلاليّة باعتباره سمَة مميَّزة من مسيرة اللّغة، ودليلاً على اجتماعيتها وأداةً لديمومة الاتِّصال والتبليغ، ويكون هذا التغيُّر وفق قوانين وأنظمة تضبطه وتجعله يُبرز الجديد من الدّلالات وفق سياق يقبله المجتمع ويتعامل به ومعه.

-تعدّ **العلاقات الدّلاليّة** جزءًا مهمًّا ممَّا يُعرَف بعلم الدّلالة التركيبي، ونقصد بها تلك الرّوابط التي تصل بين مفردات اللّغة وفقَ أُطُرٍ بعينها؛ فقد أثارت ثنائية (الدّال/المدلول) عند الدّارسين حركةً لغويةً واضحة ونشاطًا دلاليًا معتبرا، أدركوا من خلالها جانبا كبيرا من طبيعة العلاقات الدّلاليّة بين المفردات في بعض من الظواهر الدّلاليّة التي درسوها، نحو: الترادف والاشتراك اللفظي والأضداد، وتنضوي هذه القضايا تحت ما أسماه أولمان بـ:"تعدُّد المعنى".

-تنوّعت **النظريات الدلاليّة الحديثة** التي اهتمّت بالمعنى ومشكلاته، ومن أُوْلاها النّظريّة الإشاريّة أو المرجعيّة ذات الأصول الفلسفيّة والمنطقيّة، ويرجع الفضل في منحها الصّبغة العلمية للعالمَيْن الإنجليزيَيْن أوجدن وريتشاردز وذلك في كتابهما ذائع الصّيت(معنى المعنى) الذي نهلت منه النّظريّة التّصوريّة أيضا مهتمّة بالمعنى بوصفه كيانا نفسيّا لا كيانا خارجيّا، وأنّ بناء المعاني جزء من العمليات النفسيّة أو الذّهنيّة التي تنبني عليها القدرة اللّغويّة الداخلية للمتكلّم، في خطوة نحو الوقوف على القواعد المستنبطة في الذّهن المنظّمة للمعارف. أمّا النّظريّة السّياقيّة

فتنتهي إلى أنّ النّفاذ إلى المعنى و بلوغ دلالة الخطاب لا تحكمه موجبات التّركيب الأفقي وحسب، بل حيثيّات فعل التّلقي التي باختلاف تفاصيلها تختلف الدّلالة المرصودة، أو على الأقلّ تتفاوت درجة المعنى و قوة التأثير، في حين أنّ نظريّة الحقول الدّلاليّة في رؤيتها الحديثة تعضّد تجذّرها في المتن التّراثيّ؛ فالمنهج الذي اتّبعه علماؤنا العرب القدامى من أصحاب الرّسائل اللّغويّة ومعاجم الموضوعات، في جمع الألفاظ التي تندرج تحت معنى واضح، ليؤكّد قطعا تجسّد ملامحها عندهم، واقتراب تصوّرهم من الطّرح الغربيّ الحديث لها، وأنّهم تمثّلوها في مصنّفاتهم بشكل يوحي لتأسيس النّظريّة، والأمر سيان مع النظريّة السّياقيّة، أمّا آخر النّظريات المدروسة في المطبوعة وهي النّظريّة التّحليليّة أو نظريّة التّكوين الثّلاثي للمعنى فتدرس البنية الداخليّة لمدلول الكلمات،

وتحلّلها إلى مكوّناتها وعناصرها التّمييزيّة، وتسعى لمعرفة الكيفيّة التي يتمّ بها ربط الكلمات فيما بينها بدءا من تكوينها الدّلالي.

وفي الختام أقول:

إنّ علم الدّلالة بمباحثه المختلفة وحدوده المترامية علم مهمّ وضروري لكلّ طالب وباحث، وعليه وجب الاعتناء به وتتبّع أحوال تطوّره في الدراسات اللسانيّة المعاصرة، وعدم الاكتفاء به في صورته الحديثة فقط، وذلك بالاطّلاع على الكتب الصادرة حديثا تأليفا وترجمة، مع استغلال كلّ الطّرق والوسائل الحديثة والمتطوّرة المتاحة، من أجل الوصول بالبحث اللّساني عموما والدّلالي خصوصا إلى أرقى صوره.

والله ولي التوفيق والله من وراء القصد

قائمة المصادر والمراجع

* **القـرآن الكريم برواية حفص عن عاصم**، المطبوع بتصريح رقم1071 من مجمع البحوث الإسلاميَّة بالأزهر الشَّريف بتاريخ: 1417/05/20هـ-1997/09/22م، مكتبة المجلَّد العربيّ بالأزهر، القاهرة-مصر.

1- إبراهيم أنيس، **دلالة الألفاظ**، مطابع الإسلام، القاهرة-مصر، ط6، 1986م.

2- إبراهيم أنيس، **في اللّهجات العربيّة**، مكتبة الأنجلو المصريّة، دار فوزيّ للطّباعة، القاهرة-مصر، ط6، 1984م.

3- إبراهيم السّامرائيّ، **التطور اللّغوي التاريخيّ**، دار الرّائد للطّباعة، القاهرة-مصر، (د.ط)، 1966م.

4- أحمد بن فارس(ت395ه)، **الصّاحبي في فقه اللّغة العربيّة وسنن العرب في كلامها**، تح. مصطفى الشويمي، مؤسسة أ بدران للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، (د.ط)، 1963م.

5- أحمد عبد الرحمن حمّاد، **عوامل التطور اللّغويّ-دراسة في نموّ وتطوّر الثروة اللّغويّة**، مطابع البيان التّجاريّة، دبي، (د.ط)، (د.ت).

6- أحمد عبد السّيد الصاوي، **النّقد التحليلي عند عبد القاهر الجرجانيّ (دراسة مقارنة)**، مطبعة الانتصار، ط3، 2002م.

7- أحمد محمد قدور، **مبادئ اللّسانيات**، دار الفكر، دمشق-سوريا، ط1، 1996م.

8- أحمد مختار عمر، **علم الدّلالة**، عالم الكتب، القاهرة-مصر، ط6، 1427ه/2006م.

9- ابن الأنباري محمد بن القاسم(ت328ه)، **الأضداد**، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصريَّة، صيدا-لبنان، ط1، 1427ه-2006م.

10- الباقلانيّ أبو بكر(ت403ه)، **إعجاز القرآن**، تح. السيّد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، ط5، (د.ت).

11- البخاري أبو عبد الله الجعفيّ(ت256ه)، **صحيح البخاريّ**، تح. مصطفى ديب البغا، ط3، دار ابن كثير. اليمامة، بيروت-لبنان، 1407ه/ 1987م.

12- أبو البقاء الكفويّ(ت1094ه)، **الكليّات معجم في المصطلحات والفروق اللّغويّة**، تح. عدنان درويش ومحمد المصريّ، مؤسّسة الرّسالة، بيروت-لبنان، ط2، 1419ه/1998م.

13- بيار غيرو، **علم الدّلالة**، تر. أنطوان أبو زيد، منشورات عويدات، بيروت-لبنان، (د.ط)، 1986م.

14- بيار غيرو، **علم الدّلالة**، تر. منذر عياشي، دار طلاس، دمشق -سوريا، (د.ط)، 1992م..

15- التّبريزيّ، **شرح ديوان الحماسة**، تح. محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة حجازي بالقاهرة، (د.ط)، (دت).

16- تمّام حسّان، **الأصول دراسة ابستيمولوجية للفكر اللّغويّ عند العرب(النحو – فقه اللّغة – البلاغة)**، (ب.ط)، عالم الكتب، القاهرة-مصر، 1420ه / 2000م.

17- تمّام حسّان، **اللّغة العربية معناها و مبناها**، عالم الكتب، القاهرة-مصر، ط3، 1418ه/ 1998م.

18- تمّام حسّان، **مناهج البحث في اللّغة**، مكتبة الأنجلو المصريّة، القاهرة، 1990م.

19- توّامة عبد الجبّار، **زمن الفعل في اللّغة العربية، قرائنه وجهاته-دراسات في النَّحو العربيّ**، ديوان المطبوعات الجامعيَّة، بن عكنون-الجزائر، (د.ط)، 1994 م.

20- توفيق محمد شاهين، **المشترك اللّغويّ(نظرية وتطبيقا)**، مطبعة الدّعوة الإسلاميّة، القاهرة-مصر، ط1، 1980م.

21- ابن تيمية تقي الدين أبو العباس(ت728ه)، **الاستقامة**، تح. محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود، المدينة المنوّرة، ط1، 1403ه.

22- ابن تيمية(ت728ه)، **شرح العمدة**، تح. سعود صالح العطيشان، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1413ه.

23- ابن تيمية(ت728ه)، **المسودة في أصول الفقه**، تح. محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربيّ، بيروت، (د.ط)، (د.ت).

24- الجاحظ أبو عثمان عمرو(ت255ه)، **البيان والّتبيين**، تح. فوزي عطوي، دار صعب، بيروت، ط1، 1968 م.

25- ابن جنيّ أبو الفتح عثمان(ت392ه)، **الخصائص**، تح. محمد علي النجار، عالم الكتب، بيروت، (د.ط)، (د. ت).

26- جون لاينز، **اللّغة والمعنى والسّياق**، تر. عباس صادق الوهّاب، دار الشّؤون الثّقافيّة العامّة، بغداد-العراق، ط1، 1987م.

27- حاكم مالك الزيادي، **التّرادف في اللّغة**، دار الحريّة للطّباعة والنّشر، بغداد-العراق، (د.ط)، 1980م.

28- أبو حامد الغزاليّ(ت505ه)، **المستصفى من علم الأصول**، تح.محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1413ه/ 1993م.

29- أبو حامد الغزاليّ (ت505ه)، **المنخول من تعليقات الأصول**، تح.محمد حسن هيتو، دار الفكر، دمشق، ط2، 1400ه/ 1980م.

30- حلمي خليل، **العربية وعلم اللّغة البنيويّ-دراسة في الفكر اللّغويّ العربيّ الحديث**، دار المعرفة الجامعيّة، الإسكندريّة، (د.ط)، 1988م.

31- خليل أحمد خليل، **معجم المصطلحات اللّغويّة (عربي– فرنسي– إنجليزي)**، ط1، دار الفكر اللبنانيّ، بيروت-لبنان، 1995م.

32- الخليل بن أحمد الفراهيدي(ت175ه)، **معجم العين**، تح. مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي، وزارة الثقافة والإعلام دار الرشيد للنشر، الجمهورية العراقية، (د.ط)، 1882م.

33- دي سوسير، **علم اللّغة العامّ**، تر. يوئيل يوسف عزيز، دار الكتب للطّباعة والنّشر، جامعة الموصل، العراق، (د.ط)، 1988م.

34- راث كيمبسون، **نظرية علم الدّلالة (السيمانطيقا)**، تر.عبد القادر قنيني، دار الأمان– الرباط، منشورات الاختلاف-الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون-بيروت، ط1، 1430ه /2009م.

35- رجاء عيد، **البحث الأسلوبي معاصرة وتراث**، منشأة المعارف، الإسكندريّة-مصر، (د.ط)، 1993م.

36- رشيد العبيدي، **أبحاث ونصوص في فقه اللّغة**، جامعة بغداد، العراق، (د.ط)، 1988م.

37- رمضان عبد التّوّاب، **فصول في فقه العربيّة**، الناشر مكتبة الخانجي للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع، القاهرة-مصر، ط6، 1420ه/1999م.

38- الرّمانيّ والخطابيّ وعبد القاهر الجرجانيّ، **النّكت في إعجاز القرآن ضمن (ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)** تح. محمد خلف الله أحمد و محمد زغلول سلام، سلسلة ذخائر العرب(16)، دار المعارف، مصر، ط4، (د. ت).

39- الزّركشيّ بدر الدِّين محمد (ت794ه)، **البرهان في علوم القرآن**، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة للطّباعة والنّشر، بيروت-لبنان، ط2، (د.ت).

40- ستيفن أولمان، **دور الكلمة في اللّغة**، تر. كمال بشر، دار غريب للطّباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة-مصر، ط12، (د.ت).

41- السرخسيّ أبو بكر محمد(ت490ه)، **أصول السرخسيّ**، تح. أبو الوفا الأفغاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1414ه/1993م.

42- السرخسيّ، **المبسوط**، دار المعرفة، بيروت-لبنان، (د.ط)، 1406ه.

43- سيبويه عمرو بن عثمان(ت180ه)، **الكتاب**، تح. عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط1، (د. ت).

44- السيّد أحمد عبد الغفّار، **التّصوّر اللّغويّ عند الأصوليّين**، دار المعرفة الجامعيّة، الإسكندريّة، ط1، 1401ه/1981م.

45- السّيد أحمد عبد الغفار، **التّصوّر اللّغويّ عند علماء أصول الفقه**، دار المعرفة الجامعيّة، الإسكندريّة، (د.ط)، 2007م.

46- ابن سيده، **المخصّص**، لجنة إحياء التراث العربيّ، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، (د.ط)، (د.ت).

47- السّيوطي جلال الدين(ت911ه)، **المزهر في علوم اللّغة وأنواعها**، دار الفكر للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع، عمَّان-الأردن، (د.ط)، (د.ت).

48- السّيوطي جلال الدين(ت911ه)، **معترك الأقران في إعجاز القرآن**، تح. أحمد شمس الدّين، دار الكتب العليمّة، بيروت-لبنان، (د.ط)، (د.ت).

49- الشّاطبي أبو إسحاق(ت790ه)، **الموافقات في أصول الشريعة**، عني بضبطه وتفصيله محمد بن عبد الله دراز، دار المعرفة، بيروت – لبنان، (د.ط)، (د. ت).

50- الشافعيّ محمد بن إدريس(ت204ه)، **الرّسالة**، تح. أحمد محمد شاكر، دار النشر أنجاد، (د.ط)، (د.ت).

51- الشريف الجرجانيّ(ت826ه)، **التّعريفات**، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، (د.ط)، 1403ه/1983م.

52- الصادق خليفة راشد، **دور الحرف في أداء معنى الجملة**، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، (د.ط)، 1996م.

53- صلاح الدين زرّال، **الظاهرة الدّلاليّة عند علماء العربيّة القدامى حتّى نهاية القرن الرّابع الهجريّ**، الدار العربيّة للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 2008م.

54- أبو الطيب اللّغويّ(ت351ه)، **الأضداد في كلام العرب**، تح. عزة حسن، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، سوريا، (د.ط)، 1382ه/1963م.

55- عاطف مدكور، **علم اللّغة بين التراث والمعاصرة**، دار الثّقافة للنشر والتّوزيع، القاهرة-مصر، (د.ط)، 1987م.

56- عبد السلام المسدّي، **العربيّة والإعراب**، دار الكتاب الجديد المتّحدة، بيروت، ط1، 2010م.

57- عبد الفتاح البركاوي، **مدخل إلى علم اللّغة الحديث**، مكتبة الأنجلو المصريّة، مصر، ط4، 1416ه/2005م.

58- عبد القادر أبو شريفة وحسين لافي وداود غطاشة، **علم الدّلالة والمعجم العربيّ**، دار الفكر للنّشر والتّوزيع، عمّان-الأردن، ط1، 1989م.

59- عبد القادر عبد الجليل، **علم اللّسانيات الحديثة**، دار صفاء، عمّان، ط1، 2002م.

60- عبد القادر الفاسي الفهري، **اللّسانيات واللّغة العربيّة**، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 1986م.

61- عبد القادر الفاسي الفهري، **اللّسانيات واللّغة العربية**، منشورات عويدات، بيروت-لبنان، ط1، 1986م.

62- عبد القاهر الجرجانيّ(ت471ه)، **دلائل الإعجاز**، تح. محمد التنجي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1420ه/1999م.

63- عبد المجيد جحفة، **مدخل إلى الدّلالة الحديثة**، دار توبقال، الدار البيضاء-المغرب، ط1، 2000م.

64- عبد الواحد حسن الشّيخ، **العلاقات الدّلالية والتراث البلاغي العربي-دراسة تطبيقيّة**، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنيّة، الإسكندريّة-مصر، ط1، 1999م.

65- عبده الرّاجحي، **اللّغة وعلوم المجتمع**، دار النّهضة العربيّة، بيروت-لبنان، 1978م.

66- علي زوين، **منهج البحث اللّغويّ بين التراث وعلم اللّغة الحديث (دراسات)**، دار الشؤون الثقافية العامّة، آفاق عربية، بغداد-العراق، ط1، 1986 م.

67- علي عبد الواحد وافي، **علم اللّغة**، مطبعة لجنة البيان العربيّ، القاهرة-مصر، ط5، 1962م.

68- عمر بن أبي ربيعة، **ديوانه**، شرح فايز محمد، بيروت، 1992م.

69- عمرو بن كلثوم، **ديوانه**، دار صادر للطباعة و النشر، بيروت، ط1، 1996م.

70- بنعيسى عسو أزاييط، **الوجيز في علم الدّلالة**، دار الأمان، الرّباط، ط1، 2016م.

71- ف. بالمر، **علم الدّلالة**، تر. مجيد عبد الحليم الماشطة، الجامعة المستنصريّة، (د.ط)، 1985م.

72- فايز الدّاية، **علم الدّلالة العربيّ النّظريّة والتّطبيق**، دار الفكر، دمشق-سوريا، (د.ط)، 1996م.

73- فخر الدين الرازيّ(ت606ه)، **المحصول في علم أصول الفقه**، تح. طه جابر فياض العلواني، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط1، 1400ه

74- فخر الدين الرّازيّ(ت606ه)، **مفاتح الغيب(التفسير الكبير)**، دار الفكر، بيروت-لبنان، ط1، 1981م.

75- فخر الدين الرازيّ(ت606ه)، **نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز**، تح. بكري شيح أمين، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، ط1، 1985م.

76- فريد عوض حيدر، **علم الدّلالة دراسة نظرية وتطبيقية**، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2005م.

77- فندريس، **اللّغة**، تع. عبد الحميد الدواخليّ ومحمد القصّاص، (د. ط)، القاهرة، 1950م.

78- فوزي عيسى ورانيا فوزي عيسى، **علم الدّلالة النّظريّة والتطبيق**، دار المعرفة الجامعيّة، الإسكندريّة، ط1، 2009م.

79- ابن قيّم الجوزيّة (ت751ه)، **بدائع الفوائد**، إدارة الطباعة المنيرية، القاهرة-مصر، (د.ط)، (ب.ت).

80- كاصد ياسر الزّيدي، **فقه اللّغة العربيّة**، مديريّة دار الكتب للطّباعة والنّشر، جامعة الموصل، العراق، (د.ط)، 1987م.

81- كريم زكي حسام الدين، **أصول تراثيّة في اللّسانيات الحديثة**، دار الرشاد للطباعة، القاهرة، ط3، 2001م.

82- كلود جرمان وريمون لوبلان، **علم الدّلالة**، تر. نور الهدى لوشن، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، ليبيا، ط1، 1997م.

83- المبروك زيد الخير، **محاضرات في قضايا المعجم العربيّ وعلاقتها بالدّرس اللّساني الحديث**، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1433هـ/2012م.

84- المتنبي، **ديوانه بشرح أبي البقاء العكبريّ**، دار صادر، بيروت، (د.ط)، 1355هـ.

85- محمد التّونجي وراجي الأسمر، **المعجم المفصَّل في علوم اللّغة (الألسنيات)**، دار الكتب العلميّة، بيروت-لبنان، ط1، 1414هـ/1993م.

86- محمد حسن عبد العزيز، **مدخل إلى علم اللّغة**، دار النّمر للطّباعة، القاهرة-مصر، (د.ط)، 1983م.

87- محمد حماسة عبد اللّطيف، **النّحو والدّلالة-مدخل لدراسة المعنى النّحويّ الدّلاليّ**، دار الشروق، القاهرة-مصر، ط1، 2000م.

88- محمد حماسة عبد اللطيف، **بناء الجملة العربية**، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (د.ط)، 2003م.

89- محمد عبد المطلب، **البلاغة العربية قراءة أخرى**، طبع في دار نوبار للطباعة، القاهرة، ط1، 1997م.

90- محمد غاليم، **المعنى والتوافق-مبادئ لتأصيل البحث الدّلاليّ العربيّ**، سلسلة أبحاث وأطروحات، منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتّعريب، المغرب، (د.ط)، 1999م.

91- محمد المبارك، **فقه اللّغة دراسة تحليليّة مقارنة للكلمة العربيّة**، مطبعة جامعة دمشق-سوريا، (د.ط)، (د.ت).

92- محمد محمد يونس علي، **المعنى وظلال المعنى-أنظمة الدّلالة في العربيّة**، دار المدار الإسلامي، بيروت-لبنان، ط2 مزيدة ومنقّحة، 2007م.

93- محمد محمد يونس علي، **وصف اللّغة العربية دلاليًا في ضوء مفهوم الدّلالة المركزية-دراسة حول المعنى وظلال المعنى**، مطابع اديتار، منشورات جامعة الفتح، الجماهيرية العظمى، (د.ط)، 1993م.

94- محمود أحمد نحلة، **في البلاغة العربية علم المعاني**، دار العلوم العربية، بيروت-لبنان، ط1، 1410هـ/ 1990م.

95- محمود السّعران، **علم اللّغة-مقدّمة للقارئ العربيّ**، دار الفكر العربيّ، القاهرة-مصر، ط2، 1417هـ-1997م.

96- مسلم أبو الحسين النيسابوريّ(ت262هـ) **صحيح مسلم**، تح. محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت لبنان، (د.ط)، (د.ت).

97- مصطفى غلفان، **في اللّسانيات العامّة-تاريخها، طبيعتها، موضوعها، مفاهيمها**، دار الكتاب الجديد المتّحدة، بيروت-لبنان، ط1، 2010م.

98- منذر عياشي، **اللّسانيات والدّلالة (الكلمة)**، مركز الإنماء الحضاري، حلب-سوريا، ط1، 1996م.

99- ابن منظور جمال الدين الإفريقيّ(ت711هـ)، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت-لبنان، (د.ط)، 2005 م.

100- منقور عبد الجليل، **علم الدّلالة– أصوله ومباحثه في التّراث العربي**، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، (د.ط)، 2010م

101- نايف خرما، **أضواء على الدراسات اللّغوية المعاصرة**، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ط2، 1979م.

102- هادي نهر، **علم اللّغة الاجتماعي عند العرب**، ساعدت الجامعة المستنصريّة على طبعه، العراق، ط1، 1408هـ/ 1988م.

103- هارون بن موسى(توفّي أواخر القرن الثاني الهجريّ)، **الوجوه والنظائر في القرآن الكريم**، ، تح. حاتم صالح الضّامن، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد-العراق، (د.ط)، 1409هـ/1988م.

104- أبو هلال العسكريّ(ت395هـ)، **الفروق اللّغويَّة**، تح. أبو عمرو عماد زكي البارودي، المكتبة التَّوفيقيَّة، القاهرة-مصر، (د.ط)، (د.ت).

105- أبو هلال العسكريّ(ت395هـ)، **كتاب الصّناعتين(الكتابة والشِّعر)**، تح. علي محمد البجاويّ ومحمد أبو الفضل إبراهيم، منشورات المكتبة العصريَّة، صيدا-لبنان، (د.ط)، 1986م.

106- ياقوت الحمويّ (ت626هـ)، **معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**، مطبوعات دار المأمون، مصر، (د.ط)، (د.ت).

المجلات والدّوريات:

107- جاسم محمد حسن وعاصم علي إلياس، **(المعنى والترجمة)**، آداب الرافدين، ع:26، كانون الأوّل 1994م.

108- جون لاينز، **(ما معنى نظرية المعنى عند فيرث؟)**، تر. عبد الكريم مجاهد، مجلة آفاق عربية، ع:12، س:15، كانون الأوّل 1411هـ/ 1990م.

109- حاتم الصكر، **(الألسنية وتحليل النّصوص الأدبية، من وحدة الجملة إلى كلية النّص)**، مجلة آفاق عربية، س: 17، 1992م.

110- حاتم الضّامن، **(الوجوه والنظائر في القرآن الكريم عند السّيوطي)**، مجلة آفاق الثقافة والتراث، ع:34، س: 9، يوليو، 2001م.

111- عز الدّين إسماعيل، **(قراءة في "معنى المعنى" عند عبد القاهر الجرجانيّ)**، مجلة الفصول، مج:7، ع: 3-4، أبريل، سبتمبر 1987م.

112- علي زوين، **(اللّامساس في العربيّة)**، مجلة الترجمة واللّسانيات، س:1، ع:1، 1421هـ/2000م.

113- كاصد ياسر، **(الدّلالة في البنية العربيّة بين السّياق اللفظيّ والسياق الحاليّ)**، مجلة آداب الرافدين، ع: 26، كانون الأول، 1994م.

114- محمد إقبال عروي، **(الوظيفة الترجيحية للسّياق عند المفسّرين)**، مجلة آفاق الثقافة والتراث، ع: 35، س:9، رجب1422هـ/ أكتوبر (تشرين الأول)، 2001 م.

115- محمد حسين آل ياسين، **(الأضداد في اللّغة)**، مجلّة اللّسان العربيّ، مج:9، ج:1، ذو القعدة 1391هـ/ يناير1972م.

116- محمد السيد علي بلاسي، **(دلالة الألفاظ وتطورها)**، المجلة الثقافية، ع:26، 1412هـ/1991–1992م.

117- محمد عزام، **(نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجانيّ)**، مجلة الموقف الأدبي، س:29، ع: 347، آذار 2000م.

الرّسائل والأطاريح الجامعيّة:

118- تحسين عبد الرضا كريم الوزان، **(الصّوت والمعنى في الدرس اللّغويّ عند العرب في ضوء علم اللّغة الحديث)**، أطروحة دكتوراه (مخطوط)، جامعة بغداد، العراق، 2001م.

119- رنا طه رؤوف، **(الدّلالة المركزية والدّلالة الهامشية بين اللّغويّين والبلاغيّين)**، رسالة ماجستير(مخطوط)، جامعة بغداد، العراق، 1423هـ /2002م.

120- عواطف كنوش، **(الدّلالة السّياقيّة عند اللّغويّين)**، رسالة ماجستير(مخطوط)، جامعة بغداد، العراق، 1992م.

121- غنية تومي، **(السِّياق وأثره في توجيه المعنى– شعر أبي تمّام أنموذجا)**، رسالة ماجستير(مخطوط)، كليَّة الآداب، جامعة الإسكندريَّة، 2006م.

المحتوى..... الصفحة

مقدّمة..... أ-ج

المحاضرة الأولى: مدخل إلى علم الدّلالة: المفهوم والنشأة..... 05

المحاضرة الثانية: الدّلالة في تراث العربيّة(1) النّحاة واللّغويّون والأصوليّون.... 11

المحاضرة الثالثة: الدّلالة في تراث العربيّة(2) الفلاسفة والمتكلّمون والبلاغيّون 27

المحاضرة الرابعة: أنواع الدّلالة..... 37

المحاضرة الخامسة: التّغيّر الدّلالي ومظاهره..... 43

المحاضرة السادسة: العلاقات الدّلاليّة: الترادف..... 53

المحاضرة السابعة: العلاقات الدّلاليّة: المشترك اللفظي..... 61

المحاضرة الثامنة: الأضداد Antonymy..... 77

المحاضرة التاسعة: النّظريات الدّلاليّة/النّظريّة الإشاريّة..... 91

المحاضرة العاشرة: النّظريات الدّلاليّة :النّظريّة التّصوريّة 95

المحاضرة الحادية عشرة: النّظريات الدّلاليّة: نظرية السّياق 98

المحاضرة الثانية عشرة: النّظريات الدّلاليّة: نظريّة الحقول الدّلاليّة..... 120

المحاضرة الثالثة عشرة: النّظريات الدّلاليّة: النّظريّة التّحليليّة..... 129

الخاتمة:..... 137

قائمة المصادر والمراجع..... 140